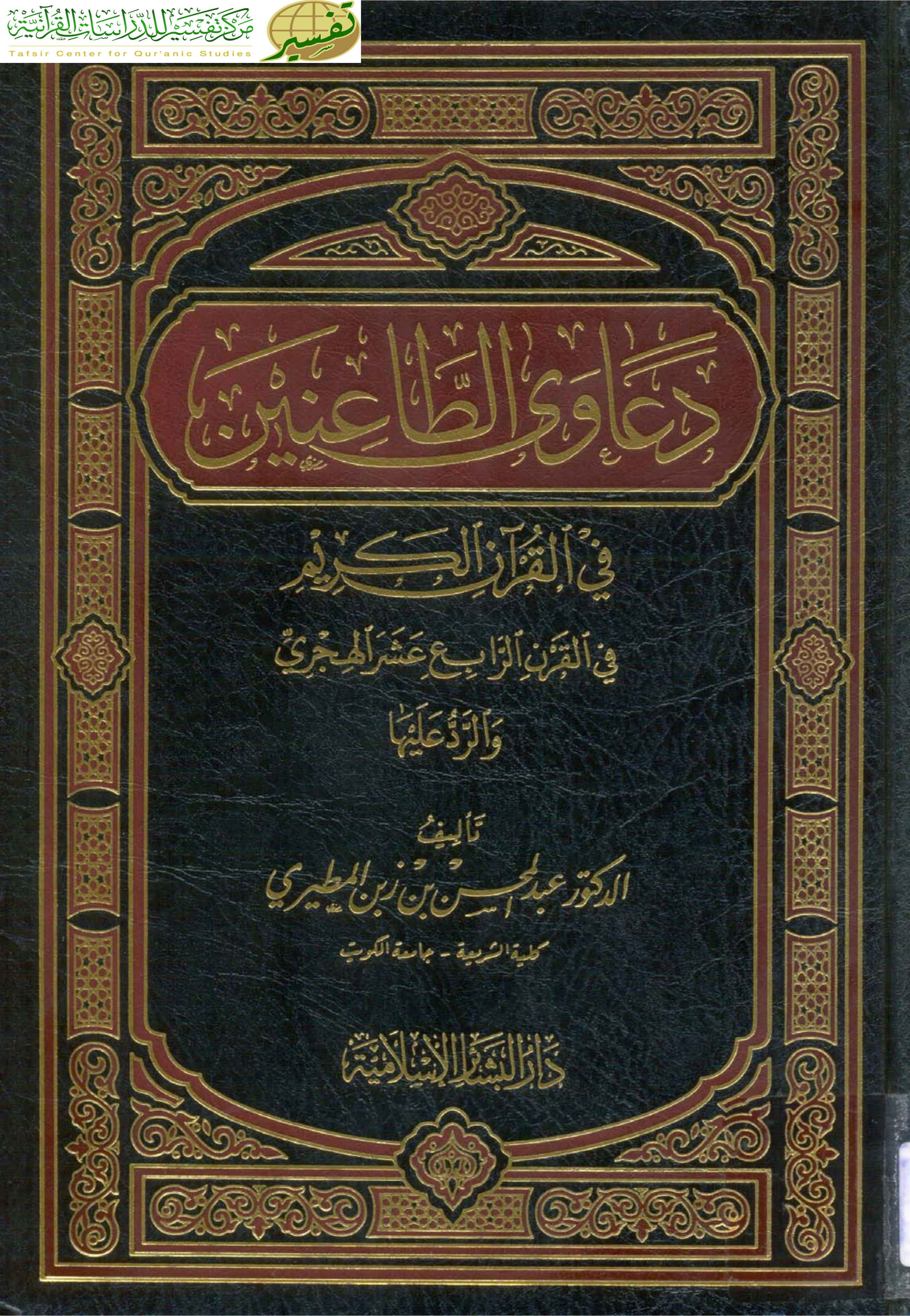


مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center for Qur'anic Studies
تفسير
دعاوى الطاعنين
في القرآن الكريم
في القرن الرابع عشر الهجري
والرد عليها
تأليف
الدكتور عبد المحسن بن زبن المطيري
كلية الشريعة - جامعة الكويت
دار البشائر الإسلامية



دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم

في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها

تأليف
الدكتور عبد المحسن بن زبن المطيري
كلية الشريعة - جامعة الكويت

دار البشائر الإسلامية


دعاوى الطاعنين
في القرآن الكريم


مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center for Qur'anic Studies

الطَّبْعَةُ الأولىٰ
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م

شركة دار البشائر الإسلاميّة
لِلطِّباعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوزِيعِ ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb



أصل هذا الكتاب

رسالة علمية قدمت إلى جامعة القاهرة

كلية دار العلوم قسم الشريعة الإسلامية

نال بها المؤلف درجة الدكتوراه

بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف

وذلك في العام ٢٠٠٣م

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى...

من كان لهما عليّ أعظم الفضل والإحسان بعد الله تعالى، وهما والداي العزيزان...

وفاءً وعرفاناً، أسأل الله أن يبارك في عمرهما ويجعلني بارّاً بهما؛

﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

المقــدّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد عرف أعداء الإسلام أن مصدر عزة هذا الدين وأهله، وسر تجدده في نفوس المسلمين هو هذا القرآن العظيم، الذي لا يخلق من كثرة الترداد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يمله القارئ والسامع ولا يزداد به المؤمن إلا يقيناً بدينه وتعلقاً به، هذه المعجزة الخالدة، والآية الباقية ما بقي الليل والنهار، هذا الكتاب الذي وعد الله تعالى بحفظه بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

ولما كانت هذه هي منزلة القرآن، اجتهد أعداء الدين بالطعن في كتاب الله؛ حتى يسلخوا المسلمين من التعلق به، فيصبحوا صيداً سهلاً وغنيمة باردة. وحرب أعداء الدين هذه ليست فقط على القرآن، بل على كل أساساته وقواعده؛ فهناك الحرب على الرسول ﷺ وسنته[(١)]، والطعن في عدالة الصحابة، والحرب على المرأة المسلمة[(٢)] وحجابها وعفافها،

(١) انظر: السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها، د. عماد السيد الشربيني، دار اليقين، المنصورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م. وكتاب القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، خادم حسين إلهي بخش، الطائف، مكتبة الصديق، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

(٢) انظر: كتاب ماذا يريدون من المرأة، لعبد السلام بسيوني، طبع إدارة الشؤون الإسلامية في قطر، فإنه نفيس في هذا الباب. وكتاب عودة الحجاب، لمحمد إسماعيل المقدم، الرياض، دار طيبة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

والحرب على بعض الشعائر كالجهاد[1]، وغيرها من الجبهات، ولكن الحرب على القرآن هي أخطرها وأشدها وأشرسها؛ لأن القرآن هو الذي يدل على الأصول السابقة ويحث عليها، فهو أصلها وهي فروعه، وبذهاب الأصل تذهب الفروع؛ ومن هنا عزمت في هذه الرسالة على جمع هذه المطاعن والإشكالات التي تثار الآن، والتي هي عبارة ـ في غالبها ـ عن ترديد لما سبق، فلو عرفها الناس وتحصنوا منها لما حصل هذا الاضطراب من هذه الشبه.

ومن أهداف الرسالة أيضاً الرد على المستشرقين الذين يطعنون في هذا الدين، ويشككون في قدسية وعصمة كتابه. وكذلك الرد على المعاصرين الذين تأثروا بهذه الشبه وبدأوا يرددونها.

فاخترت له عنوان:

دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم

في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها

ومن الأسباب التي لأجلها اخترت هذا الموضوع:

١ ـ كثرة المطاعن ـ في هذا الزمن خاصة ـ على القرآن، واتهامه بالتناقض، سواء من المستشرقين، أو من أعداء الدين، أو ممن ينتسبون للإسلام.

٢ ـ تأثر بعض المسلمين بهذه الشبه التي تثار، فكان لزاماً على طلبة العلم وأهله كشف هذه الشبه، وبيان فسادها للناس أجمعين.

٣ ـ إثبات إعجاز القرآن، وأنه من عند الله تعالى، وأن الله سبحانه تكفل بحفظه حقاً.

---

(١) انظر: أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين، يوسف إبراهيم الشيخ عيد، دار المعالي، عمّان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٤ ـ كشف شبه الطاعنين وأكاذيبهم، وبيان أنها ترديد لما أورده الطاعنون السابقون.

٥ ـ كشف المنافقين المندسين بين المسلمين للطعن في هذا الدين.

٦ ـ امتثالاً لأمر النبي ﷺ كما في حديث أنس عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ وأَلْسِنَتِكُمْ»[١].

٧ ـ الدخول في حزب جند الله تعالى المدافعين عن كتابه؛ لعله يكون لنا شافعاً يوم القيامة.

وأما أهمية الموضوع فتتضح من أمور كثيرة منها:

١ ـ عموم نفعه للمسلمين.

٢ ـ أن الموضوع يعالج مشكلة معاصرة ومستمرة.

٣ ـ أن هذا الباب لم يُخدم بما يستحقه.

٤ ـ خطورة الطعن في القرآن؛ حيث إنه من نواقض العهد مع أهل الذمة، بل من نواقض الإسلام.

وقد حَذَّر النبيُّ ﷺ من خطورة فتح هذا الباب؛ حين وجد نفراً من أصحابه يخوضون فيه، وذلك فيما ورد من حديث عَمْرِو بْنِ

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، رقم (٢٥٠٤). والنسائي: كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، رقم (٣٠٩٦). والإمام أحمد في المسند، رقم (١١٨٣٧). والدارمي: كتاب الجهاد، باب في جهاد المشركين باللسان واليد، رقم (٢٤٣١). وإسناده صحيح كما في صحيح سنن أبي داود، للألباني (٢/ ٤٧٥)، رقم (٢١٨٦). وصححه عبد القادر الأرناؤوط في تحقيق جامع الأصول لابن الأثير (٢/ ٥٦٤)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ نَفراً كَانُوا جُلُوساً بِبَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ كَذَا وَكَذَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ كَذَا وَكَذَا ـ وفي رواية أنهم تكلموا في القَدَر ـ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ، فَقَالَ: «بِهَذَا أُمِرْتُمْ ـ أَوْ بِهَذَا بُعِثْتُمْ ـ!! أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ!، إِنَّما ضَلَّتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ فِي مِثْلِ هَذَا، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِمَّا هَاهُنا فِي شَيْءٍ، انْظُرُوا الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ، فَاعْمَلُوا بِهِ، وَالَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»[1].

٥ ـ مما يكسب هذه الرسالة أهمية أني لخصت فيه كتباً كثيرة، سواء من كتب الطاعنين أو الرادِّين عليهم، فهي خلاصة جهود علماء كبار، وعُصارة كتب متفرقة.

وقد جاءت خطة البحث على النحو التالي:

المقدمة.

التمهيد: وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف الطعن في القرآن.

المبحث الثاني: مصطلحات ترادف الطعن.

المبحث الثالث: التعريف بالطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري.

الباب الأول (النظري): الطعن في القرآن: نشأته، أسبابه، مواجهته.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦٨٠٦). وابن ماجه في المقدمة: باب في القدر، رقم (٨٥). وأخرجه الترمذي من طريق أبي هريرة: كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، رقم (٢١٣٣). وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١/ ٢١)، رقم (٦٩).

الفصل الأول: تاريخ الطعن في القرآن والتأليف فيه.

المبحث الأول: أول من تكلم فيه.

المبحث الثاني: أول من ألّف فيه.

المبحث الثالث: اتجاهات العلماء في التأليف في هذا المجال.

المبحث الرابع: أهم الكتب المؤلفة فيه.

الفصل الثاني: أسباب الطعن في القرآن.

المبحث الأول: لماذا هذه الحرب على القرآن؟.

المبحث الثاني: الحكمة من وجود المتشابه في القرآن.

المبحث الثالث: أنواع المطاعن.

المبحث الرابع: أسباب الاختلاف في القرآن.

الفصل الثالث: مواجهة دعاوى الطعن في القرآن.

المبحث الأول: **تنزيه كلام الله عن المطاعن.**

المبحث الثاني: موقف سلف الأمة ممن يثيرون المطاعن حول القرآن.

المبحث الثالث: قواعد التعامل مع المطاعن.

الباب الثاني (تطبيقي): **موقف الطاعنين من آيات القرآن والرد عليهم.**

الفصل الأول: الردود الإجمالية على من طعن في القرآن.

المبحث الأول: الأدلة على صدق القرآن وما فيه.

المطلب الأول: إعجاز القرآن.

المطلب الثاني: التحدي أن يُؤتى بمثله.

المبحث الرابع: اتهام القرآن بمعارضة الحقائق.

المطلب الأول: دعوى تعارض القرآن مع الحقائق الشرعية.

المطلب الثاني: دعوى تعارض القرآن مع الوقائع التاريخية.

المطلب الثالث: دعوى تعارض القرآن مع الحقائق الكونية.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وذيّلت الرسالة بعدة فهارس لكمال الاستفادة من البحث.

وكان المنهج المتبع في هذه الرسالة على النحو التالي:

١ ـ لقد اجتهدت في محاولة حصر الطعون؛ حيث جمعت ما أمكنني من كتب تطعن في القرآن أو ترد على الطاعنين، وحرصت على أن أحضر معظم معارض الكتاب التي تقام؛ لعلّي أجد شيئاً ليس عندي، وذهبت إلى الكثير من الجامعات للبحث عن رسائل مقاربة لما كتبته، وبحثت في الإنترنت، ودخلت الكثير من المواقع المتخصصة في الطعن في الإسلام، مثل بعض غرف النصارى في البالتوك وغيرها، وسألت الكثير من المتخصصين في هذا الباب والمهتمين، فاتضح لي أن حصر الطاعنين من الصعوبة بمكان؛ فبعضهم مشاهير، وبعضهم مغمور نكرة لا يعرف، فتسميته والرد عليه تشهير له، وبعضهم بل أكثرهم مردّد لما قيل سابقاً من الطعون، فاتجهت لحصر الطعون لا الطاعنين ـ مع عدم إغفال ذكرهم إن وجدوا لا سيما المشاهير منهم ـ لأن الطعون واحدة في الغالب، وأما الطاعنون فهم كالببغاوات يرددون ما سمعوا، وهذا أيضاً منهج نبوي؛ فقد كان النبي ﷺ يرد على الخطأ لا على المخطئ، بقوله: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا»[1].

---

(١) انظر: صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب ذكر البيع والشراء على المنبر=

٢ ـ ليس من منهجي أن أجمع كل ما أثير، بل أجمع ما كان فيه شبهة وقد يقع فيه اللبس عند بعض الناس، وأما بعض الطعون التي يوردها الطاعنون بسبب جهلهم باللغة، أو سوء فهمهم، أو تحريف المعنى، أو الكذب، أو الدعوى المجردة عن الدليل، أو بسبب الحقد الدفين، فهذا يكفي ذكره في إبطاله، ويكفيك من شرٍّ سماعه، مثل إنكارهم بلاغة القرآن وهم أبعد الناس عن تذوُّق بلاغة القرآن، أو تفسير بعضهم قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥] تفسيراً ساذجاً؛ فقد قال بعض المستشرقين في تفسير قوله تعالى: ﴿حَآفِّينَ﴾، أي: بدون أحذية[١]. (وفسر بعض المستشرقين قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣] بقوله: يأتي الكافر وفي رقبته حمامة. ومنهم عَلّامة[٢] تصدى لوضع المعجمات الكبرى، فكتب في مادة (أخذ) أنها تأتي بمعنى نام لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥])[٣]، ومثل دعاء بعضهم

= في المسجد، رقم (٤٤٤)؛ وكتاب الصلاة، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، رقم (٧١٧)؛ وكتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، رقم (٥٧٥٠).

(١) انظر: الإسلام دعوة عالمية، ومقالات أخرى، لعباس محمود العقاد (ص١٨٩)، المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) وَصْفُ العقاد لهذا المستشرق بالعَلَّامة هو من باب التهكم والاستهزاء بجهله الشديد باللغة العربية، وقد فضح جهله تفسيره لمادة (أخذ) بمعنى نام مخالفاً بذلك جميع معاجم اللغة، فصار كمَن تخصص في وضع معجمات لنا لا نعرفها.

(٣) اللغة الشاعرة: مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، للعقاد (ص٧٥)، المكتبة العصرية. وقد ذكر الباحث محمد العوضي في مقال له عن الاستشراق في جريدة الحديث الكويتية العدد (٩٦) بتاريخ ٥/ ١٠/ ٢٠٠٢م: أن أحد المستشرقين فسر قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ بقوله: يعني: هن بنطلونات لكم وأنتم بنطلونات لهن.

أنه وجد مخطوطة بخط النبي ﷺ، وبالتالي يثبت أنه لم يكن أمّياً[(١)]، وقول بعضهم: إن معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ ...﴾ [الأعراف: ١٥٧] أن أمي بمعنى وثني[(٢)]. وادعاء بعضهم أن الوحي عبارة عن صرع كان يصيب النبي ﷺ[(٣)]، أو النزول إلى الدرك الأسفل من الدناءة بإطلاق لفظ (الخراء) على القرآن، كما في كتاب «حيدر حيدر»[(٤)] (وليمة لأعشاب البحر)[(٥)]، وغير ذلك من السفاهات.

٣ ـ الطعون على القرآن تنقسم قسمين، طعون حول القرآن، وطعون في القرآن:

أما القسم الأول، وهو الطعون حول القرآن من مثل: الطعن في

---

(١) الإسلام دعوة عالمية، ومقالات أخرى، لعباس محمود العقاد (ص١٩٢). وفيه: أن صحف القاهرة نقلت هذا الخبر عن صحيفة بيروتية أثبت فيها واجدها أنه بخط النبي ﷺ، ومن المعلوم أنه لا يمكن إثبات هذا إلا عن طريقين؛ أحدهما: أن تكون عندنا مخطوطة مكتوبة بخط النبي ﷺ ونقارن بين الخطين، وهذا غير موجود بداهة. الثاني: أن يشهد شهود عدول أن النبي ﷺ كتبها، وهذا مما لا وجود له أصلاً.

(٢) انظر: دفاع عن القرآن ضد منتقديه، لعبد الرحمٰن بدوي (ص١٥)، الدار العالمية للكتب والنشر، القاهرة. ويقول بدوي في هذا الكتاب (ص٧): إن معرفة المستشرقين للغة العربية من الناحية الأدبية أو الفنية يشوبها الضعف، ويمكن القول أن هذه الملاحظة تخصهم جميعاً تقريباً .اهـ.

(٣) انظر مثلاً: حاضر العالم الإسلامي، لستودارد (١/ ٣٤)، ترجمة عجاج نويهض، دار الفكر، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٣م.

(٤) حيدر حيدر: كاتب سوري معاصر من سكان قرية (حصين البحر) القريبة من ميناء طرسوس، ألّف رواية «وليمة لأعشاب البحر» وملأها بالاستهزاء والسخرية من الله تعالى ورسوله ﷺ، وكتابه ودين الإسلام، والرسل والأنبياء، والأزهر، وغير ذلك. انظر: كتاب «الملحدون الجدد»، لجمال عبد الرحيم (ص١٢٥)، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

(٥) انظر: الملحدون الجدد، لجمال عبد الرحيم (ص١٢٧).

جمع القرآن، وتواتر القرآن، وتقسيم القرآن إلى مكي ومدني، ونزول القرآن على سبعة أحرف، ومعنى المتشابه في القرآن، وترجمة القرآن، وإعجاز القرآن، وقراءات القرآن... إلخ تلك الشُبه التي تحوم حول القرآن ولا تطعن في آياته طعناً مباشراً، وهذا البحث كفانا فيه عدد من العلماء الأفاضل والباحثين الأجلّاء، ومن أفضل هذه الكتب التي اطلعت عليها، كتاب «شبهات حول القرآن وتفنيدها» للدكتور غازي عناية[1]، وبعضهم أفرد في بعض هذه المباحث مؤلفاً، مثل كتاب «المستشرقون وترجمة القرآن الكريم» للدكتور محمد صالح البنداق[2].

وفي كتاب «القراءات وأثرها في التفسير والأحكام» للدكتور محمد بن عمر بازمول[3] عقد باباً بعنوان (رد الشبهات التي تثار حول القراءات) أجاب فيه على كل ما يثار حول هذا الموضوع، وكتاب «القراءات في نظر المستشرقين والملحدين» للشيخ عبد الفتاح عبد الغني القاضي[4]، وكتاب «نزول القرآن على سبعة أحرف» للدكتور مناع القطان[5]، وفي مجلة لواء الإسلام بحث لعبد الباري إبراهيم أبو عبلة في الجواب على طعون المستشرقين في لغة القرآن ونحوه[6].

ومن أشد الكتب التي طعنت في هذا الباب كتابان:

١ ـ «القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره»، لبلاشير[7].

(١) طبعته دار ومكتبة هلال للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
(٢) دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
(٣) طبعته دار هجر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
(٤) من منشورات مكتبة الدار بالمدينة المنورة.
(٥) مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
(٦) العدد (٣)، للسنة الحادية والثلاثين، تاريخ: نوفمبر، ١٩٧٦م (ص٣٥).
(٧) ريجي بلاشير (١٩٠٠م ـ ١٩٧٣م) مستشرق فرنسي، ولد في باريس وسافر مع والديه إلى المغرب وقضى دراسته الثانوية في مدرسة فرنسية في الدار البيضاء، =

٢ ـ «مقدمة كتاب «المصاحف» لأبي داود»، لآرثر جفري.

رد عليهما الدكتور إسماعيل سالم عبد العال في كتابه «المستشرقون والقرآن»، في جزأين[(١)].

وأما القسم الثاني فهو الطعن في القرآن نفسه، من حيث دلالته ومعانيه وأخباره وأحكامه وحقائقه وقدسيته وحفظه وغير ذلك، وهو الذي أبحث فيه، والسبب في ذلك أن هذا النوع هو الذي تولى القرآن الرد فيه على الطاعنين؛ ولأن الرد على هذه الشبه فيه الرد على تلك الشبه بطريق اللزوم، فإنه إذا ثبت أن القرآن ليس من عند النبي ﷺ، بل من الله تعالى، وهو غير قابل للنقد، وأنه ليس فيه تحريف ولا زيادة، وأنه صادق الأخبار وواجب الاتباع، إذا ثبت هذا وأن الله تعالى قال فيه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، إذن فلا مجال للطعن في تواتره وجمعه وقراءاته وما نسخ منه؛ لأنه محفوظ بحفظ الله له.

٤ ـ حرصت على تخريج الأحاديث والآثار والحكم عليها، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالإحالة عليه؛ وإن كان في غيرهما استقصيت في تخريجه وبيّنت صحته أو ضعفه موثقاً ذلك من كتب أهل الاختصاص القدامى والمعاصرين.

= وتولّى عدة مناصب كان آخرها تعيينه أستاذاً للغة العربية في المدرسة الوطنية للغات الشرقية في باريس من ١٩٥٠م إلى ١٩٧٠م، وألف كتباً كثيرة عن الإسلام منها: تاريخ الأدب العربي منذ البداية حتى نهاية القرن الخامس عشر، وتوفي دون أن يُتمّه، وله: ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الفرنسية. انظر: «موسوعة المستشرقين»، للدكتور عبد الرحمٰن بدوي (ص١٢٧)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.

(١) أصدر الكتاب رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وهو من إصداراتها الدورية تحت: سلسلة دعوة الحق، السنة التاسعة، العدد (١٠٤)، لعام ١٤١٠هـ.

٥ ـ **ترجمت لغير المشاهير ممن ورد ذكرهم في صلب الرسالة** سواء كانوا من المسلمين أو من غيرهم.

٦ ـ **قرأت أحاديث الكتب الستة والموطأ والدارمي**، واستخرجت جميع الأحاديث في هذا الباب، ثم طُبع كتاب «جامع التفسير» الذي جمع مؤلفوه الأحاديث والآثار من الكتب الستة ومسند الإمام أحمد، التي تفسر أو تذكر سبب نزول الآية، فقرأته للتأكد من أنه لم يفتني حديث في موضوع الطعن في القرآن.

٧ ـ **لقد كان الرد على الطاعنين متنوعاً**؛ فقد رددتُ عليهم بداية ردوداً عامة تصلح للرد على كل طعن[1]، ثم رددت على الطعون الأربعة الرئيسة ردوداً إجمالية، كل طعن بذاته في مبحث أسباب الاختلاف في القرآن. وفي فصل الردود التفصيلية على من طعن في القرآن رددت بنوعين من الردود، الأول: رد إجمالي على كل طعن في هذا الفرع، والثاني: رد تفصيلي على كل طعن ورد في البحث.

ولقد حرصتُ على الردود الإجمالية لكل طعن في فصل الردود التفصيلية على من طعن في القرآن؛ لأنها الأهم، فهي صالحة لما قد أُثير ولما يمكن أن يثار في المستقبل، وأما الردود التفصيلية على كل طعن فإنها لا تنتهي، وقد يفتح الله على إنسان ما لا يفتح على غيره في الرد، على أن بعض هذه الطعون من السذاجة والجهل بحيث لا يستحق الرد.

وقد واجهتني صعوبات كثيرة في مراحل إعداد هذا البحث، أذكر منها:

١ ـ كثرة الطاعنين وصعوبة حصرهم، فهم كثر في كل دولة عربية وإسلامية، وأكثر منهم في دول أوروبا وأمريكا.

---

(١) في فصل الردود الإجمالية على من طعن في القرآن.

٢ ـ من الصعوبات التي واجهتها، محاولة حصر كل ما أُلف في هذا الباب من مطبوع أو مخطوط أو مفقود، فلجأت إلى كتب طبقات المفسرين؛ لمعرفة كل من ألّف في طعون القرآن، وجردتها وحصرت منها الكتب التي أُلفت في الرد على الطاعنين، وكتب الطبقات التي وجدتها هي:

أ ـ «طبقات المفسرين» للسيوطي[١].

ب ـ «طبقات المفسرين» للداوودي تلميذ السيوطي[٢].

ج ـ «طبقات المفسرين» للأدنوري[٣].

٣ ـ ومن الصعوبات التي واجهتها التعريف بالمستشرقين؛ فإن الكتب المؤلفة عنهم قليلة.

٤ ـ وهناك مشكلة أخرى تكمن في ترجمة أسمائهم، فإنه لو وجد لهم تعريف فإنه من الصعب معرفة ما هي ترجمة الاسم الحرفية، مثل المستشرق الفرنسي (GANIER)[٤] بعضهم يسميه: جانييه، وبعضهم: جانيير، وبعضهم: كانيير، فلا تعلم هل تبحث عن اسمه في حرف الجيم أم في حرف الكاف، ومثله المستشرق (GIBB)[٥] فبعضهم يسميه: جب، والبعض غب، والبعض الآخر قب، وهكذا، ولقد ترجمت لأكثر من عشرين واحداً منهم، وبعضهم ـ وهم قليل ـ لم أجد له ترجمة.

---

(١) طبع مكتبة وهبة، القاهرة، تحقيق علي محمد عمر، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.
(٢) دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر.
(٣) تحقيق سليمان الخزي، طبع مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
(٤) انظر: موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمٰن بدوي (ص١٦٨).
(٥) انظر: موسوعة المستشرقين، (ص١٧٤).

٥ ـ ومن الصعوبات أيضاً أن أغلب كتب المستشرقين كتبت في غير اللغة العربية، فكنت أجد عناء في ترجمتها أو البحث عن ترجمة لها، وفي الغالب كنت أنقلها من كتب أخرى.

٦ ـ ومن الصعوبات أن بعض كتب المستشرقين التي طبعت بالعربية، لم يعد طبعها منذ زمن طويل، فلا تكاد توجد في أسواق الكتب، لذلك كنت أضطر إلى نقلها من كتب العلماء الذين ردوا عليهم في زمنهم.

٧ ـ من الصعوبات قلة المراجع في كثير من المباحث، لا سيما الشبهات الحديثة، فلا تكاد تجد لبعضها كتاباً مطبوعاً في الرد عليها، مما اضطرني ـ أحياناً ـ إلى اللجوء للمصادر الثانوية كالصحف والمجلات ومشافهة العلماء والأساتذة، وأحياناً أبحث في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) عن من رد على هذه الطعون.

٨ ـ ولقد سافرت إلى هولندا للقاء الدكتور نصر حامد أبو زيد[١]

---

(١) د. نصر حامد أبو زيد مواليد قرية قحافة، مركز طنطا عام ١٩٤٣م، قبض على والده عام ١٩٥٤م لاتهامه بالتبرع لجماعة الإخوان المسلمين، عمل د. نصر فني لاسلكي بهيئة المواصلات منذ عام ١٩٦٠م حتى عام ١٩٦٨م، وانتقل بعدها إلى القاهرة، والتحق بكلية الآداب جامعة القاهرة قسم اللغة العربية، حصل على الليسانس عام ١٩٧٢م، وعيّن معيداً بالكلية، وتدرج في الوظائف من معيد إلى مدرس مساعد ثم مدرس ثم أستاذ مساعد في ٢ يوليو/ تموز ١٩٨٧م.

وتقدم في ٩ مايو/ أيار ١٩٩٢م بإنتاجه العلمي إلى اللجنة الدائمة بجامعة القاهرة للترقية لدرجة أستاذ عن مؤلفاته وهي عبارة عن كتابين هما «الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية» و«نقد الخطاب الديني»، وأحد عشر بحثاً ومقالاً هي: الكشف عن أقنعة الإرهاب ـ ثقافة التنمية وتنمية الثقافة ـ التراث بين الاستخدام النفعي والقراءة العلمية ـ قراءات التراث في كتابات أحمد=

= صادق سعد ـ إهدار السياق في تأويلات الخطاب الديني ـ المسكوت عند أقطاب ابن عربي ـ مفهوم النص في العلوم الدينية ـ التأويل في كتاب سيبويه ـ الإنسان الكامل في القرآن (بالإنجليزية) ـ مقدمة ترجمة البوشيدر ـ مركبة المجازر من يقودها وإلى أين.

وكانت اللجنة العلمية الدائمة تضم ثلاثة عشر أستاذاً من جميع الجامعات المصرية عدا الأزهر والجامعة الأمريكية، وانعقدت اللجنة في ٩ مارس/ آذار ١٩٩٣م بحضور جميع أعضائها للنظر في ترقية العديد من الباحثين من بينهم د. أبو زيد، واختارت ثلاثة تقارير معدة عن إنتاجه العلمي، وهي مقدمة من ثلاثة أشخاص أعضاء في اللجنة الدائمة وهم: د. عبد الصبور شاهين، ود. محمود مكي، ود. عوني عبد الرؤوف.

فأما الأخيران فقد طلبا الترقية وذكرا أن الأعمال المقدمة من الباحث تناول فكراً ناضجاً وقدرة تحليلية وسعة اطلاع، وأما التقرير الثالث المقدم من د. شاهين فرفض الترقية مؤكداً أن الأعمال المقدمة من الباحث تحتاج إلى إعادة نظر وتنقية ولا يرقى إلى الأستاذية، وبدأ د. شاهين يفصّل كلامه بانتقادات علمية وأكاديمية.

ووفقاً لقوانين ولوائح الجامعات تم توزيع التقارير الثلاثة المعدة من أعضاء اللجنة الثلاثة على جميع الأعضاء لمناقشتها ثم التصويت على التقرير المناسب، فحصل تقرير د. عبد الصبور شاهين على سبعة أصوات بينما حصل التقريران الآخران على ستة فقط.

وانعقد مجلس الجامعة برئاسة د. مأمون سلامة في ٩ مارس/ آذار ١٩٩٣م، ووافق على التقرير المقدم من اللجنة العلمية الدائمة وأعدّه د. شاهين برفض ترقية الباحث د. نصر حامد أبو زيد لدرجة أستاذ.

ثم قامت الصحف بتفجير القضية في صفحاتها، فأصبحت قضية أبي زيد هيَ قضية الساعة، ثم تطور الأمر فأفتى الأزهر بمنع قراءة كتبه، ثم رفعت قضيةٌ على أبي زيد للحكم بردته والتفريق بينه وبين زوجه بسبب كتاباته، فكان رأي المحكمة موافقاً لهذا وأُصدر الحكم بذلك، فأرسلت جامعة روتردام في هولندا إلى د. نصر استقداماً للعمل فيها مع توفير جميع سبل الراحة له ولأهله فوافق وخرج مهاجراً إلى هولندا، وكانت تلك هي آخر فصول هذه القضية باختصار. =

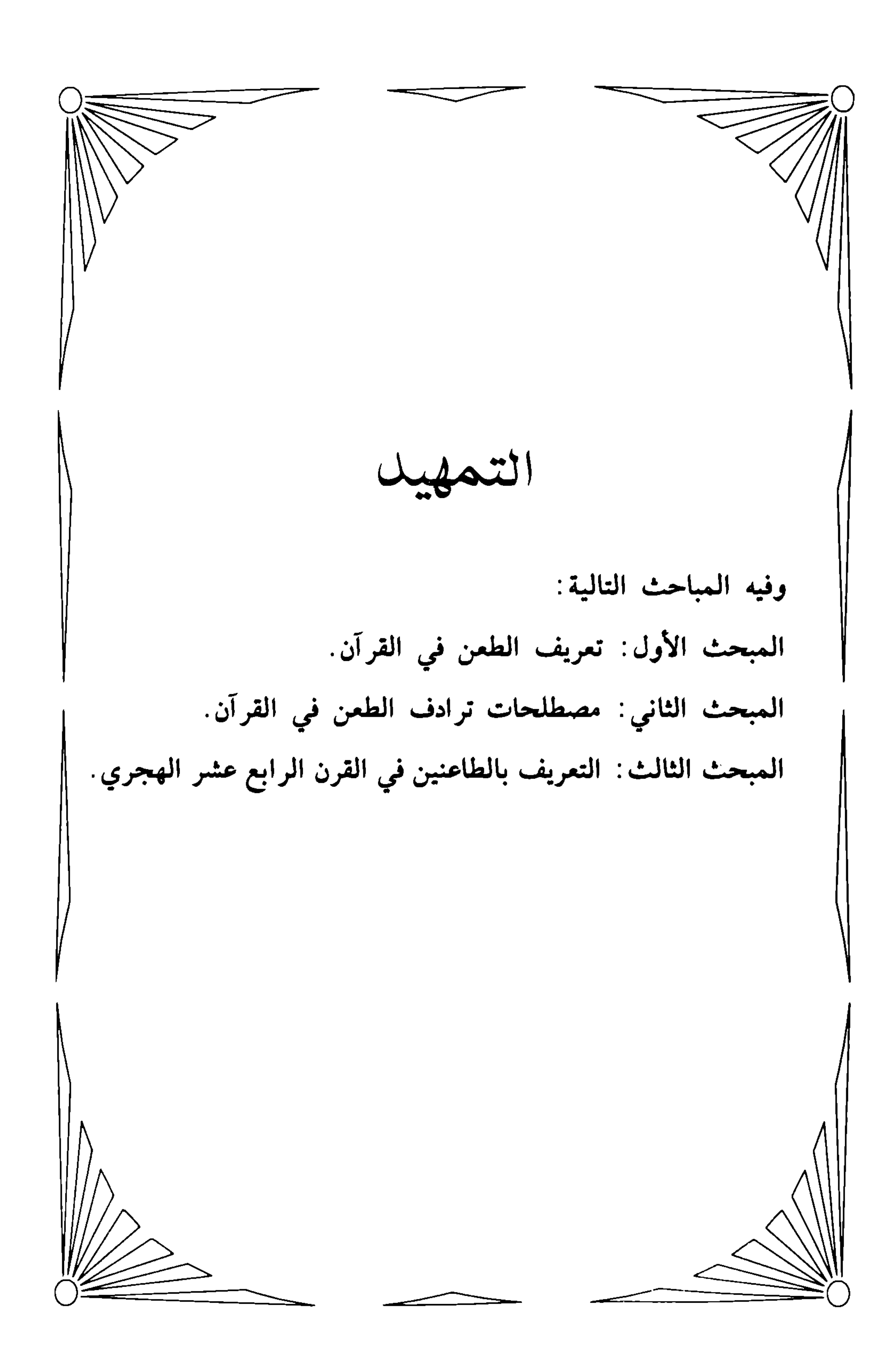
للتأكد من بقائه على آرائه ومناقشته من خلال هذه الرسالة، فكلمته بالهاتف من هولندا فرفض مقابلتي رفضاً قطعياً، مع محاولاتي المتكررة في طلب ذلك.

وحصل عندما كنت هناك أن قامت امرأة صومالية الأصل هولندية الجنسية، وكانت مسلمة، قامت بسب النبي ﷺ على صفحات الصحف والطعن في دينه وأعلنت أنها ملحدة لا تؤمن بدين، فطلبت من الإخوة في هولندا جمع كل ما قالت وترجمته إلى العربية، وسألتهم هل ذكرتْ أدلة أو شبهاً على ما ادعت، أم أنه كلام عار عن أي مستند، فكانت نتيجة الترجمة هي الثاني، فكلامها مجرد سب وشتم من غير أي حجة، بل هو الهوى المحض، ثم قامت بعد هذه الضجة بترشيح نفسها للمجلس البرلماني في هولندا، فعندها اتضح السبب وبطل العجب، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يوفّق ويعين، وأن يجعل هذا البحث مفيداً للناس في الدنيا، ونافعاً لي في الآخرة.



= انظر: الملحدون الجدد، لجمال عبد الرحيم (ص١٤)، القول المفيد في قضية أبو زيد، بقلم د. نصر حامد أبو زيد، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ونقض كتاب نصر أبو زيد ودحض شبهاته، د. رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، وغيرها من الكتب.



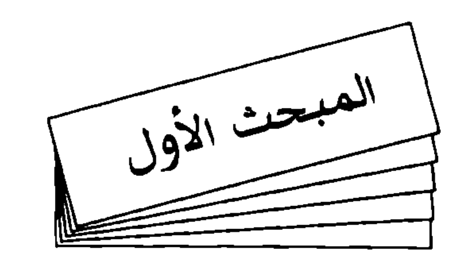
التمهيد

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف الطعن في القرآن.

المبحث الثاني: مصطلحات ترادف الطعن في القرآن.

المبحث الثالث: التعريف بالطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري.



تعريف (الطعن في القرآن)

أولاً: تعريف الطعن:

(ط ع ن: طَعَنهُ بالرمح، وطَعَنَ في السن كلاهما من باب نصر، وطعن فيه أي قدح من باب نصر أيضاً، وطَعَنَاناً أيضاً بفتح العين كذا في الصحاح.

وفيه أيضاً: والفرَّاء يجيز فتح العين من يطعن في الكل.

وقال الأزهري في «التهذيب»: الطَّعنان قول الليث، وأما غيره فمصدر الكل عنده الطعن لا غير، وعين المُضارع مضمومة في الكل عند الليث، وبعضهم يفتح العين من مضارع الطعن بالقول للفرق بينهما.

وقال الكسائي: لم أسمع في مضارع الكل إلا الضم.

وقال الفرَّاء: سمعت يطعن بالرمح بالفتح.

وفي الديوان ذكر الطعن بالرمح.

وباللسان في باب نصر، ثم قال في باب قطع: وطَعَن يطعن لغة في طعن يطْعن، فجعل كل واحد منهما من البابين، والمِطْعَانُ: الرجل الكثير الطعن للعدو، وقوم مَطاعينُ.

وفي الحديث: «لا يكون المؤمن طَعَّاناً»؛ يعني في أعراض الناس.

والطَّاعُونُ: الموت من الوباء، والجمع الطَّوَاعِين)[1].

وقال ابن فارس: (طعن: أصل صحيح مطرد، وهو النخس في الشيء بما ينفذه، ثم يحمل عليه، ويستعار من ذلك الطعن في الرمح، ورجل طعان في أعراض الناس، وفي الحديث: «لا يكون المؤمن طعاناً». وقال بعضهم: طعن بالرمح يطعُن بالضم، وطعن بالقول يطعَن فتحاً)[2].

إذن لكلمة طعن معنيان؛ حسي، ومعنوي:

فالحسي بمعنى الضرب بآلة حادة كالخنجر، وهو المتعدي للمفعول (طعنه)، والمضارع منه مضموم العين (يطعُن) وبعضهم يفتحه.

والمعنوي بمعنى القدح في شيء، سواء كان نسباً، أو كتاباً، أو شخصاً، أو غير ذلك، وهو اللازم (طعن فيه)، والمضارع منه مفتوح العين (يطعَن).

ثانياً: تعريف القرآن:

القرآن من المشهورات التي لا تحتاج إلى تعريف؛ ومع ذلك حاول العلماء أن يضعوا له تعريفاً يتضمن خصائصه وسماته.

فمن أفضل هذه التعاريف:

أن القرآن هو كلام الله المعجز المنزل على محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته[3]. وبعضهم يزيد في

---

(١) مختار الصحاح (١/ ١٦٥). وانظر: لسان العرب (١٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٤١٢) بتصرف.

(٣) انظر: مناهل العرفان، للزرقاني (١/ ١٥)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م. كتاب النبأ العظيم، للدكتور محمد عبد الله دراز (ص١٠)، دار طيبة=

التعريف: المقروء بالألسنة، المسموع من القراء، المفتتح بالفاتحة، المختتم بالناس[1].

ثالثاً: تعريف الطعن في القرآن:

الطعن في القرآن: هو أحد مباحث علوم القرآن، التي تبحث في الرد على من طعن في كتاب الله، أو زعم تناقضه، أو إشكاله، والرد عليها بالأدلة الشرعية والعقلية والحسية[2].



= للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م. المناظرة في القرآن، عبد الله المقدسي (١/ ٢٢)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، تحقيق الجديع، وغير ذلك.

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح (ص٢١)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة عشرة، ١٩٩٠م، وفتاوى ابن تيمية (١٢/ ١٣٨).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/ ٥٣)، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ. والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٣/ ٧٩)، القاهرة، مكتبة دار التراث. وباهر البرهان في مشكلات القرآن، لبيان الحق النيسابوري (١/ ١١٢).



مصطلحات ترادف الطعن في القرآن

هناك عدة مصطلحات في تسمية هذا العلم، ترادف مصطلح الطعن في القرآن وهي:

١ ـ المتشابه أو المشتبه:

حيث إن كثيراً من العلماء يطلقون على هذا العلم اسم (المتشابه)، مثل كتاب «الآيات المتشابهات» لبقي بن مخلد، و«أضواء على متشابه القرآن» لخليل ياسين، و«تأويل متشابهات القرآن» لابن شهر آشوب وغيرها[(١)].

وأخذوا هذا الاسم من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

وإنما لم أختر أن تكون الرسالة بهذا العنوان؛ لأن المتشابه يطلق ـ في علوم القرآن والتفسير ـ على عدة معان:

أ ـ يطلق المتشابه ويقصد به المشكل من الآيات التي قد تشتبه على فهم القارئ؛ لخلوّه من الدلالة الراجحة لمعناه[(٢)]، الذي يحتاج للجواب والرد على الطاعن، كما تقدم.

---

(١) سيأتي في المبحث الرابع من الفصل الأول من الباب الأول بيان لهذه الكتب وأماكن وجودها.

(٢) انظر: كشف المعاني في المتشابه الثاني، لبدر الدين بن جماعة (ص٢٨)، تحقيق مرزوق إبراهيم، دار الشريف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.



ب ـ ويطلق ويراد به ضد المحكم، وهو الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، أو لا يعلمه إلا الله تعالى والراسخون في العلم(١)؛ مثل الحروف المقطعة، وحقيقة صفات الله تعالى وكيفياتها.

ج ـ ويطلق ويراد به الآيات المتشابهة لفظاً، وقد تفترق بحرف أو كلمة، وتوجيه هذا التفريق.

وقد ألف العلماء في هذا الفن كتباً كثيرة؛ منها: «درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز»(٢) للخطيب الإسكافي(٣)، وأشهرها وأفضلها كتاب «البرهان في متشابه القرآن»(٤) للكرماني(٥).

د ـ يطلق ويقصد به تشبيه شيء بشيء، كالحور العين باللؤلؤ، وقد ألّف في هذا المعنى ابن ناقيا البغدادي(٦) كتابه «الجمان في

---

(١) انظر ـ في اختلاف العلماء في تعريف المتشابه بهذا المعنى ـ: كتاب الإتقان، للسيوطي (٣/ ٣).

(٢) بيروت، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

(٣) والإسكافي هو: محمد بن عبد الله أبو جعفر الإسكافي، عداده في أهل بغداد، أحد المتكلمين من المعتزلة، له تصانيف، فكان يناظر الحسين بن علي الكرابيسي يتكلم معه، مات في سنة ٤٠٢هـ. انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت (١/ ١٨١).

(٤) دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

(٥) الكرماني هو: المعمر بدر الدين، أبو حفص عمر بن محمد بن أبي سعد الكرماني، نزيل دمشق، ولد بنيسابور سنة سبعين وخمسمائة، وسمع في الكهولة من القسم الصفار، وروى الكثير بدمشق، وكان واعظاً، وتوفي في شعبان سنة خمس وستين وستمائة. انظر: شذرات الذهب، دار الكتب العلمية، بيروت (٣/ ٣٢٧).

(٦) هو عبد الله، وقيل: عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن داود بن ناقيا، أبو القاسم، الأديب الشاعر اللغوي المترسل، هو من أهل الحريم الطاهري ـ وهي=

تشبيهات القرآن»[1]، ولسيد قطب كتاب في هذا المعنى سماه «التصوير الفني في القرآن».

هـ ـ يطلق المتشابه ويراد به أن القرآن متماثل في النظم والبلاغة والهدف الذي يدعو إليه؛ فلا تجد في أسلوبه اختلافاً، ولا في معانيه مناقضة، ولا في سُوَرِه تغايراً، كما في قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

قال القرطبي: (متشابهاً يشبه بعضه بعضاً في الحسن والحكمة، ويصدق بعضه بعضاً، ليس فيه تناقضاً ولا اختلاف)[2].

فلما كان هذا الاسم يشكل في الفهم، ومشتركاً بين عدة معان، أعرضت عنه.

٢ ـ موهم الاختلاف أو مختلف القرآن:

هكذا سماه الزركشي في «البرهان»: النوع الخامس والثلاثون:

= محلة ببغداد ـ، كان مولده في منتصف ذي القعدة سنة عشر وأربعمائة، وكان فاضلاً بارعاً. وله مصنفات حسنة مفيدة، منها: كتاب «الجمان في تفسير متشابهات القرآن»، ومجموع سماه «ملح الممالحة»، وكان ينسب إلى التعطيل، ومذهب الأوائل، وصنف في ذلك مقالة، وكان كثير المجون، توفي في ليلة الأحد من رابع شهر المحرم سنة خمس وثمانين وأربعمائة، ودفن بباب الشام. انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي (١/ ١٤١)، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٣٩٦هـ. والمنتظم، لابن الجوزي (٩/ ٦٩)، طبعة دار صادر، بيروت، سنة ١٣٥٨هـ، الطبعة الأولى.

(١) تحقيق مصطفى الجويني، دار منشأ المعارف، الإسكندرية.

(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ١٦٢)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

معرفة موهم المختلف[1]، وسماه السيوطي في «الإتقان»: النوع الثامن والأربعون في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض[2].

وقد أخذوا هذا الاسم من الآية الكريمة وهي قوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

٣ ـ موهم الاضطراب:

ومن هذا كتاب «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» لمحمد الأمين الشنقيطي[3].

وهذا الاسم والذي قبله يتحدث عن نوع واحد من الطعون، وهو التناقض في الآيات، مع أن الطعون لها أنواع أُخر، كنفي نسبة القرآن إلى الله تعالى، والطعن في لغته وغير ذلك؛ لهذا لم أُسمِّ به الرسالة؛ لقصوره عن شمول جميع أنواع الطعون.

٤ ـ أسئلة القرآن:

أي الأسئلة التي يطرحها بعض الناس بقصد التشكيك في كتاب الله تعالى؛ ومن هذا: كتاب «البرهان في مسائل القرآن» للجماعيلي المقدسي، و«التبيان في مسائل القرآن» لرضي الدين القزويني، وبعضهم

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٥٣).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٧٩).

(٣) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الموريتاني (١٣٠٥هـ ـ ١٣٩٣هـ)، ولد في مدينة كيفا من القطر المسمى شنقيط ـ وهي دولة موريتانيا ـ. ومن آثاره: تفسير أضواء البيان، منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، مذكرة الأصول على روضة الناظر، آداب البحث والمناظرة. انظر: مقدمة أضواء البيان بقلم تلميذه عطية محمد سالم (١/ هـ).

يسميها جوابات القرآن؛ باعتبار الجواب على هذا السؤال، ككتاب «الجوابات في القرآن» لمقاتل بن سليمان، وبعضهم يجمع بين الاسمين مثل «أسئلة القرآن وأجوبتها» لأبي بكر الرازي.

٥ ـ غامض القرآن:

ومن هذا كتاب «كشف غوامض القرآن» لفخر الدين الطريحي.

٦ ـ مشكل القرآن:

ومن هذا كتاب «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة وبعضهم يسميه «مشكل القرآن»(١)، وهو من أول الكتب المفردة في هذا الفن، وهو مطبوع متداول.

و«فوائد في مشكل القرآن» لسلطان العلماء العز بن عبد السلام.

و«مشكلات القرآن» لمحمد أنور الكشميري.

و«مشكل القرآن» للحكيم الترمذي، وهو أكثر الأسماء تداولاً بين العلماء حول هذا الموضوع، فقد وجدت ما يقارب العشرين عالماً يطلقون عليه هذا اللفظ، كما سيأتي(٢).

فيتحصل لنا مما تقدم؛ أن لهذا العلم سبعة أسماء عند العلماء.



---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (٣/ ٢٠٢).

(٢) في مبحث أهم الكتب المؤلفة في هذا المجال بالتفصيل.



التعريف بالطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري

الطاعنون في كتاب الله هم المشككون فيه، الذين يوردون عليه الشبه والإشكالات والاضطرابات، يريدون بهذا إسقاط قدسية القرآن من قلوب المسلمين؛ لأن القرآن هو قطب رحى المسلمين الذي عليه يدورون، وهو العروة الوثقى التي بها يتمسكون، وهو المورد العذب الذي إليه يرِدون ومنه يصدُرون، وهو أساس الإسلام وركن الشريعة الركين، الذي إذا سقط سقط كل البناء، وتهدم الصرح، وقوض الإسلام، ولم تبق للمسلمين باقية ولا قوة.

وقد كَثُر الطاعنون في كل قرن، ولكن هذا القرن تميز بنوعين من الطاعنين، وهم:

الصنف الأول: المستشرقون.

الصنف الثاني: العلمانيون، أو تلاميذ المستشرقين، أو العقلانيون!... وفيما يلي نبذة مختصرة عن كل منهما.

أولاً: المستشرقون:

الاستشراق (Orientalism): تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم، ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن

الشرق، والتي تشمل حضارته، وآدابه، ولغاته، وثقافته[1].

واستُغل في أكثر مراحله لخدمة الاستعمار، وتشويه تعاليم الدين.

ونشأ هذا الفكر لما عجز النصارى عن مواجهة المسلمين بالسيف، فرأوا أن أفضل طريقة لمحاربة المسلمين هو الغزو الفكري.

ولهم طرق كثيرة للوصول إلى أهدافهم منها: تأليف الكتب، وإصدار المجلات، وإلقاء المحاضرات في المنتديات عن الإسلام والقرآن والسنة وتاريخ المسلمين، وإنشاء الجمعيات والمراكز التي تخدم أغراضهم، وعقد المؤتمرات السرية والعلنية، وإنشاء موسوعة دائرة المعارف الإسلامية وغيرها، وإرسال البعثات، وإنشاء جامعات وكليات غربية في بلاد الشرق، وغير ذلك من الوسائل.

وللاستشراق آثار أكثرها سلبي وبعضها إيجابي.

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٦٩٧)، بإشراف الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مراجعة د. مانع بن حماد الجهني، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ، الناشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.
- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، لعبدالرحمن حبنكة، دمشق، دار القلم، الطبعة الخامسة، ١٩٨٦م.
- الاستشراق والتبشير، قراءة تاريخية موجزة، د. محمد السيد الجليند، دار النهضة بحرم جامعة القاهرة.
- رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد غراب، من سلسلة إصدارات المنتدى الإسلامي.
- الاستشراق والمستشرقون، د. مصطفى السباعي، دار السلام، القاهرة.
- المستشرقون والإسلام، د. محمد قطب، مكتبة وهبة، القاهرة.
- صور استشراقية، د. عبد الجليل شلبي، دار الشرق، القاهرة.
- المستشرقون، د. عابد بن محمد السفياني، دار الفرقان، القاهرة.

فمن الآثار السلبية:

١ ـ الطعن في القرآن والسنّة، الذين هما مصدر التشريع في الدين.

٢ ـ محاولة إحياء الفرق المنحرفة الميتة، أو أفكار بعض المنحرفين كالحلاج وغيره.

٣ ـ صد الناس عن الإسلام بتشويه تعاليمه كما فعلت الموسوعة البريطانية.

٤ ـ إخراج جيل من أبناء المسلمين منسلخ عن دينه، بل محارب له.

٥ ـ التشكيك في الثوابت؛ كالجهاد، والحجاب، والميراث، والعقوبات الشرعية؛ كرجم الزاني، وقطع يد السارق، وقتل المرتد، وغير ذلك من الثوابت.

٦ ـ إخراج المرأة من جلبابها بتصوير الحجاب بأنه خرقة لا قيمة لها، ومحاولة مساواة المرأة للرجل في كل شيء، حتى في جواز تعدد الأزواج.

وأما الآثار الإيجابية فمنها:

١ ـ شهادة المنصفين منهم لصدق الإسلام وإعجاز القرآن، حتى دفع الكثير منهم لإعلان إسلامه.

٢ ـ إخراج بعض الكنوز الإسلامية التي كانت مخطوطة بتحقيقها وطبعها.

٣ ـ عمل المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.

ودوافع الاستشراق كثيرة ترجع إلى ثلاثة دوافع: استعماري، وديني، وعلمي[(١)]

---

(١) انظر: المصادر السابقة، والموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة للعقل=

ثانياً: العلمانيون[1]:

ونقصد بهم تلاميذ أولئك المستشرقين؛ الذين رضعوا منهم أفكارهم وطعونهم في كتاب الله سبحانه، ومع هذا يدّعون الإسلام، ويتكلمون باسمه، ويزعمون أنهم بهذا ما يريدون إلا الإصلاح ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١١ ـ ١٢]. وينسبون أنفسهم للعلم، فيقولون: نحن علمانيون. تلبيساً على عامة الناس.

وخطر هؤلاء أشد[2]؛ كأنهم باسم الإسلام يطعنون في الإسلام، وبزعم الدفاع عنه يحاربونه، وأسماؤهم كأسمائنا، وهم أبناء جلدتنا، فتلبيسهم على عامة الناس، بل على بعض الخاصة شديد، لذلك كان الرد على هؤلاء، وكشف أباطيلهم وتلبيساتهم من أعظم الواجبات، وآكد الفرائض، حتى تحذر الأمة منهم، وتسلم من شرهم؛ ففي الصحيحين عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ

= والقفاري (ص١٧٤ ـ ١٨٥)، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، دار الصميعي، الرياض.

(١) انظر: العلمانية، د. سفر الحوالي، مكتبة الطيب، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م. والعلمانية من نواقض الإسلام، لعبد الرحمٰن يعقوب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، القاهرة. وحصوننا مهددة من داخلها، د. محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨٢م، وغيرها.

(٢) انظر: كتاب نقض مطاعن في القرآن الكريم، لمحمد عرفة (ص٨٢).

هَدْيِي، تَعرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ». **قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ**: **«نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا. فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»**. قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ. قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[1].

وهناك نوع ثالث ولكن لا نستطيع أن نعدهم من الطاعنين، وإن كانوا قد عملوا أعمال ـ سواء عن قصد أو عن غير قصد ـ فَتَحَتِ الباب للطاعنين في القرآن[2]؛ من تأويل غير مقبول في تفسير القرآن، أو جواب عن إشكال فيه تنازل وتسليم مبطن به، أو تحريف معاني كثير من الثواب إلى معانٍ تساير العصر ـ بزعمهم ـ أو إلغائها بالكلية، أو تكلف الاستدلال بآية على ما لا تدل عليه من قريب أو بعيد[3].

---

(١) متفق عليه: البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤١١). ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند الفتن، رقم (١٨٤٧).

(٢) انظر: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، للدكتور شريف (ص٧٣٧).

(٣) مثل إنكار المعجزات كلها ما عدا القرآن، وإنكار أشراط الساعة الصغرى وبعض الكبرى مثل نزول عيسى والمهدي ويأجوج ومأجوج والدابة، وإنكار بعض الغيبيات مثل عالم الجن والملائكة، وإنكار تعدد الزوجات والحجاب وملك اليمين، وإنكار السحر، وتأويل الطير الأبابيل بالجراثيم، وإباحة بعض أنواع الربا؛ والزعم أن القرآن يدل على جواز تحضير الأرواح، وغير ذلك من سلسلة الأخطاء التي فتحها على مصراعيها تقديم العقل على النقل والانبهار بالعالم الغربي ومحاولة مسايرته.

انظر: في بيان أخطاء هؤلاء والرد عليهم: =

وهم بعض من ينتسب للمدرسة العقلية الحديثة التي تقدم العقل على النقل كالمعتزلة القديمة؛ يقول الدكتور محمد بلتاجي في مقدمة كتابه «مدخل إلى علم التفسير»: وأنه يتضمن عدّة (مباحث في عرض وتقويم بعض الدراسات المعاصرة التي تتناول النص القرآني من منطلقات ومناهج باطلة تحاول أن ترتدي ثوب التجديد والتنوير، وإنما هي في حقيقتها وجوهرها وأهدافها نفس المزاعم التي طُعن بها في القرآن الكريم منذ أوحى الله تعالى به)[1].

وقال: (وقد ظهر في عصرنا الحاضر أفراد استخدموا بعض مصطلحات المعتزلة ومقولاتهم، وتمسحوا بهم لكنهم أمعنوا السير في الطريق، ولم يقفوا عند الحد الذي توقف عنده قدماء المعتزلة، بل

= أ ـ اتجاهات التفسير في العصر الراهن، للدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب، دار البيارق، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢م.

ب ـ منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، للدكتور فهد الرومي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٢٢هـ.

ج ـ التفسير ومناهجه لدى مدرسة الإمام محمد عبده، للدكتور محمود بسيوني فوده، مطبعة الأمانة، القاهرة.

د ـ العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين الغريب، لمحمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

هـ ـ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ.د. فهد الرومي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.

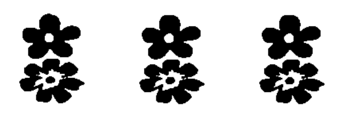
و ـ اتجاهات التفسير في العصر الحديث، للشيخ مصطفى محمد الطير، مطبعة مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، ١٩٧٥م.

ز ـ اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، أ.د. محمد إبراهيم شريف، دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

(١) مدخل إلى علم التفسير، للدكتور محمد بلتاجي (ص١)، مكتبة الشباب، مصر، ١٩٩٨م.



تجاوزوه تجاوزاً خطيراً، زعموا فيه أن الفهم الحرفي للعرش والكرسي والملائكة والجن والقلم واللوح والسحر وغيرها، يقدم تصورات ذات طابع أسطوري ـ تجاوزه التاريخ ـ نبع من الواقع الثقافي للجماعة في عصر نزول هذه الآيات المتضمنة لهذه النصوص، كما زعموا أن كثيراً من الأحكام القرآنية أصبحت تاريخية، حيث تجاوزتها أوضاع العصر وثقافته وظروفه، ولم تعد صالحة للتطبيق فيه، وتمسحوا في ذلك ببعض اجتهادات عمر بن الخطاب رضي الله عنه)[١].



(١) مدخل إلى علم التفسير (ص١٥٥).



(النظري)

الطعن في القرآن: نشأته، أسبابه، مواجهته

الفصل الأول: تاريخ الطعن في القرآن والتأليف فيه.

الفصل الثاني: أسباب الطعن في القرآن.

الفصل الثالث: مواجهة دعاوى الطعن في القرآن.





الفصل الأول

تاريخ الطعن في القرآن والتأليف فيه

وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: أول من تكلم فيه.

المبحث الثاني: أول من ألّف فيه.

المبحث الثالث: اتجاهات العلماء في التأليف في هذا المجال.

المبحث الرابع: الكتب المؤلفة فيه.



أول من تكلم فيه

وجود الإشكال في فهم القرآن، والطعن فيه بسبب ذلك موجود منذ نزوله؛ لأن القرآن ينقسم إلى أربعة أقسام: قسم لا يجهله أحد، وقسم تعرفه العرب من لغتها، وقسم يعرفه الراسخون في العلم، وقسم لا يعلمه إلا الله تعالى، كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه[1].

وأقدم نص وجدتُ فيه حدوث الإشكال على الفهم، والطعن في القرآن، واتهامه بالتعارض مع الحقائق، هو حديث الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨]؛ وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا. فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ»[2].

وهذا الطعن الذي ذكر في الحديث، مع أن النبي ﷺ أجاب عليه ، إلا أنه لا يزال يردد إلى يومنا هذا، كما سترى فيما سيأتي - إن شاء الله تعالى -.

وقد تكلم القرآن عن كثير من الطاعنين، وذكر طعوناتهم، ثم ردّ

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري مسنداً، كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (١/٧)، ولم أجده في تفسير ابن جرير بعد البحث في مظانه. وانظر: الإتقان (٣/٧).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب، رقم (٢١٣٥).



عليها رداً واضحاً بيّناً مفحماً؛ فبعضهم ادّعى أنه يستطيع أن يأتي بمثل القرآن ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ...﴾ [الأنفال: ٣١]؛ فتحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثله فعجزوا، فتحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا.

وبعضهم زعم أن هذا القرآن إنما هو من قصص الأولين وأساطير السابقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل: ٢٤]، فرد الله عليهم أنه لا يعرف أن يقرأ ولا يكتب، فكيف ينقلها؟! ثم هذه الأساطير ليست خاصة بمحمد، بل هي كتب للجميع، فلماذا لا تحضرون لنا هذه الكتب التي نقل منها؟.

وبعضهم قال: إنه تعلَّمه من غلام نصراني فقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣]، وهكذا كلما قالوا شُبْهَةً، وطعنوا طعناً، ردّ الله تعالى عليهم بحجة واضحة، وسيأتي ـ بمشيئة الله تعالى ـ مزيد بحث في هذا الموضوع في مبحث مستقل.

وحصل طعن في القرآن في عصر الصحابة: ففي زمن عمر رضي الله عنه كان في أجناد عمرو بن العاص رضي الله عنه رجل يقال له صبيغ[1]، كان يسأل عن متشابه القرآن، فكان يقول: ما المرسلات عرفاً؟ ما العاصفات عصفاً؟ تشكيكاً وتعنتاً، فأرسل به عمرو رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه، فلما علم عمر رضي الله عنه بقدومه أمر رجلاً أن يحضره وقال له: إن فاتك فعلت بك وفعلت. وكان عمر قد جهز له عراجين من نخل، فلما جاءه سأله عن أشياء، ثم قال له:

---

(١) قال ابن منظور: صُبيغٌ: اسم رجل كان يَتَعَنَّتُ الناسَ بسُؤَالات في مُشْكل القرآن، فأمر عمر بن الخطاب بضربه، ونفاه إلى البَصرة، ونَهى عن مُجالَسَتِه. لسان العرب (٨/ ٤٣٩).

من أنت؟ فقال: أنا عبد الله صبيغ. فقال: وأنا عبد الله عمر. فضربه حتى أدماه، ثم تركه حتى شفي، ثم ضربه حتى أدماه، ثم تركه حتى شفي، ثم ضربه حتى أدماه، ثم تركه حتى شفي، ثم أُحضر فقال صبيغ: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد قتلي، فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني، فقد والله برئتُ. فأرسله عمر رضي الله عنه إلى البصرة، وأمر واليها أبا موسى الأشعري رضي الله عنه بمنع الناس من مجالسته، فاشتد ذلك على الرجل، فأرسل أبو موسى رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه أن الرجل حسنت توبته، فكتب عمر رضي الله عنه أن يأذن للناس بمجالسته، فلما خرجت الحرورية قيل لصبيغ: إنه قد خرج قوم يقولون كذا وكذا، وقد مات عمر. فقال: هيهات قد نفعني الله بموعظة العبد الصالح، يعني عمر رضي الله عنه(١).

و(أَخْرَجَ عَبْد بْن حُمَيْدٍ مِنْ طَرِيق عَلِيّ بْن زَيْد، عَنْ أَبِي الضُّحَى، أَنَّ نَافعَ بْنَ الأَزْرَق، وَعَطِيَّةَ أَتَيَا ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فَقَالا: يَا ابْنَ عَبَّاس، أَخْبِرْنَا عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥﴾ [المرسلات: ٣٥]، وَقَوْلِه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ٣١﴾ [الزمر: ٣١]، وَقَوْلِه: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ٢٣﴾ [الأنعام: ٢٣]، وَقَوْلِه: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]. قَالَ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ الْأَزْرَقِ، إِنَّهُ يَوْمٌ طَوِيلٌ وَفِيهِ مَوَاقِفُ، تَأْتِي عَلَيْهِمْ سَاعَةُ لا

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٤٥٥)، تحقيق فؤاد عبد الباقي، مصر، دار إحيار التراث. ومعمر بن راشد في جامعه (١١/ ٤٢٦)، تحقيق حبيب الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ. والدارمي في سننه (١/ ٦٦)، تحقيق زمرلي، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ. وإسناد القصة صحيح، والقصة مشهورة. وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (٢/ ١٥٢)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ، فقد جمع أطراف القصة ورواياتها.

يَنْطِقُونَ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَخْتَصِمُونَ، ثُمَّ يَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ يَحْلِفُونَ وَيَجْحَدُونَ، فَإذا فَعَلُوا ذَلِكَ خَتَمَ اللهُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، وَتُؤْمَرُ جَوارِحُهمْ، فَتَشْهَدُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِمَا صَنَعُوا، ثُمَّ تَنْطِقُ أَلْسِنَتُهُمْ فَيَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِمَا صَنَعُوا، وَذَلِكَ قَوْله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾.

وَرَوَى ابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللهِ ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾؟ [المرسلات: ٣٥]، فَقَالَ: إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ حَالَاتٌ وَتَارَاتٌ، فِي حَال لا يَنْطِقُونَ وَفِي حَال يَنْطِقُونَ)[(١)].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: إِنِّي أَجِدُ فِي الْقُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ؛ قَالَ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: ٢٧]، وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]؛ فَقَدْ كَتَمُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟!، وَقَالَ: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٣٠]، فَذَكَرَ خَلْقَ السَّمَاءِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ . .﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١١] فَذَكَرَ فِي هَذِهِ خَلْقَ الْأَرْضِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ؟!، وَقَالَ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفتح: ١٤]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ١٩]، ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] فَكَأَنَّهُ كَانَ ثُمَّ مَضَى؟.

فَقَالَ ابن عباس رضي الله عنه: ﴿فَلَآ أَنسَابَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] فِي النَّفْخَةِ الْأُولَى، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ: ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا

(١) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني (٨/ ٥٥٥)، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزمر: ٦٨]، فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ، ثُمَّ فِي النَّفْخَةِ الْآخِرَةِ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: ٢٧].

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿.. مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]؛ فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ ذُنُوبَهُمْ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: تَعَالَوْا نقُلْ لَمْ نَكُنْ مُشْرِكِينَ. فَخُتِمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ، فَتَنْطِقُ أَيْدِيهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ عُرِفَ أَنَّ اللهَ لَا يُكْتَمُ حَدِيثاً، وَعِنْدَهُ ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

وَخَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ؛ وَدَحْوُهَا أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَاءَ وَالْمَرْعَى، وَخَلَقَ الْجِبَالَ، وَالْجِمَالَ، وَالْآكَامَ، وَمَا بَيْنَهُمَا فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩]؛ فَجُعِلَتِ الْأَرْضُ وَمَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَخُلِقَتِ السَّمَاوَاتُ فِي يَوْمَيْنِ.

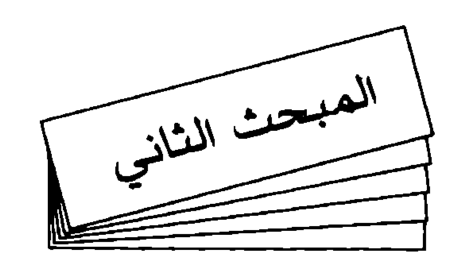
﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]، سَمَّى نَفْسَهُ ذَلِكَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يُرِدْ شَيْئاً إِلَّا أَصَابَ بِهِ الَّذِي أَرَادَ، فَلا يَخْتَلِفْ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ، فَإِنَّ كُلّاً مِنْ عِنْدِ اللهِ[1].

وغير ذلك من الآثار، وكلما بعد العهد بعصر النبوة، كلما زادت الإشكالات والطعون في القرآن.

واشتهر ابن عباس رضي الله عنه بالرد على من طعن في القرآن، كما سبق، وسيأتي التمثيل لذلك بأمثلة أخرى ـ إن شاء الله ـ.

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً: كتاب تفسير القرآن، باب سورة حم السجدة (فصلت). وقال الحافظ ابن حجر كما في الفتح (٨/ ٤١٨): وصله الطبري وابن أبي حاتم بإسناد على شرط البخاري في الصحة.



أول من ألّف فيه

ذكر السيوطي[1] أن أول من ألّف فيه هو قطرب[2]، واسم كتابه «الرد على الملحدين في متشابه القرآن»[3]، وهذا غير صحيح، فإن الإمام سفيان بن عيينة[4] له فيه كتاب هو «جوابات القرآن»[5]، وقد توفي

---

(١) في الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٧٩). وانظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/ ٥٣). والفهرست، لابن النديم (١/ ٥٧).

(٢) هو: محمد بن المستنير أبو علي البصري المعروف بقطرب، أحد العلماء بالنحو واللغة، أخذ عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين، ويقال: إن سيبويه لقبه قطرباً لمباكرته إياه في الأسحار، قال له يوماً: ما أنت إلا قطرب ليل. والقطرب: دويبة تدب ولا تفتر، نزل قطرب بغداد وسُمع منه بها أشياء من تصانيفه، وروى عنه محمد بن الجهم السمري، وكان موثقاً فيما يحكيه، وبلغني أنه مات في سنة ست ومائتين. انظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (٣/ ٢٩٨)، بيروت، دار الكتب العلمية.

(٣) ذكر هذا: ابن النديم في الفهرست (ص٧٨)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ، والداوودي في طبقات المفسرين (٢/ ٢٥٦)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) هو: الإمام المجتهد الحافظ الحجة شيخ الإسلام سفيان بن عيينة الهلالي الكوفي، ولد سنة سبع ومائة (١٠٧)، تتلمذ على الأئمة كابن دينار والزهري وابن المعتمر وغيرهم، وتلمذ عليه الأئمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وابن معين وغيرهم، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة. انظر ترجمته في: طبقات المفسرين، للداوودي (١/ ١٩٦ ـ ١٩٨)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥) ذكره ابن النديم في الفهرست (ص٥١)، والداوودي في الطبقات (١/ ١٩٨).
ولكن قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» في ترجمة محمد بن أيوب بن=

قبل قطرب، بل إن هناك من هو قبل الإمام سفيان أيضاً، وهو الإمام مقاتل بن سليمان[1] فله كتاب «الجوابات في القرآن»، ولكن هذه الكتب الثلاثة مفقودة.

ولعل أقدم الكتب التي وصلت إلينا في هذا العلم مفرداً، هو كتاب الإمام ابن قتيبة رَحِمَهُ اللهُ[2] «مشكل القرآن».

وأما الجواب عن بعض الإشكالات القرآنية في ثنايا الكتب، من غير إفراد لهذا الموضوع، فكثير؛ فقد رد الإمام مالك في موطأه على

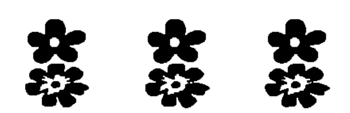
= هشام المزني المعروف بكاكا الرازي قال: روى عن الحميدي عن ابن عيينة (جوابات القرآن)، وروى عن الأصمعي نا عبد الرحمٰن قال: سألت أبي عنه فقال: هذا كذاب، لم يكن عند الحميدي من هذا شيء، وهذا شيخ كذاب. انظر: كتاب الجرح والتعديل (٧/١٩٨)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٥٢م، فالله أعلم.

(١) كبير المفسرين أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي، قال ابن المبارك: وأحسن ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، قيل: إن المنصور ألح عليه ذباب، فطلب مقاتلاً فسأله: لِمَ خلق الله الذباب؟، قال: ليذل به الجبارين، وقيل: إنه قال: سلوني عما دون العرش، فقالوا: أين أمعاء النملة؟ فسكت، وسألوه: لمّا حج آدم من حلق رأسه؟ فقال: لا أدري. قال وكيع: كان كذاباً. مات مقاتل سنة نيف وخمسين ومائة. قال البخاري: مقاتل لا شيء البتة، قلت ـ القائل هو الذهبي ـ: أجمعوا على تركه. انظر: سير أعلام النبلاء (٧/٢٠١ ـ ٢٠٢) بتصرف، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ.

(٢) ابن قتيبة: العلامة الكبير ذو الفنون، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، الكاتب، صاحب التصانيف، نزل بغداد وصنف وجمع وبعد صيته، وقد ولي قضاء الدينور، وكان رأساً في علم اللسان العربي والأخبار وأيام الناس، ومات رَحِمَهُ اللهُ في شهر رجب سنة ست وسبعين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/٢٩٦ ـ ٣٠٠) بتصرف.

أهل القدر، الذين احتجوا ببعض الآيات على مذهبهم[1]، وخصص الإمام أحمد القسم الأول من كتابه «الرد على الزنادقة والجهمية»[2] في الرد على من زعم أن القرآن متناقض، وأسماه: (باب بيان ما ضلت فيه الزنادقة من متشابه القرآن) وذكر فيه اثنتين وعشرين مسألة.

وكذلك أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي[3] المتوفى سنة ٣٧٧هـ، صنف كتابه «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» أفرد فيه باباً لمتشابه القرآن، وما يتوهم أنه من الاختلاف والتناقض، نقل فيه ما أخذه هو عن الثقات عن مقاتل بن سليمان[4].



(١) في كتاب «الجامع في باب النهي عن القول في القدر»، وباب ما جاء في أهل القدر.

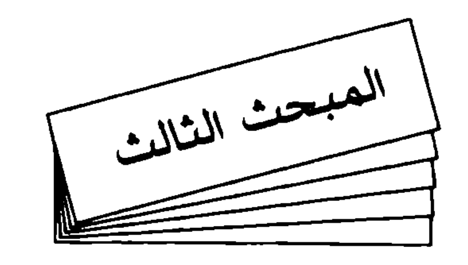
(٢) طبعته المطبعة السلفية في القاهرة سنة ١٣٩٣هـ، بتحقيق محمد حسن راشد، وعدد صفحاته ثلاث وأربعون صفحة.

(٣) محمد بن أحمد بن عبد الرحمٰن أبو الحسين الملطي، المقرئ الفقيه الشافعي، نزيل عسقلان، قال الداني: أخذ القراءة عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد وأبي بكر بن الأنباري وجماعة، مشهور بالثقة والإتقان، وسمعت إسماعيل بن رجاء يقول: كان أبو الحسين كثير العلم كثير التصنيف في الفقه جيد الشعر. قلت: له قصيدة في وصف القراءة كالخاقانية أولها:

أقول لأهل اللب والفضل والحجر   مقال مريد للثواب وللأجر

وقد حدث عن عدي بن عبد الباقي وخيثمة الأطرابلسي وأحمد بن مسعود الوزان، وروى عنه إسماعيل بن رجاء وعمر بن أحمد الواسطي وداود بن مصحح وعبيد الله بن سلمة المكتب، وقرأ عليه الحسن بن ملاعب الحلبي. انظر: معرفة القراء الكبار، للإمام الذهبي (١/ ٣٤٣)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

(٤) انظر: رسالة «موهم الاختلاف والتناقض في القرآن» (ص١٧).



اتجاهات العلماء في التأليف في هذا المجال

للعلماء في الكتابة في هذا المجال عدة اتجاهات؛ لأن منهم من يقف عند المادة التي يدرسها، والإشكالات التي ترد عليها، ومنهم من يفرد لهذه الطعون كتباً - أو أجزاء من كتب - ثم يرد عليها، وثمة من يركز على شبهات كتاب أو شخص بعينه، ومن هؤلاء من يهتم بالطعون من حيث هي، دون التفات لقائلها، وبيان ذلك على النحو التالي:

المطلب الأول

من حيث المادة التي تدرس

فلهم فيها اتجاهان على سبيل الإجمال:

١ - الجواب على الطعون والإشكالات اللغوية والنحوية:

مثل كتاب «مشكل إعراب القرآن»[١] للقيسي[٢]، و«إعراب مشكل

(١) في مجلدين، تحقيق ياسين السواس، طبع دار المأمون للتراث، دمشق.

(٢) القيسي هو: أبو بكر محمد مكي بن أبي طالب حموش بن حمد بن مختار القيسي، المقرئ أصله من القيروان، وانتقل إلى الأندلس، وسكن قرطبة، وهو من أهل التبحر في العلوم خصوصاً القرآن، كثير التصانيف، عاش اثنين وثمانين سنة، ورحل غير مرة وحج وجاور، وتوسع في الرواية، وبعُد صيته وقصده الناس من النواحي لعلمه ودينه، وولي خطابة قرطبة، وكان مشهوراً=

القرآن»[1] لثعلب[2]، وهذا الاتجاه يجيب عن كل إشكال لغوي ونحوي، وهو في حقيقته دفاع عن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا . . .﴾ [يوسف: ٢].

ولعل أول الطعون اللغوية ما اشتهر باسم: مسائل ابن الأزرق[3] مع ابن عباس رضي الله عنه:

عن حميد الأعرج، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد، عن أبيه قال:

بينا عبد الله بن عباس رضي الله عنه جالس بفناء الكعبة، قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به. فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله، فتفسرها لنا، وتأتينا بمصادقه من كلام العرب؛ فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين. فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما.

= بالصلاح والخلق، جيد الدين والعقل، توفي سنة ثمانية وسبعين وخمسمائة. انظر: شذرات الذهب (٢/ ٢٦٠).

(١) ذكره القزويني في: التدوين في أخبار قزوين (٢/ ١٥٢)، تحقيق عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

(٢) ثعلب هو: أبو العباس ثعلب أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني، مولاهم، العبسي البغدادي، علّامة الأدب، شيخ اللغة والعربية، حدث عن غير واحد، وعنه غير واحد منهم: الأخفش الصغير، وسمع من القواريري مائة ألف حديث، فهو من المكثرين، وسيرته في الدين والصلاح مشهورة، صنّف التصانيف المفيدة، منها: كتاب الفصيح، وهو صغير الحجم كبير الفائدة، وكتاب القراءات، وكتاب إعراب القرآن وغير ذلك، توفي سنة تسع وثلاثين ومائة. انظر: شذرات الذهب (١/ ٢٠٧).

(٣) هو: نافع بن الأزرق الذي ينتسب إليه الأزارقة أحد زعماء الخوارج، قتل في جمادى الآخرة سنة ٦٥هـ بالبصرة. انظر: الكامل في التاريخ، بتحقيق عبد الله القاضي (٤/ ١٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المعارج: ٣٧]، قال: العزون الحِلق الرقاق. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاؤوا يُهرعون إليه حتى ... يكونوا حول منبره عزينا

قال: أخبرني عن قوله: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] قال: الوسيلة الحاجة. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنترة وهو يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة ... أن يأخذوك تكحلي وتخضبي

قال: أخبرني عن قوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] قال: الشرعة الدين، والمنهاج الطريق. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول:

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى ... وبين للإسلام ديناً ومنهاجاً

قال: أخبرني عن قوله: ﴿إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٩] قال: نضجه وبلاغه. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

إذا ما مشت وسط النساء تأودت ... كما اهتز غصن ناعم النبت يانع

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦] قال: الريش المال. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

فرِشْني بخير طالما قد بريتني ... وخير الموالي من يريش ولا يبري

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [البلد: ٤]،

قال: في اعتدال واستقامة. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول:

يا عين هلا بكيت أربد إذ   قمنا وقام الخصوم في كبد

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ [النور: ٤٣] قال: السنا الضوء. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا سفيان بن الحارث يقول:

يدعو إلى الحق لا يبغي به بدلاً   يجلو بضوء سناه داجي الظلم

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢] قال: ولد الولد، وهم الأعوان. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

حفد الولائد حولهن وأسلمت   بأكفهن أزمة الأجمال

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: ١٣] قال: رحمة من عندنا. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت طرفة بن العبد يقول:

أبا منذرٍ أفنيتَ فاسْتَبقِ بعضنا   حنانيك بعض الشرِ أهونُ من بعضِ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الرعد: ٣١]، قال: أفلم يعلم، بلغة بني مالك. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت مالك بن عوف يقول:

لقد يئس الأقوامُ أني أنا ابنُه   وإن كنتُ عن أرضِ العشيرة نائيا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، قال: ملعوناً محبوساً من الخير. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبد الله بن الزِّبَعْرَى يقول:

إذ أتاني الشيطان في سنة النو م ومن مال ميله مثبورا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ [مريم: ٢٣] قال: ألجأها. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت حسان بن ثابت يقول:

إذ شددنا شدة صادقة فأجأناكم إلى سفح الجبل

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]، قال: النادي المجلس. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشاعر يقول:

يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب

إلى آخر تلك المسائل، وقد جاءت في كتاب «الإتقان» للسيوطي في أكثر من ثلاثين صفحة[1].

وقد بلغت الأبيات التي استشهد بها ابن عباس رضي الله عنه في شرح ألفاظ القرآن الكريم، التي سئل عنها مائة وواحداً وتسعين بيتاً. يقول السيوطي عنها: أنه حذف منها بضعة عشر سؤالاً، وهذا يدل على أن أسئلة نافع بن الأزرق وأجوبة ابن عباس رضي الله عنه، والأبيات التي استشهد بها قد زادت كل منها على المائتين[2].

٢ ـ الجواب على الطعون والإشكالات المعنوية:

أي الطعون التي سببها عدم فهم المعنى، أو القصور في فهمه، أو سوء القصد، وهذا النوع هو الأكثر، ويذكر في ثنايا هذه الكتب الجواب على المطاعن والإشكالات العقدية والفقهية واللغوية أيضاً؛ إذا كان لها

(١) انظر: الإتقان، للسيوطي (٢/ ٥٥ ـ ٨٨)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) مدخل إلى علم التفسير (ص٧١ ـ ٧٢).

أثر في فهم المعنى، وهذا النوع هو الأكثر والأشهر، وهو الذي نتكلم عنه في هذا البحث، ومن ذلك ـ على سبيل المثال ـ:

الجمع بين قوله: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧]، مع ما حصل من النسخ، والجمع بين قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥]، مع قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، والجمع بين قوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾ [البلد: ١]، وقوله: ﴿وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين: ٣]، إلى غير ذلك من المسائل والتي سأذكر كثيراً منها في هذه الرسالة.

المطلب الثاني

من جهة إفراده في التأليف

فإن العلماء يتجهون في الكتابة في هذا الموضوع إلى اتجاهين:

الأول: إفراد هذه الطعون بكتب والرد عليها، مثل كتاب «مشكل القرآن» لابن قتيبة وغيره من الكتب التي سوف يأتي ذكرها في المبحث القادم.

الثاني: ذكر الطعن في ثنايا الكتاب والرد عليه، كما فعل بيان الحق النيسابوري في كتابه «وضح البرهان في مشكلات القرآن»(١)، والرازي في كتابه «مفاتيح الغيب»، وكثير من المفسرين الذي يتعرضون للرد على هذه الطعون في ثنايا كتبهم.

---

(١) وضح البرهان في مشكلات القرآن، لبيان الحق النيسابوري، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

المطلب الثالث

من حيث المردود عليه

ولهم في ذلك طريقتان:

الأولى: تهتم بالرد على شبهات وطعونات شخص معين أو كتاب معين، مثل ابن حزم الأندلسي في رده على ابن النغريلة اليهودي، ومثل الرد على طه حسين[1] في زعمه وجود أحرف زائدة في القرآن وإنكاره قصة إبراهيم، والدعوة لترجمة كل ما عند الغرب، وإحياء التراث الباطني والشعوبي العربي، وغمز نظام الحكم الإسلامي، والسخرية بالصحابة، وغير ذلك[2]، ونصر أبو زيد في دعواه وجوب التحرر من تطبيق نصوص الكتاب والسنّة، وأن القرآن منتج ثقافي يقبل النقد، وزعمه عدم وجود الإعجاز في القرآن، وغير ذلك، والرد على دائرة المعارف الإسلامية في زعمها تحريف القرآن، ونقله من التوراة والإنجيل، وغير ذلك مما سيأتي في تفصيله والرد عليه.

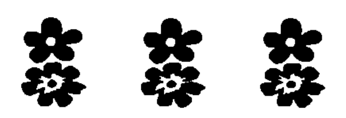
---

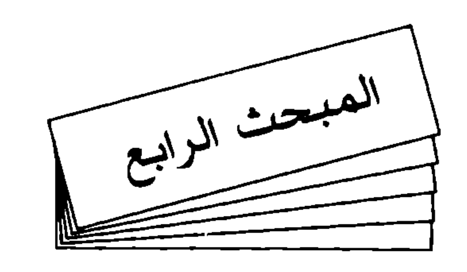
(١) طه بن حسين بن علي بن سلامة، ولد ١٨٨٩م، وتوفي ١٩٧٣م، دكتور في الأدب، من كبار المحاضرين، ولد في قرية الكيلو بمغاغة بمحافظة المنيا، وأصيب بالجدري في الثالثة من عمره فكفّ بصره. وبدأ حياته في الأزهر، ثم بالجامعة المصرية القديمة. وهو أول من نال شهادة الدكتوراه منها عام ١٩١٤م، بكتاب ذكرى أبي العلاء، وسافر في بعثة إلى فرنسا، فتخرّج بالسوربون عام ١٩١٨م، وعاد إلى مصر فعيّن محاضراً في كلية الآداب بجامعة القاهرة. ثم كان عميد تلك الكلية فوزير المعارف، وكان من أعضاء المجلس العلمي العربي بدمشق، ثم رئيساً لمجمع اللغة العربية بمصر. ثارت حوله ضجة كبيرة بسبب جرأته الكبيرة في التعدي على القرآن وثوابت الإسلام لا سيما في كتابه: الشعر الجاهلي. وله مؤلفات كثيرة. انظر: الأعلام، للزركلي (٣/ ٢٣١).

(٢) انظر: محاكمة فكر طه حسين، لأنور الجندي، دار الاعتصام.



الثانية: تهتم في الطعون من حيث هي، بغض النظر عمن قالها؛ فيجمع الطعون ثم يرد عليها، مثل «الروض الريان في أسئلة القرآن» لشرف الدين بن ريان، و«وضح البرهان» ـ السابق ـ لبيان الحق النيسابوري، و«دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب» للشنقيطي وغيرهم، وهذه الطريقة هي الأشهر في هذا الباب، وهي الطريقة التي سرت عليها في هذه الرسالة.





أهم الكتب المؤلفة فيه

وهذا المبحث كالكشاف الذي يُعرِّف بالكتب المؤلفة في هذا الموضوع، وأسمائها، ومؤلفيها، وأماكن طبعها إن كانت مطبوعة، أو أماكن وجودها إن كانت مخطوطة، أو أماكن ذكرها في الكتب إن كانت مفقودة، وهذا بحسب وسْعي واطلاعي، وهي على النحو التالي:

أولاً: المطبوع:

١ ـ «فوائد في مشكل القرآن» لسلطان العلماء العز بن عبد السلام، طبع عام ١٣٨٧هـ ثم ١٤٠٢هـ، بتحقيق د. سيد رضوان الندوي، نشرته دار الشروق في جدة.

٢ ـ «مشكلات القرآن» لمحمد أنور الكشميري، سلسلة مطبوعات المجلس العلمي، الهند، الطبعة الثانية.

٣ ـ «أضواء على متشابهات القرآن»، لخليل ياسين، من منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

٤ ـ «الإكليل في المتشابه والتأويل» لابن تيمية، طبع في القاهرة، ١٣٩٤هـ، رسالة صغيرة.

٥ ـ «درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز» للخطيب الإسكافي (٤٢٠هـ)، طبع في بيروت عن دار الآفاق الجديدة سنة ١٩٧٩م، في مجلد من ٥٤٤ صفحة.

٦ ـ «رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات» لمحمد الأسعردي الدمشقي شمس الدين ابن بلبان (٧٤٩هـ)، انظر: «معجم المطبوعات» (ص:٢٢٩)، وسماه الداوودي: «إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات» كما في طبقات المفسرين للداوودي (ص:٨١).

٧ ـ كتاب «مشكل القرآن» أو «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة، وقد تقدم.

٨ ـ كتاب «المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير» لابن قتيبة أيضاً، طبعته دار ابن كثير في دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

٩ ـ «متشابه القرآن» للسيوطي (٩١١هـ)، مطبوع في القاهرة، ولا تاريخ له.

١٠ ـ «وضح البرهان في مشكلات القرآن» لبيان الحق النيسابوري، حققه صفوان داوودي، وطبعته دار القلم في دمشق، ١٩٩٠م، الطبعة الأولى.

١١ ـ «متشابه القرآن» لعبد الجبار الهمذاني (٤١٥هـ)، طبع في القاهرة، دار التراث، ١٩٦٩م، تحقيق عدنان زرزور.

١٢ ـ «متشابه القرآن» لعدنان زرزور، طبع في دمشق، دار المعارف، ١٩٧٠م.

١٣ ـ «متشابه التنزيل» لمؤلف مجهول، طبع في مكة في المطبعة المنيرية سنة ١٣١١هـ.

١٤ ـ «تنزيه القرآن عن المطاعن» للقاضي عبد الجبار، طبع في بيروت، دار النهضة، بتحقيق عدنان زرزور.

١ ـ «تفسير المشكل من غريب القرآن» لأبي محمد بن أبي طالب القيسي، طبع سنة ١٤٠٦هـ في الرياض، نشر مكتبة المعارف، بتحقيق د. علي حسين البواب، وهو صاحب كتاب «مشكل إعراب القرآن» المتقدم ذكره في مبحث اتجاهات العلماء في التأليف في هذا المجال.

١ ـ كتاب «القرطين» لابن مطرف الكناني، جمع فيه بين كتابي «مشكل القرآن» و«غريبه» لابن قتيبة، طبع بمطبعة دار المعرفة في بيروت.

١ ـ «باهر القرآن في معاني مشكلات القرآن» لبيان الحق النيسابوري، طبع بمطابع جامعة أم القرى في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، تحقيق سعاد بنت صالح بابقي.

١ ـ «مدخل تفسير القرآن والرد على الملحدين» للحدادي، طبع في دار القلم بدمشق، بتحقيق صفوان داوودي.

١ ـ «فتح الرحمٰن بكشف ما يلتبس في القرآن» لشيخ الإسلام أبي يحيى بن زكريا الأنصاري، طبع عام ١٤٠٣هـ، بتحقيق محمد الصابوني، بمطابع دار القرآن الكريم في بيروت.

٢ ـ «إيضاح المشكلات» للكشاني، ذكره الزركلي في الأعلام (٦/ ٦٣)، ورمز له بأنه مطبوع.

٢ ـ «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» محمد الأمين الشنقيطي (صاحب الأضواء)، طبعته مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٢ ـ «دفاعاً عن القرآن ضد منتقديه» د. عبد الرحمٰن بدوي، طبعته الدار العالمية للكتب والنشر.

٢ ـ «ملاك التأويل» لابن الزبير الغرناطي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٤ ـ «الروض الريان في أسئلة القرآن» شرف الدين بن ريان، طبع مكتبة دار العلوم والحكم في المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٢٥ ـ «رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات» لابن اللبان (٧٤٩هـ)، انظر: «معجم المطبوعات العربية» (ص: ٢٢٩) ليوسف إلياس سركيس، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٢٨م.

ثانياً: المخطوط:

١ ـ «أسئلة القرآن وأجوبتها» لأبي بكر الرازي، ومنه نسخة مخطوطة في جامعة الملك سعود في الرياض.

٢ ـ «أوضح البرهان في مشكلات القرآن» لمؤلف مجهول، منه نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم: ٣٥٤٠، مكتوبة سنة ١٢٢١هـ.

٣ ـ «توضيح المشكل في القرآن» لسعيد الغساني بن الحداد، منه قطعة مخطوطة في جامع القيروان.

٤ ـ «حل الآيات المتشابهات» لابن فورك (٤٠٦هـ)، مخطوط في ٧٤ ورقة بخزانة عاطف بإستنبول تحت رقم: ٤٣٣.

٥ ـ «حل متشابهات القرآن» ويسميه بعضهم «درة التأويل في متشابه التنزيل» ويسميه آخرون «كشف مشكلات القرآن» للراغب الأصفهاني، انظر: مقدمة تحقيق كتاب «المفردات» للراغب، تحقيق عدنان داوودي، (ص: ٩)، وهو مخطوط في مكتبة راغب باشا رقم: ١٨٠، وله مخطوطة أخرى في المتحف البريطاني.

٦ ـ «مشكلات القرآن» لأبي داود سليمان بن أشعث السجستاني، صاحب السنن، توجد منه نسخة خطية في فاتح كتبخانة سي في إستنبول بتركيا، رقمه في الفهرس (٦٤٦).

٧ ـ «الموضح في معاني القرآن وكشف مشكلات الفرقان» لعبد العزيز الصيدلاني المرزباني من علماء القرن الرابع الهجري، منه نسخة مخطوطة في مكتبة أيا صوفيا رقم: ٢٩٧.

٨ ـ «إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات» لابن اللبان (٧٤٩هـ)، انظر: «الأعلام» للزركلي (٥/ ٣٢٧) ورمز له أنه مخطوط، ثم إني وجدت كتاباً حافلاً جامعاً لأغلب المخطوطات الإسلامية في العالم؛ وهو كتاب «الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط» من إصدار المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، ويطلق عليها اسم «مؤسسة آل البيت» في الأردن، وتم إصدار سبعة وعشرين مجلداً منه، منها في علوم القرآن «مخطوطات التفسير وعلومه» في مجلدين، يذكر فيه عنوان المخطوط، واسم مؤلفه، ومكان وجوده، ورقمه فيه، وهو مرتب هجائياً.

ومن المخطوطات التي وجدتها داخلة في علم مشكل القرآن:

٩ ـ «الأجوبة الجلية على الأسئلة الخفية» للمصري.

١٠ ـ «الأجوبة السنية على الأسئلة الرومية».

١١ ـ «أجوبة على أحد عشر سؤالاً تتعلق بمشكلات تفسير القرآن الذي وضعه العز ابن عبد السلام» للسندي.

١٢ ـ استشكالات عمر بن عبد السلام في تفسير الفاتحة، والأجوبة عنها» لابن زكريا.

١٣ ـ «الأسئلة المفخمة في الأجوبة المفهمة» للرازي.

١٤ ـ «أسئلة القرآن وأجوبتها» للواحدي.

١٥ ـ وبنفس العنوان للرازي.

١٦ ـ ولعزة سيدي.

١٧ ـ وللمصري.

١٨ ـ «متشابه القرآن» للكسائي.

١٩ ـ «حل مشكلات القرآن» للمرعشي.

٢٠ ـ «شرح مغمضات القرآن».

٢١ ـ «أوضح البرهان في مشكلات القرآن».

٢٢ ـ «الأنوار في مشكلات آيات من القرآن» للشطيبي.

٢٣ ـ «التبيان في متشابه القرآن» للسيوطي.

٢٤ ـ «تتمة البيان لما أشكل من القرآن» لأبي شامة.

ثالثاً: المفقود:

١ ـ «جوابات القرآن» لسفيان بن عيينة، ذكره ابن النديم في «الفهرست» (ص:٥١)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ، والداوودي في «الطبقات» (١/ ١٩٨).

٢ ـ «الآيات المتشابهات» لبقي بن مخلد، انظر: «معجم مصنفات القرآن الكريم» (٤/ ١٩٤)، د. علي شواخ إسحاق، الرياض، دار الرفاعي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣ ـ «الرد على الملحدين في متشابه القرآن» لقطرب، ذكره ابن النديم في «الفهرست» (ص:٧٨)، وذكر الزركشي أنه اطلع عليه كما في «البرهان في علوم القرآن (٢/ ٥٣).

٤ ـ «مشكل القرآن» للحكيم الترمذي، ذكره القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٣٠)، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٥ ـ «معاني القرآن وغريبه ومشكله» للمفضل بن سلمة، انظر: «الفهرست» لابن النديم (١/ ٥١)، والمفضل هو ابن سلمة بن عاصم أبو طالب، وكان فهماً فاضلاً، كوفي المذهب، أديباً لغوياً، كان حيّاً في سنة تسعين ومائتين، انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب (١٣/ ١٢٤).

٦ ـ «معاني القرآن وتفسيره ومشكله» لابن جراح الوزير، انظر: «الفهرست» لابن النديم (١/ ٥١).

٧ ـ «مشكل القرآن» لابن الأنباري، ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٥١٢)، وابن طاهر في «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٨٧٥)، تحقيق حمدي السلفي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، و«طبقات المفسرين» للداوودي (ص: ٢٣١).

٨ ـ «مشكل القرآن» لأبي محمد القتيبي، ذكره القزويني في «التدوين في أخبار قزوين» (٢/ ١٨٣).

٩ ـ «معاني مشكل القرآن» لبعض تلامذة المبرد، ذكره السيوطي في كتاب «التطريف في التصحيف» (ص: ٢٥)، تحقيق علي حسين البواب، دار الفائز، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٠ ـ «مشكل القرآن» لابن فورك، ذكره ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (١/ ٢٣٧)، بيروت، دار الفكر.

١١ ـ «مشكلات التفسير» لقطب الدين محمود الشيرازي، ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» (٢/ ١٦٩٥).

١٢ ـ «مشكلات القرآن» لمكي بن أبي طالب القيسي، المصدر السابق في نفس الصفحة.

١٣ ـ «جوابات القرآن» لأحمد المهرجاني المقرئ، ذكره ابن كثير الداوودي في «طبقات المفسرين» (١/ ٥٥).

١٤ ـ «البرهان في مسائل القرآن» لابن قدامة المقدسي، ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٣/ ٩٩)، و«الأعلام» (٤/ ٦٧).

١٥ ـ «البرهان في مشكلات القرآن» لأبي المعالي بن منصور الجيلي المعروف بشيذله (٤٩٤هـ)، ذكره في «وفيات الأعيان» (١/ ٣١٨)، «كشف الظنون» (١/ ٢٤١)، و«طبقات المفسرين» لأحمد الأدنروي (ص: ٤٠٧)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٣٢).

١٦ ـ «بيان مشتبه القرآن» لعيسى اللخمي الشرشيني (٦٢٩هـ)، «لسان الميزان» لابن حجر (٤/ ٤٠١)، «غاية النهاية» (١/ ٦٠٩).

١٧ ـ «تأويلات القرآن» لأبي منصور الماتريدي (٣٣٣هـ)، ذكره في «الأعلام» (٧/ ٢٤٢).

١٨ ـ «تأويل متشابهات القرآن» لابن شهر آشوب (٥٨٨هـ)، انظر: «الأعلام» (٧/ ١٦٧).

١٩ ـ «التبيان في مسائل القرآن» لأحمد بن إسماعيل الطالقاني القزويني (٥٨٩هـ)، انظر: «الأعلام» (١/ ٩٣).

٢٠ ـ «تيجان التبيان في مشكلات القرآن» لمحمد أمين الخطيب العمري (١٢٠٣هـ)، انظر: «الأعلام» (٦/ ٤١).

٢١ ـ كتاب «التنزيه وذكر متشابه القرآن» للحسن النوبختي، ذكره في: «إيضاح المكنون» (٤/ ٢٨٣).

٢٢ ـ كتاب «الجوابات في القرآن» لمقاتل بن سليمان ذكره «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين (١/ ٢٠٠)، وله أيضاً (متشابه القرآن) ذكره «الأعلام» (٨/ ٢٠٦)، وله (الآيات المتشابهات) «طبقات المفسرين» للداوودي (٢/ ٣٣١)، وكلها مفقودة، ولعلها أسماء لنفس الكتاب.

٢٣ ـ «كشف غوامض القرآن» لابن طريح الرماحي النجفي (١٠٨٥هـ)، ذكره الزركلي في «الأعلام» (٥/ ٣٣٧).

٢٤ ـ «كشف المعاني عن متشابه المثاني» لابن جماعة (٧٣٣هـ)، ذكره «إيضاح المكنون» (٤/ ٣٦٧).

٢٥ ـ «متشابه القرآن» للكسائي (١٨٧هـ)، ذكره «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين (١/ ٢٢١).

٢٦ ـ «متشابه القرآن» لأبي الحسن بن المنادي، انظر: «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين (١/ ٢١٣).

٢٧ ـ «متشابهات الكتاب» للسخاوي، ذكره «إيضاح المكنون» (٤/ ٤٢٦).

٢٨ ـ «مجالس في المتشابه من الآيات القرآنية» لابن الجوزي، ورد ذكره في مصادر ترجمته، انظر على سبيل المثال: «الأعلام» (٤/ ٨٩).

٢٩ ـ «مشكل القرآن» لابن مطرف الكناني، ذكره «الأعلام» (٦/ ٢٠٦).

٣٠ ـ «هداية الصبيان لفهم بعض مشكل القرآن» للميهي المقري الشافعي، ذكره «إيضاح المكنون» (١/ ٥٨٢).

٣١ ـ «البرهان في مسائل القرآن» لعبد الله الجماعيلي المقدسي (ت٦٢٠هـ)، انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٣/ ٩٩)، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.

٣٢ ـ «ضياء القلوب من معاني القرآن وغريبه ومشكله» للمفضل بن سلمة، ذكره ابن النديم في «الفهرست» (١/ ٥١).

٣٣ ـ «كشف المشكلات وإيضاح المعضلات» لأبي الفتح بن منعة الموصلي الشافعي، ذكره البغدادي في «إيضاح المكنون» (٢/ ٣٦٧).

٣٤ ـ «كشف غوامض المنقول في مشكل الآيات والآثار وأخبار الرسول» لمحمد العمري الشافعي، الشهير بسبط المرصفي، ذكره إسماعيل باشا في «إيضاح المكنون» (٤/ ٣٦٣).

٣٥ ـ «مشكلات المثنوي»، ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» (٢/ ١٦٩٥) ولم يبين اسم المؤلف ولم يذكر نبذة عن الكتاب.

٣٦ ـ «درر الكلمات على غرر الآيات الموهمة للتعارض والشبهات» لبيان الحق النيسابوري، ذكره في «معجم المؤلفين» (١٢/ ١٨٢) و«إيضاح المكنون» (٢/ ٥٨)، وانظر: مقدمة تحقيق «وضح البرهان» للداوودي (١/ ١٤)، وبهذا يكون الإمام بيان الحق النيسابوري له ثلاث كتب في هذا الفن وهي «وضح البرهان» و«باهر البرهان» وهما مطبوعان، و«درر الكلمات» وهو مفقود.

٣٧ ـ «جوابات القرآن» للإمام أحمد بن حنبل، ذكره الداوودي في «طبقات المفسرين» (١/ ٧٢).

٣٨ ـ «متشابه القرآن» لبشر بن المعتمر (٢١٠هـ)، ذكره الداوودي في «طبقات المفسرين» (١/ ١١٧).

٣٩ ـ «متشابه القرآن» لجعفر بن حرب الهمذاني (٢٣٦هـ)، ذكره الداوودي في «طبقات المفسرين» (١/ ١٢٧).

٤٠ ـ «المشكل» لداود بن علي الظاهري (٢٧٠هـ)، ذكره الداوودي في «طبقات المفسرين» (١/ ١٧٣)، ولم يذكر هل هو مشكل القرآن أو الحديث.

٤١ ـ «متشابه القرآن» لأبي البقاء العكبري (٦١٦هـ)، ذكره الداوودي في «طبقات المفسرين» (١/ ٢٣٢).

٤٢ ـ «ري الظمآن في متشابه القرآن» لعبد الله بن عبد الرحمٰن الأنصاري

الأندلسي (٦٣٤هـ)، انظر: «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون» لإسماعيل باشا البغدادي (٣/ ٦٠٤)، إستنبول، الطبعة الأولى، ١٩٤٥م.

٤٣ ـ «متشابه القرآن» لحمزة الزيات (١٥٦هـ)، انظر: «الفهرست» لابن النديم (ص:٣٦).

٤٤ ـ «متشابه القرآن» لنافع (١٧٠هـ)، انظر: «الفهرست» لابن النديم (ص:٣٦).

٤٥ ـ «متشابه القرآن» لخلف (٢٢٩هـ)، انظر: «الفهرست» لابن النديم (ص:٣٦).

٤٦ ـ «متشابه القرآن» لمحمود الوراق (٢٣٠هـ)، انظر: «الفهرست» لابن النديم (ص:٣٦).

٤٧ ـ «متشابه القرآن» لأبي هذيل العلاف (٢٣٥هـ)، انظر: «الفهرست» لابن النديم (ص:٣٧).

٤٨ ـ «متشابه القرآن» لأبي علي الجبائي شيخ المعتزلة (٣٠٣هـ)، انظر: «طبقات المفسرين» للداوودي (٢/ ١٩٢)، و«الفهرست» لابن النديم (ص:٣٧).

٤٩ ـ «متشابه القرآن» لأبي بكر القطيعي (٣٦٨هـ)، ذكره في «إيضاح المكنون» (٤/ ٤٢٦).

٥٠ ـ «متشابه القرآن» لأبي الحسن المنادي (٣٣٦هـ)، انظر: «تاريخ التراث العربي (١/ ٢١٣).

٥١ ـ «نفي التحريف عن القرآن الشريف» للواحدي، انظر: «طبقات المفسرين» للأدنروي (ص:١٢٨).

٥٢ ـ «المسائل في القرآن» للجاحظ (٢٥٥هـ)، انظر: «طبقات المفسرين» للداوودي (٢/ ١٦).

٥٣ ـ «أجوبة الإقناع والاحتساب في مشكلات مسائل الكتاب» محمد بن الفخار الجذامي (٧٠٣هـ)، انظر: «طبقات المفسرين» للداوودي (٢/ ٢١٢).

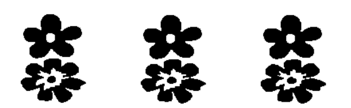
٥٤ ـ «كتاب المشكلين: مشكل القرآن والسنّة» لأبي بكر بن العربي (٥٤٣هـ)، انظر: «طبقات المفسرين» للداوودي (٢/ ١٦٩).

٥٥ ـ «غوامض التأويل» لأبي سعيد الشلوبين الإشبيلي (٦٤١هـ)، انظر: «طبقات المفسرين» للداوودي (٢/ ٢٦٨).

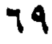
٥٦ ـ «مشكل القرآن» لابن نجيح النفزي (٤٣٧هـ)، انظر: «طبقات المفسرين» للداوودي (٢/ ٣٣٨).

ويلاحظ فيما سبق أن أكثر الكتب هي المفقودة، مما يتطلب من العلماء وطلبة العلم البحث عنها، وإخراج هذه الكنوز للأمة، والإفادة منها في تفنيد شبهات الطاعنين والمشككين.

ولا ننسى أيضاً تلك المخطوطات الصادرة عن (مؤسسة آل البيت) والمتصلة منها بالتفسير وعلومه، وقد أشرنا إلى طرف منها في نهاية الكلام السابق عن المخطوطات[1].



(١) انظر: (ص٦٢).




Tafsir Center for Qur'anic Studies

الفصل الثاني

أسباب الطعن في القرآن

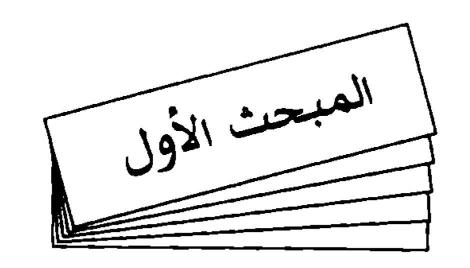
وفيه أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: لماذا هذه الحرب على القرآن؟.

المبحث الثاني: الحكمة من وجود المتشابه في القرآن.

المبحث الثالث: أنواع المطاعن.

المبحث الرابع: أسباب الاختلاف في القرآن.



لماذا هذه الحرب على القرآن؟

عرف أعداء الله أهمية كتاب الله تعالى في نفوس المسلمين، ومدى تعلقهم به، وعلموا أنه هو باعث نهضتهم، ومحيي همتهم، وموحد كلمتهم، وسبب نجاتهم وقوتهم.

يقول الحاخام الأكبر لإسرائيل سابقاً مردخاي الياهو، مخاطباً مجموعة على وشك الالتحاق بالجيش الإسرائيلي: (هذا الكتاب الذي يسمونه القرآن هو عدونا الأكبر والأوحد، هذا العدو لا تستطيع وسائلنا العسكرية مواجهته، كيف يمكن تحقيق السلام في وقت يقدّس العرب والمسلمون فيه كتاباً يتحدث عنا بكل هذه السلبية؟! على حكّام العرب أن يختاروا؛ إما القرآن أو السلام معنا)[1].

وفي بدايات هذا القرن كان الجنود الإيطاليون يتغنون بأنشودتهم: (أنا ذاهب إلى ليبيا فرحاً مسروراً، لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة ومحو القرآن، وإذا مت يا أماه فلا تبكيني، وإذا سألك أحد عن عدم حدادك فقولي: لقد مات وهو يحارب الإسلام)[2].

ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر: (إننا لن ننتصر على

---

(١) انظر: مجلة البيان، العدد (١٥٩)، بتاريخ ذو القعدة، ١٤٢١هـ، وجريدة البلاد (السعودية)، ٣٠ رجب، ١٤٢١هـ.

(٢) انظر: صلاح الأمة في علو الهمة، لسيد عفاني (٦/ ٥٧٥).

الجزائريين ما داموا يقرأون القرآن، ويتكلمون العربية)[1].

ويقول وليم جيفورد[2]: (متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابه)[3].

ويقول اللورد كرومر في مصر: (جئت لأمحو ثلاثاً: القرآن والكعبة والأزهر)[4].

يقول جون تاكلي[5]: (يجب أن نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح ضد الإسلام نفسه، بأن نعلم هؤلاء الناس ـ يعني المسلمين ـ أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد ليس صحيحاً)[6].

ويقول غلادستون ـ وزير المستعمرات البريطاني سنة ١٨٩٥م، ثم رئيس الوزراء ـ: (لن تحقق بريطانيا شيئاً من غاياتها في العرب، إلا إذا سلبتهم سلطان هذا الكتاب، أخرجوا سر هذا الكتاب ـ القرآن ـ مما بينهم تتحطم أمامكم جميع السدود)[7].

---

(١) قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام أبيدوا أهله، لجلال العالم (ص٣١).

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) المرجع السابق (ص٤٩).

(٤) الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون، أنور الجندي (ص٢٩)، دار الاعتصام، سلسلة دائرة الضوء.

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي (ص٣٢٩)، الدورة السابعة، العدد (٧)، الجزء الرابع لعام ١٩٩٢م. ورد افتراءات المبشرين على القرآن الكريم، لجمعة (ص٢٦٣). وواجب المسلمين في نشر الإسلام، للأستاذ زيد الفياض (ص١٩).

(٧) القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان، أحمد عمران (ص١٧)، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

وقال أيضاً: (ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا تكون هي نفسها في أمان)[1].

إذن هم يعرفون أن القرآن مصدر قوة المسلمين؛ لذلك أعلنوا الحرب على كتاب الله، وهذه الحرب قديمة قدم نزول القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦]؛ يعني أن الغلبة لهم على المسلمين إنما تكون باللغو والطعن في القرآن[2].

ومن أهداف الطعن في كتاب الله:

١ ـ حرب المسلمين؛ لأن الكفار رأوا أن أهل الإسلام لا يمكن قهرهم بالسنان والحروب العسكرية؛ لأنهم قوم يحبون الموت كما هم يحبون الحياة، وإنما كان هذا الحب للشهادة في نفوس المسلمين، لما في كتاب الله من الثناء والحث على الشهادة في سبيله، لذلك توجهوا بالحرب إلى القرآن حتى ينتزعوا القدسية عن القرآن، ويثبتوا أنه ليس من عند الله تعالى، بل من عند محمد ﷺ، ومن ثَم يتم إبعاد المسلمين عن مصدر توحيدهم وسر قوتهم.

٢ ـ فتح باب النزاع والشقاق بين المسلمين على مصراعيه، يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ [البقرة: ١٧٦]، وهذه الآية وإن كانت

---

(١) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، للدكتور فهد الرومي (ص٤٤٢)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٢هـ، هجمة علمانية جديدة ومحاكمة النص القرآني، د. كامل سعفان (ص٩٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٣٥٦).

نزلت في أهل الكتاب إلا أن من فعل فعلهم حصل له ما حصل لهم من النزاع والشقاق(1).

٣ ـ زرع الفتن بين المسلمين كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ...﴾ [آل عمران: ٧].

٤ ـ هدم الإسلام؛ فقد روي عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ زِيَادِ بْنِ حُدَيْر، قَالَ: (قَالَ لِي عُمَرُ: هَلْ تَعْرِفُ مَا يَهْدِمُ الْإِسْلَامَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: يَهْدِمُهُ زَلَّةُ الْعَالِمِ، وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ، وَحُكْمُ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ)(2).

وبهذا يتحقق لهم ما يريدون، ويصبح المسلمون صيداً سهلاً، بل قد يصبح المسلمون في صف الكفار وأتباع ملتهم؛ ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وللأسف فقد تحقق لهم الكثير من هذا، فقد عُزل الكتاب عن التحكيم بين الناس، واستبدل بقانون الغرب.

وصدق رسول الله ﷺ كما جاء عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خذوا العطاء ما دام العطاء لله، فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه، ولستم بتاركيه، يمنعكم الفقر والحاجة، ألا إن رحى الإسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب، ألا إنه سيكون عليكم أمراء

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٨).

(٢) أخرجه الدارمي: المقدمة، كتاب في كراهية أخذ الرأي، رقم (٢١٤).

يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم، فإذا عصيتموهم قتلوكم، وإن أطعتموهم أضلوكم»، قالوا: يا رسول الله كيف نصنع؟ قال: «كما صنع أصحاب عيسى ابن مريم، نُشِروا بالمناشير وحُمِّلوا على الخشب، موتٌ في طاعة الله خير من حياة في معصية الله»[1].



---

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (٢/ ٤٢)، والكبير (٢٠/ ٩٠)، وفي مسند الشاميين (١/ ٣٧٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٢٨): رواه الطبراني ويزيد بن مرثد لم يسمع من معاذ، والوضين بن عطاء وثقه ابن حبان وغيره، وبقية رجاله ثقات.



الحكمة من وجود المتشابه في القرآن

والباعث على البحث في هذا هو الجواب على شبهة: «أن القرآن إنما أنزل للهدى والبيان فكيف اشتمل على المتشابه»؟.

وقد تكلم في جواب هذا كثير من العلماء، وخاضوا في حكمة إنزال المتشابه، وذكروا أموراً بعضها قوي، وبعضها لا يخلو من مقال، وبعضها يتعجب الناظر فيه كيف أمكن أن يقال، وبعضها لا يستحق الذكر.

أما أمثلها وأقواها فيما قال العلماء، فهو أن الحكمة من إنزال المتشابه **تتجلى في أمور**:

الأول: أن الله أنزله مختبراً به عباده؛ فأما المؤمن فلا يداخله فيه شك ولا يعتريه ريب، وهو بين أمرين: إما قادر على رده إلى المحكم، وإما قائل: آمنا به كل من عند ربنا؛ إن لم يتبين له معناه؛ فأمره كله خير، وتعظم بذلك مثوبته، وتزيد عند الله تعالى درجته.

وأما المنافق فيرتاب ولا يزيده القرآن إلا خساراً. وأما من كان في قلبه زيغ ـ كأهل البدع ـ فيتبعون المتشابه؛ ليفتنوا الناس عن القرآن وصحيح السنّة وينزلوه على مقتضى بدعتهم.

وسياق الآية وما بعدها دال على أن هذا من حكمة إنزال المتشابه؛ إذ قال تعالى: ﴿... وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ



﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران: ٧ ـ ٨].

فالمؤمنون رغبوا إلى ربهم أن لا يزيغ قلوبهم كما زاغت قلوب أهل الزيغ، إذ هو ـ أي المتشابه ـ فتنة للعقول والقلوب، وسألوا أن ينزل عليهم رحمة يربط بها على قلوبهم وعقولهم فلا تزيغ. وفي هذا إشارةٌ إلى أن أهل الزيغ والبدعة محرومون من بركة هذا الدعاء، كل بحسب بدعته، وبعده عن السُّنّة.

وقد ذكر الله في القرآن أنه ينزل ما يمتحن به عباده؛ ليزداد الذين آمنوا إيماناً؛ ويضل غيرهم من أهل الضلال، كما قال تعالى:

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٢٦﴾ [البقرة: ٢٦].

قال الشيخ السعدي[1] في تفسيره: (يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا﴾ أيُّ مَثَلٍ كان ﴿بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ لاشتمال الأمثال على الحكمة وإيضاح الحق، والله لا يستحيي من الحق ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ﴾ فيفهمونها ويتفكرون فيها،

---

(١) عبد الرحمٰن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي (١٣٠٧هـ ـ ١٣٧٦هـ)، الفقيه المفسر، من كبار علماء السعودية، ولد في مدينة عنيزة ومات فيها، له مؤلفات كثيرة: التفسير، القواعد الحسان لتفسير القرآن، الخطب العصرية، الدرة المختصرة وغيرها كثير. انظر: مقدمة تيسير الكريم الرحمٰن، بقلم أحد طلّابه، مؤسسة الرسالة، بيروت.

فإن علموا ما اشتملت عليه على وجه التفصيل؛ ازداد بذلك علمهم وإيمانهم، وإلّا علموا أنها الحق، وما اشتملت عليه حق، وإن خفي عليهم وجه الحق فيها، لعلمهم بأن الله لم يضربها عبثاً، بل لحكمة بالغة ونعمة سابغة، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ فيعترضون ويتحيرون، فيزدادون كفراً إلى كفرهم، كما ازداد المؤمنون إيماناً إلى إيمانهم، ولهذا قال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ فهذه حال المؤمنين والكافرين عند نزول الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥]، فلا أعظم من نزول الآيات القرآنية، ومع هذا تكون لقوم محنة وحيرة وضلالة وزيادة شر إلى شرهم، ولقوم منحة ورحمة وزيادة خير إلى خيرهم)(١).

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٢ ـ ٥٤].

قال ابن القيم رحمه الله: (والمقصود أن قوله: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هي لام التعليل على بابها، وبهذا الاختبار

---

(١) تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان، للسعدي (١/٤٦ ـ ٤٧)، دار المدني، جدة، ١٤٠٨هـ.

والامتحان مظهر لمختلف القلوب الثلاثة، فالقاسية والمريضة ظهر خبؤها من الشك والكفر، والمخبتة ظهر خبؤها من الإيمان والهدى وزيادة محبته وزيادة بغض الكفر والشرك والنفرة عنه، وهذا من أعظم حكمة هذا الإلقاء)[1].

ومن هذا القبيل أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

قال ابن كثير ـ بعدما ذكر تفسير ابن عباس: أن الرؤيا هي ليلة الإسراء، والشجرة هي شجرة الزقوم ـ: (وهكذا فسر ذلك بليلة الإسراء مجاهد وسعيد بن جبير والحسن ومسروق وإبراهيم وقتادة وعبد الرحمٰن بن زيد، وغير واحد، وتقدم أن ناساً رجعوا عن دينهم بعدما كانوا على الحق؛ لأنه لم تحتمل عقولهم وقلوبهم ذلك، فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، وجعل الله ذلك ثباتاً ويقيناً لآخرين، ولهذا قال: ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾؛ أي اختباراً وامتحاناً، وأما الشجرة الملعونة فهي شجرة الزقوم، كما أخبرهم رسول الله ﷺ أنه رأى الجنة والنار، ورأى شجرة الزقوم، فكذبوا بذلك حتى قال أبو جهل ـ لعنه الله ـ: هاتوا تمراً وزبداً، فجعل يأكل هذا بهذا ويقول: تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هذا)[2].

فهذا كله يدل على أن الله يختبر عباده بما شاء، وإنزاله المتشابه من هذا فإنه فتنة، وقد ضلّ به كثير ممن ضلّ عن الحق، كما رفع الله به أهل الإيمان بيقينهم، ورسوخهم درجات من عنده.

---

(١) شفاء العليل، لابن القيم (ص١٩٣)، تحقيق محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
(٢) تفسير ابن كثير (٣/٤٨)، مكتبة دار التراث، القاهرة.

الثاني: أن في إنزال المتشابه إظهاراً لفضل العلماء وتفاضلهم فيما بينهم، وفيه أيضاً تعريضهم لمزيد من المشقة والصعوبة في معرفة الحق منها، فيعظم أجرهم، ويرتفع عند الله شأنهم.

وأيضاً فإنه يدعوهم لتحصيل علوم كثيرة، نيط بها استنباط ما أريد بالمتشابه من الأحكام الحقة، فتتسع بذلك علومهم، وهو يدرب العلماء على استنباط المعاني الدقيقة، فتقوى بذلك بصائرهم، ولو أنزل القرآن كله محكماً، لاستوى في معرفته العالم والجاهل، ولم يكن في استنباط ما فيه مشقةٌ توجب عظيم المثوبة[١].

ونضيف إلى الحكم السابقة ما نقله السيوطي عن الفخر الرازي حيث قال:

(من الملحدة من طعن في القرآن لأجل اشتماله على المتشابهات. وقال: إنكم تقولون: إن تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن إلى قيام الساعة. ثم إنا نراه بحيث يتمسك به صاحب كل مذهب على مذهبه، فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب الذي هو المرجوع إليه في كل الدين إلى يوم القيامة هكذا؟.

الجواب: أن العلماء ذكروا لوقوع المتشابه فيه فوائد منها:

أنه يوجب المشقة في الوصول إلى المراد، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب[٢].

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود (٢/٨)، تفسير الخازن (١/٣٢٠)، تفسير أبي الليث السمرقندي (٢/١٣)، تفسير النسفي (١/٢٤٦)، تفسير البيضاوي (٢/٤)، تفسير القرطبي (٤/٨٩). وانظر كذلك: التمهيد، لأبي الخطاب (٢/٢٧٦)، وفتح القدير، للشوكاني (١/٣١٨).

(٢) وقد تقدم ذكر هذه الفائدة؛ لذلك لم أرقمها.

الثالث: أنه لو كان القرآن كله محكماً، لما كان مطابقاً إلا لمذهب واحد، وكان بصريحه مبطلاً لكل ما سوى ذلك المذهب، وذلك مما ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله، وعن النظر فيه والانتفاع به، فإذا كان مشتملاً على المحكم والمتشابه، طمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يؤيد مذهبه، وينصر مقالته، فينظر فيه جميع أرباب المذاهب، ويجتهد في التأمل فيه صاحب كل مذهب، وإذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسّرة للمتشابهات، وبهذه الطرق يتخلص المبطل من باطله ويتوصل إلى الحق.

الرابع: أن القرآن إذا كان مشتملاً على المتشابه، افتقر إلى العلم بطريق التأويلات، وترجيح بعضها على بعض، وافتقر في تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو والمعاني والبيان وأصول الفقه، ولو لم يكن الأمر كذلك لم يحتج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة، فكان في إيراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة)[1].

الخامس: أن المتشبهات ليس في الأمور المطلوبة من المكلف العمل بها، وإنما هي في بعض الأمور العقدية التي يطالب فيها المكلف بالتفويض والتسليم لله تعالى فيها، ويقول: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: ٧].

ومما قيل ـ وهو ضعيف ـ ما نقله السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن بعضهم قال: (وإن كان مما لا يمكن علمه، ففيه فوائد؛ منها ابتلاء العباد بالوقوف عنده، والتوقف فيه، والتسليم والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة كالمنسوخ، وإن لم يجز العمل بما فيه، وإقامة الحجة عليهم؛ لأنه ينزل بلسانهم ولغتهم، وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم

(١) راجع: الإتقان (٢/ ٣١).

وأفهامهم، فدل على أنه منزل من عند الله، وأنه الذي أعجزهم عن الوقوف)[1].

وهو ضعيف؛ لأنه قد تقرر تضعيف القول باشتمال القرآن على ما لا يمكن معرفة معناه، لكن إذا قيل: إن هذا من حكمة إنزال المتشابه بالنسبة لبعض العباد، وهو البعض الذي لم يعلم معنى المتشابه، صح من هذه الجهة.

وأما قوله: (إقامة الحجة عليهم... إلى آخر ما ذكر) فبعيد؛ وذلك لأن ما لا يفهم له معنى، فاحتجاج المشركين به على الطعن في القرآن، أقرب من الاحتجاج به عليهم أنه معجز، ولا يخفى أنهم لو قالوا: لو أنزل هذا القرآن كله بلغتنا ولساننا، لما عجزنا عن فهم بعضه؛ لجاءوا بقوي من الحجة تسوِّغ لهم الطعن في القرآن، فكيف يجعل عدم فهمهم لمعناه دليلاً على نزوله بلغتهم ولكن بلغ من الإعجاز بحيث لا يفهمون معناه؟! فما أبعد هذا.

ومما قيل في الحكمة وهو باطل قطعاً، قولان:

القول الأول: وهو أبطل قول، ونعني به ما ذكره الرازي وجعله الأقوى، قال: (والخامس وهو السبب الأقوى: أن القرآن مشتمل على دعوة الخواص، والعوام تنبو في أكثر الأمور عن إدراك الحقائق العلمية المحضة، فمن سمع من أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار إليه، ظن أن هذا عدم محض، فوقع في التعطيل، فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما تخيلوه وتوهموه، ويكون مخلوطاً بما يدل على الحق الصريح، فالقسم الأول وهو الذي يخاطبون به في أول الأمر يكون من باب المتشابهات،

---

(١) المصدر السابق (٢/١٦).

والقسم الثاني وهو الذي يكشف لهم في آخر الأمر هو من المحكمات)[1].

ولازم هذا القول أن الله أنزل المتشابه؛ ليضل به جمهور المؤمنين المعظمين للقرآن، باعتقاد ظاهره، ثم بعد ذلك يبيّن لهم أن ما أُخبرتم به أولاً كان كذباً لمصلحتكم.

القول الثاني: وهو قريب من الأول في البطلان، أو مثله، وهو قول القاضي عبد الجبار: (ومنها ـ أي الحِكَم ـ أن كون القرآن كذلك ـ أي محكماً ومتشابهاً ـ يصرفه أن يعول على تقليده؛ لأنه يرى أنه ليس بأن يقلد كلامه ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، أولى من أن يقلده في خلافه لقوله ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]. فكما أن اختلاف العلماء في الديانات، وقول بعضهم في المذهب بخلاف قول صاحبه، يصرف المميز عن تقليدهم؛ لأنه ليس تقليد بعضهم بأولى من تقليد سائرهم، فكذلك انقسام القرآن إلى الوجهين اللذين ذكرناها، يصرف من ذلك لا محالة، وما صرف عن التقليد المحرم، وبعث على النظر والاستدلال، فهو في الحكمة أولى)[2].

وهذا الكلام غاية في البطلان؛ فإن القرآن إنما أنزل ليتبع ويقلد؛ قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥]، وقال: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [يونس: ١٥]، وقال: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يونس: ١٠٩].

---

(١) أساس التقديس (ص١٩٢). وانظر: تفسير الفخر الرازي أيضاً (٧/ ١٧٢).

(٢) متشابه القرآن، للقاضي عبد الجبار (١/ ٢٦).

فإلى الله المشتكى، وهو الحاكم فيمن يجعل اتباع القرآن تقليداً محرماً، إنه لعجب! كيف أمكن أن يقال هذا الباطل من المنتسبين إلى علماء الملة الحنيفية، وقد عظَّم الله شأن القرآن ورفعه فوق زبر الأولين، وجعله إماماً لخير الأمم.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

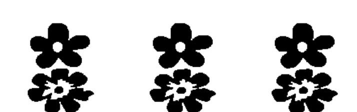
وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

وكيف يكون القرآن حاكماً إذا كان نزوله من أجل أن يصرف الناس عن تحكيمه في عقيدتهم؟! قال ﷻ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١].

وقال: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

وقال: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [البقرة: ٢١٣].

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.





أنواع المطاعن

الطاعنون في القرآن كُثر، ومطاعنهم وشبهاتهم كثيرة، وحصرها قد يعيي الباحث، ويكلّ المجد، ولكن حقيقة هذه الطعون أنها تدور في أفلاك محددة، وتنبع من مشكاة واحدة، ويمكننا أن نرجعها إلى أصول وقواعد تلملم شعث هذه الطعون، والرد على هذه الأصول يتكفل بالرد على جميع ما تحته من طعونات لا تعد ولا تحصر[1].

ويمكننا أن نرد المطاعن إلى أربعة أصول يتفرع من بعضها فروع؛ وهي:

١ ـ نفي نسبة القرآن لله تعالى:

ويشمل عدة طعون:

- نسبته إلى النبي ﷺ وأنه من تأليفه[2].
- نسبته إلى اقتباس من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل[3].

---

(١) ويكفي في هذا: الرد الإجمالي الذي سيأتي في الفصل الأول من الباب الثاني (ص١٢٤) وما بعدها.

(٢) انظر: الإسقاط في مناهج المستشرقين، للدكتور شوقي أبو خليل (ص٤٧)، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م. ومعالم تاريخ الإنسانية، لويلز (٣/ ٦٢٦). وتاريخ الدولة العربية، ليوليوس فلهاوزن (ص٨)، ترجمة عن الألمانية، د. محمد أبو ريدة، الألف كتاب، القاهرة، ١٩٥٨م، وغيرها من المراجع.

(٣) انظر: المستشرقون والدراسات القرآنية، للدكتور محمد حسين الصغير=

- دعوى عدم قدسيته وإمكانية نقده ومخالفته[1]؛ يعني أنه قد يقر أحد الطاعنين بأن القرآن ليس من النبي ﷺ وأنه من الله تعالى، ولكن يقول هو ليس مقدساً، بل يمكن نقده.

وهذا الكلام حقيقته نفي القرآن عن الله تعالى؛ لأن ما كان من الله سبحانه فهو مقدس ولا يمكن نقده، وما كان من غيره فينطبق عليه ما يجري على كلام البشر من خطأ أو عجز أو جهل، إلى غير ذلك من نقائص البشر.

٢ ـ زعم عدم حفظه:

أي قد يقر بأن القرآن من الله جل جلاله، ولكن يزعم عدم حفظه فيدّعي:

ـ أنه ليس هو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ، بل قد غيّر وبدّل، وأما الأصل فلا وجود له[2] أو أنه زيد فيه ونقص[3].

= (ص١١٨ ـ ١٢٠)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م. ودائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية (ص١٦). والعقيدة والشريعة في الإسلام لجولدتسيهر (ص١٢)، عن كتاب القرآن الكريم في مواجهة الماديين الملحدين، للدكتور أحمد الشاعر (ص٩٣)، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م. وانظر: القرآن والمستشرقون، لنقرة (ص٣١)، وغيرها من المراجع.

(١) انظر: القرآن الكريم في مواجهة الماديين الملحدين، للدكتور أحمد الشاعر (ص٩٦ ـ ٩٧). والتمهيد في تاريخ الفلسفة للشيخ مصطفى عبد الرزاق (ص٥). نقض مطاعن في القرآن الكريم، لمحمد أحمد عرفة (ص٤). وطه حسين حياته وفكره، لأنور الجندي (ص١٤٤). نقلاً عن كتاب مستقبل الثقافة في مصر وغيرها من المرجع.

(٢) انظر: دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية، لإبراهيم عوض (ص٧). والوحي الجديد (ص٤٤). نقلاً عن كتاب مناقشات وردود، لمحمد فريد وجدي (ص٣٧٠)، وغيره من المراجع.

(٣) انظر: لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، د. فضل=

يعني قد يقر بأن القرآن الموجود هو الكتاب الذي نزل من الله تعالى، ولكن يقول: إنه زيد فيه أو نُقص منه. ويستدل لذلك بوقوع النسخ فيه أو غير ذلك.

٣ ـ اتهام القرآن بالتناقض:

تناقض الآيات بعضها مع بعض[١].

٤ ـ اتهام القرآن بمعارضة الحقائق:

- معارضة الحقائق الشرعية[٢].
- معارضة الحقائق التاريخية[٣].

= حسن عباس، دار النور للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، والشيعة والقرآن، لإحسان إلهي ظهير، مكتبة إدارة ترجمات السنة، لاهور، باكستان، وكتاب «أيلتقي النقيضان»، لمحمد مال الله، دار النفير، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، د. ناصر بن عبد الله القفاري، الفصل الأول من الباب الأول بعنوان (اعتقادهم في القرآن) (١/ ١٢٣)، وغيره من المراجع.

(١) انظر: كتاب تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية. وكتاب المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير، له أيضاً، تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م. وأضواء على متشابهات القرآن، لخليل ياسين، مكتبة الهلال، بيروت. وباهر القرآن في معاني مشكل القرآن، لبيان الحق النيسابوري، تحقيق سعاد بابقي، من مطبوعات جامعة أم القرى، ١٩٩٧م، وغير ذلك من المراجع.

(٢) انظر: كتاب رد مفتريات على الإسلام، لشلبي (ص٣٨)، عن رسالة المجلس الملي القبطي الأرثوذكس بالإسكندرية. ودائرة المعارف البريطانية (ص٢٢)، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، للعقاد (ص٢٧٦)، المكتبة العصرية، وغير ذلك من المراجع.

(٣) انظر: المستشرقون والدراسات الإسلامية، للدكتور محمد حسين الصغير=

- معارضة الحقائق الكونية، أو حقائق العلم التجريبي الحديث[1].

والملاحظ في هذه الطعون هو التدرج فيها، فكلما انتفت شبهة انتقلوا إلى التي تليها.

ولو علم المسلمون هذه الشُبه الأربع والرد عليها؛ لما حصل ما نراه الآن من تأثر كثير من المسلمين بها، بل والاعتقاد فيها أو التسليم لها.

والمطاعن من حيث صراحتها تنقسم إلى نوعين:

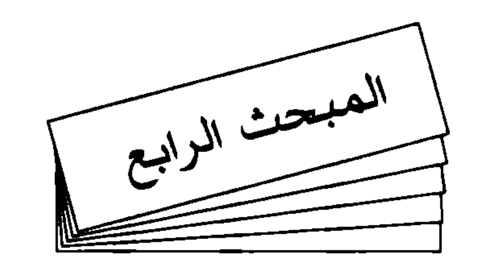
١ ـ طعون واضحة وصريحة، وهذا هو الغالب في طعون المستشرقين.

٢ ـ طعون غامضة وملتوية وغير مباشرة، وهذا الغالب في طعون العلمانيين، كما سنبيّنه في هذه الدراسة.



= (ص٧٤ ـ ٧٥)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. وفي الشعر الجاهلي، لطه حسين (ص٢٦). ومدخل إلى علم التفسير، للدكتور محمد بلتاجي (ص١٧٠)، وغير ذلك من المراجع.

(١) انظر: رد مفتريات على الإسلام، لعبد الجليل شلبي، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م، ومدخل إلى علم التفسير، لأستاذنا الدكتور بلتاجي، مكتبة الشباب، ١٩٩٨م، وغير ذلك من المراجع.



أسباب الاختلاف في القرآن

تقدم معنا في المبحث السابق الطعون العامة التي يوردها الطاعنون، ونشير هنا إلى الأسباب التي كانت وراءها، أو التي دفعت هؤلاء إلى الخوض في قضايا تمس القرآن الكريم، ومن ثم يمكن القول بأن اختلافهم في القرآن يرجع إلى مجموعة من الاعتبارات؛ نذكر أهمها فيما يلي:

أما نفي نسبة القرآن إلى الله تعالى، وزعم عدم حفظ القرآن، وما يندرج تحتهما من طعونات، فإنه دعاوى من غير أدلة ولا برهان، وسببها الحقد المحض، ولعل سببها الوحيد لديهم دعواهم وجود التناقض في القرآن، والتناقض دليل على عدم قدسيته.

وأما دعوى تناقض القرآن فإنها ترجع لخمسة أسباب، كما ذكرها الزركشي، فقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(الأول: وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى:

كقوله تعالى في خلق آدم إنه: ﴿مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]، ومرة: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، ومرة: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]، ومرة: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمٰن: ١٤]؛ وهذه الألفاظ مختلفة، ومعانيها في أحوال مختلفة لأن الصلصال غير الحمأ، والحمأ غير التراب، إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر، وهو التراب، ومن التراب

تدرجت هذه الأحوال[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٢]، وفي موضع: ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [القصص: ٣١]، والجان: الصغير من الحيات، والثعبان: الكبير منها؛ وذلك لأن خلقها خلق الثعبان العظيم واهتزازها وحركاتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته[2].

السبب الثاني: اختلاف الموضوع:

كقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤]، مع قوله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦]، مع قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمٰن: ٣٩]؛ قال الحليمي: فتحمل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل، والثانية على ما يستلزم الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه[3].

وحمله غيره على اختلاف الأماكن؛ لأن في القيامة مواقف كثيرة، فموضع يسأل ويناقش وموضع آخر يرحم ويلطف به، وموضع آخر يعنف ويوبخ وهم الكفار، وموضع آخر لا يعنف وهم المؤمنون.

وقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤]، مع قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣] وقيل: المنفي كلام التلطف والإكرام، والمثبت سؤال التوبيخ والإهانة،

---

(١) انظر: حقائق الإسلام في مواجهة شبكات المشككين، إشراف وتقديم د. محمود زقزوق (ص٢٦٣)، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ٢٠٠٢م.

(٢) انظر: لسان العرب (١/ ٢٣٧).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ٩٧).

فلا تنافي. وقيل: إن المنفي كلامهم في النار، والمثبت كلامهم في الحساب.

وكقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣]، مع قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، فإن الأولى تقتضي أنهم كتموا كفرهم السابق.

والجواب من وجهين؛ أحدهما: أن للقيامة مواطن، ففي بعضها يقع منهم الكذب، وفي بعضها لا يقع، كما سبق. والثاني: أن الكذب يكون بأقوالهم، والصدق يكون من جوارحهم، فيأمرها الله تعالى بالنطق فتنطق بالصدق[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، مع قوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

يحكى عن الشيخ العارف أبي الحسن الشاذلي رحمه الله أنه جمع بينهما، فحمل الآية الأولى على التوحيد، والثانية على الأعمال. والمقام يتقضي ذلك؛ لأنه قال بعد الأولى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقيل: بل الثانية ناسخة[2]؛ قال ابن المنير: الظاهر أن قوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ إنما نسخ حكمه لا فضله وأجره، وقد فسّر النبي ﷺ حق تقاته بأن قال: «هو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر»[3]. فقالوا: أيّنا يطيق ذلك. فنزلت: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

---

(١) انظر: مناهل العرفان، للزرقاني (٢/ ٢١٧).

(٢) انظر: مناهل العرفان (٢/ ١٨٨).

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣٢٦): رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح، والآخر ضعيف. اهـ. وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٠٦)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾، وكان التكليف أولاً باستيعاب العمر بالعبادة بلا فترة ولا نعاس، كما كانت الصلاة خمسين ثم صارت بحسب الاستطاعة خمساً، والاقتدار منزل على هذا الاعتبار، ولم ينحط من درجاته.

وقال الشيخ كمال الدين الزملكاني: وفي كون ذلك منسوخاً نظر، وقوله: ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ هو ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ إذ به أمر؛ فإن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ الوقوف على أمره ودينه، وقد قال بذلك كثير من العلماء.اهـ.

والحديث الذي ذكره ابن المنير في تفسيره ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ لم يثبت مرفوعاً، بل هو من كلام ابن مسعود رواه النسائي[١]، وليس فيه قول الصحابة: أيُّنا يطيق ذلك، ونزول قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء: ٣]، مع قوله في أواخر السورة: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ﴾ [النساء: ١٢٩]، فالأولى تُفهم إمكان العدل، والثانية تنفيه.

والجواب: أن المراد بالعادل في الأولى العدل بين الأزواج في توفية حقوقهن، وهذا ممكن الوقوع وعدمه، والمراد به في الثانية الميل القلبي[٢]؛ فالإنسان لا يملك ميل قلبه إلى بعض زوجاته دون بعض، وقد كان يقسم ﷺ بين نسائه ثم يقول: «اللهم هذا قسمي في ما أملك، فلا تؤاخذني بما لا أملك»[٣]، يعني ميل القلب.

---

(١) لم أجده في النسائي كما تقدم في تخريجه.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٦٥).
(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٤٢): كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء، رقم (٢١٣٤)، والدارمي: كتاب النكاح، باب في القسمة بين النساء، رقم (٢٢٠٧). قال الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٠٤): حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. اهـ. وصححه ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٦٥).

وكان عمر رضي الله عنه يقول: اللهم قلبي فلا أملكه، وأما ما سوى ذلك فأرجو أن أعدل.

ويمكن أن يكون المراد بالعدل في الثانية العدل التام؛ أشار إليه ابن عطية.

قد يحتاج الاختلاف إلى تقدير، فيرتفع به الإشكال، كقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥]، ثم قال سبحانه: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ والأصل في الأولى: وفضل الله المجاهدين على القاعدين من أولي الضرر درجة، والأصل في الثانية: وفضل الله المجاهدين على القاعدين من الأصحاء درجات.

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: ٢٨] مع قوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]، والمعنى أمّرناهم وملّكناهم وأردنا منهم الصلاح فأفسدوا. أو المراد بالأمر في الأولى أنه لا يأمر به شرعاً ولكن قضاء؛ لاستحالة أن يجري في ملكه ما لا يريد، وفرقٌ بين الأمر الكوني والديني.

الثالث: الاختلاف في جهتي الفعل:

كقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧]؛ أضيف القتل إليهم على جهة الكسب والمباشرة، ونفاه عنهم باعتبار التأثير؛ ولهذا قال الجمهور: إن الأفعال مخلوقة لله تعالى، مكتسبة للآدميين، فنفي الفعل بإحدى الجهتين لا يعارضه إثباته بالجهة الأخرى[1]. وكذا قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] أي ما رميت خلقاً إذ

(١) انظر: تفسير البيضاوي (٣/ ٩٦).

رميت كسباً[1]. وقيل: إن الرمي يشتمل على القبض والإرسال وهما بكسب الرامي، وعلى التبليغ والإصابة وهما بفعل الله ﷻ؛ قال ابن جرير الطبري: وهي الدليل على أن الله خالق لأفعال العباد؛ فإن الله تعالى أضافه إلى نبيه ثم نفاه عنه، وذلك فعل واحد؛ لأنه من الله تعالى التوصيل إليهم ومن نبيه بالحذف والإرسال، وإذا ثبت هذا لزم مثله في سائر أفعال العباد المكتسبة، فمن الله تعالى الإنشاء والإيجاد، ومن الخلق الاكتساب بالقوى.

ومثله قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فقيام الانتصاب لا ينافي القيام بالأمر؛ لاختلاف جهتي الفعل.

الرابع: الاختلاف في الحقيقة والمجاز:

كقوله: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢]، ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧]، وهو يرجع لقول المناطقة: الاختلاف بالإضافة، أي: وترى الناس سكارى بالإضافة إلى أهوال القيامة مجازاً، وما هم بسكارى بالإضافة إلى الخمر حقيقة[2].

ومثله في الاعتبارين قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]. وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]، فإنه لا يلزم من نفي النظر نفي الإبصار، لجواز قولهم: نظرت إليه فلم أبصره.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٣٨٤).

(٢) انظر: روح المعاني للألوسي (١٧/ ١١٣)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الخامس: بوجهين واعتبارين:

وهو الجامع للمفترقات، كقوله: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] وقال: ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]، قال قطرب: ﴿فَبَصَرُكَ﴾: أي علمك ومعرفتك بها قوية، من قولهم: بصر بكذا وكذا، أي: علم، وليس المراد رؤية العين، قال الفارسي: ويدل على ذلك قوله: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢٢]، وصف البصر بالحدة.

وكقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] مع قوله: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤]؛ فقيل: يجوز أن يكون معناه: ويذرك وآلهتك إن ساغ لهم، ويكون إضافة الآلهة إليه ملكاً كان يعبد في دين قومه، ثم يدعوهم إلى أن يكون هو الأعلى، كما تقول العرب: موالي من فوق وموالي من أسفل. فيكون اعتقادهم في الآلهة مع فرعون أنها مملوكة له، فيحسن قولهم: ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨]، مع قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢]، فقد يظن أن الوجل خلاف الطمأنينة؛ وجوابه: أن الطمأنينة إنما تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد، والوجل يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى، فتوجل القلوب لذلك، وقد جمع بينهما في قوله: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، فإن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدهم، ووثقوا به، فانتفى عنهم الشك.

---

(١) وقيل: إن معنى (آلهتك) إلاهتك، أي: عبادتك. انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٩).

وكقوله: ﴿خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٤]، وفي موضع: ﴿أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [السجدة: ٥]، وأجيب بأنه باعتبار حال المؤمن والكافر بدليل: ﴿وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢٦]. وكقوله: ﴿بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، وفي آية أخرى: ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، قيل: إن الألف أردفهم بثلاثة آلاف، وكان الأكثر مدداً للأقل، وكان الألف (مردفين) بفتحها...)[1].

إذن فأسباب إيهام التناقض عند الزركشي خمسة:

السبب الأول: وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى.

السبب الثاني: اختلاف الموضوع.

السبب الثالث: اختلافهما في جهتي الفعل.

السبب الرابع: اختلافهما في الحقيقة والمجاز.

السبب الخامس: الاختلاف لوجهين واعتبارين.

*** وذكر صاحب كشف الأسرار أن من أسباب الاختلاف في القرآن:**

(١ ـ **(الغموض في المعنى)**: أي الْإِشكال إِنَّمَا يَقَعُ لِغُمُوضٍ فِي الْمَعْنَى، وَمِنْ نَظَائِرِهِ قولُه تعالى: ﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، اشْتَبَهَ مَعْنَاهُ عَلَى السَّامِعِ أَنَّهُ بِمَعْنَى كَيْفَ أَوْ بِمَعْنَى أَيْنَ، فَعُرِفَ بَعْدَ الطَّلَبِ وَالتَّأَمُّلِ أَنَّهُ بِمَعْنَى كَيْفَ، بِقَرِينَةِ الْحَرْثِ وَبِدَلَالَةِ حُرْمَةِ الْقُرْبَانِ فِي الْأَذَى الْعَارِضِ، وَهُوَ الْحَيْضُ، فَفِي الْأَذَى اللَّازِمِ أَوْلَى.

٢ ـ **(والاستعارة البديعة)**: وَأَمَّا نَظِيرُ الِاسْتِعَارَةِ الْبَدِيعَةِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ﴾ [الإنسان: ١٦]، فَالْقَوَارِيرُ لَا يَكُونُ مِن الْفِضَّةِ،

---

(١) البرهان، للزركشي (٢/ ٦٤ ـ ٧٤) بتصرف.

وَمَا كَانَ مِن الْفِضَّةِ لَا يَكُونُ قَوَارِيرَ، وَلَكِنْ لِلْفِضَّةِ: صِفَةُ كَمَالٍ ـ وَهِيَ نَفَاسَةُ جَوْهَرِهِ وَبَيَاضُ لَوْنِهِ ـ، وَصِفَةُ نُقْصَانٍ ـ وَهِيَ أَنَّهَا لَا تَصْفُو وَلَا تَشِفُّ ـ، وَلِلْقَارُورَةِ صِفَةُ كَمَالٍ أَيْضاً، ـ وَهِيَ الصَّفَاءُ والشَّفِيفُ ـ، وَصِفَةُ نُقْصَانٍ، ـ وَهِيَ خَسَاسَةُ الْجَوْهَرِ ـ. فَعُرِفَ بَعْدَ التَّأَمُّلِ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ صِفَةُ كَمَالِهِ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَهِيَ مَعَ بَيَاضِ الْفِضَّةِ فِي صَفَاءِ الْقَوَارِيرِ وَشَفِيفِهَا.

وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢]، فَاللِّبَاسُ لَا يُذَاقُ ولَكِنَّهُ يَشْمَلُ الظَّاهِرَ، وَلَا أَثَرَ لَهُ فِي الْبَاطِنِ، وَالإِذَاقَةُ أَثَرُها فِي الْبَاطِنِ وَلَا شُمُولَ لَهَا، فَاسْتُعِيرَتْ الْإِذَاقَةُ لِمَا يَصِلُ مِنْ أَثَرِ الضَّرَرِ إِلَى الْبَاطِنِ وَاللِّبَاسُ بِالشُّمُولِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: فَأَذَاقَهُمْ مَا غَشِيَهُمْ مِن الْجُوعِ وَالْخَوْفِ. أَيْ أَثَرُهُمَا وَاصِلٌ إِلَى بَوَاطِنِهِمْ مَعَ كَوْنِهِ شَامِلاً لَهُمْ)(١).

* ولعل أضبط التقاسيم بالنسبة لأسباب الطعون هو ما ذكره الراغب الأصبهاني(٢)؛ حيث قال:

(والمتشابه من القرآن: ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره؛ إما من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى؛ فقال الفقهاء: المتشابه ما لا ينبئ ظاهره عن مراده.

وحقيقة ذلك أن الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب:

محكم على الإطلاق، ومتشابه على الإطلاق، ومحكم من وجه متشابه من وجه.

---

(١) كشف الأسرار، لعبد العزيز البخاري الحنفي (١/ ٥٤)، دار الكتاب الإسلامي، بيروت.

(٢) في كتابه المفردات (ص٤٤٣ ـ ٤٤٤)، تحقيق الداوودي، دار القلم، دمشق.

فالمتشابه في الجملة[1] ثلاثة أضرب:

متشابه من جهة اللفظ فقط، ومتشابه من جهة المعنى فقط، ومتشابه من جهتهما.

ـ والمتشابه من جهة اللفظ ضربان:

١ ـ أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة، وذلك:

أ ـ إما من جهة غرابته نحو: الأبّ[2]، ويزفون[3].

ب ـ وإما من جهة مشاركة اللفظ كاليد، والعين[4].

٢ ـ والثاني يرجع إلى جملة الكلام المركب، وذلك ثلاثة أضرب:

أ ـ ضرب لاختصار الكلام نحو: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ...﴾ [النساء: ٣]، أي: فلا تتزوجوهن وانكحوا...

ب ـ وضرب لبسط الكلام نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، لأنه لو قيل: ليس مثله شيء. كان أظهر للسامع.

ج ـ وضرب لنظم الكلام نحو: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١ ـ ٢]، تقديره: أنزل الكتاب قيّماً ولم يجعل له عوجاً. وقوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ [الفتح: ٢٥].

---

(١) يعني بقسميه: المتشابه المطلق، والمتشابه من وجه.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١].

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ [الصافات: ٩٤].

(٤) فاليد تطلق على الجارحة والقوة والنعمة، وكذلك العين لها عدة معان مشتركة؛ فتطلق على الشمس والبئر والجارحة وغير ذلك. انظر: مختار الصحاح (ص١٩٥، ٣٠٩).

ـ **والمتشابه من جهة المعنى:**

أوصاف الله تعالى، وأوصاف يوم القيامة، فإن تلك الصفات لا تتصور لنا؛ إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه، أو لم يكن من جنس ما نحسه.

ـ **والمتشابه من جهة المعنى واللفظ جميعاً خمسة أضرب:**

الأول: من جهة الكمية، كالعموم والخصوص[1] نحو:

﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥].

والثاني: من جهة الكيفية، كالوجوب والندب[2]، نحو:

﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ . . .﴾ [النساء: ٣].

والثالث: من جهة الزمان، كالناسخ والمنسوخ[3]، نحو:

﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

---

(١) **العموم**: هو شمول الحكم لكل فرد من أفراد الحقيقة، والخصوص: هو إخراج بعض ما يتناوله العموم قبل تقرر حكمه. انظر: تقريب الأصول إلى علم الأصول، لابن الجزي الكلبي (ص١٣٧ ـ ١٤١)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، واللمع في أصول الفقه، للشيرازي (ص٢٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

(٢) **الوجوب**: ما طلب الشرع فعله طلباً جزماً. تقريب الأصول (ص٢١١). **والندب**: ما طلب الشرع فعله طلباً غير جازم. تقريب الأصول (ص٢١٢)، والبرهان في أصول الفقه، للجويني (١/ ٢١٣)، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.

(٣) **الناسخ**: هو الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً. **المنسوخ**: هو الحكم الشرعي المرفوع بالخطاب الشرعي المتراخي عنه. تقريب الوصول (ص٤٣٠). وانظر: إرشاد الفحول، للشوكاني (ص٣١١).

والرابع: من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها، نحو: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩].

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧].

فإن من لا يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذر عليه معرفة تفسير هذه الآية.

والخامس: من جهة الشروط التي بها يصح الفعل، أو يفسد، كشروط الصلاة والنكاح.

وهذه الجملة إذا تصورت، علم أن كل ما ذكره المفسرون من تفسير المتشابه، لا يخرج عن هذه التقاسيم.

ثم جميع المتشابه على ثلاثة أضرب:

ضرب لا سبيل للوقوف عليه، كوقت الساعة، وخروج دابة الأرض، وكيفية الدابة ونحو ذلك.

وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته، كالألفاظ الغريبة والأحكام المغلقة.

وضرب متردد بين الأمرين، يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم، ويخفى على من دونهم، وهو الضرب المشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام لابن عباس رضي الله عنه: «اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل»[1].

وإذا عُرفت هذه الجملة عُلم أن الوقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]. ووصله بقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]؛ جائز، وأن لكل واحد منهما وجهاً حسبما دل عليه التفصيل المتقدم.اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب وضع الماء ثم الخلاء، رقم (١٤٤).





الفصل الثالث

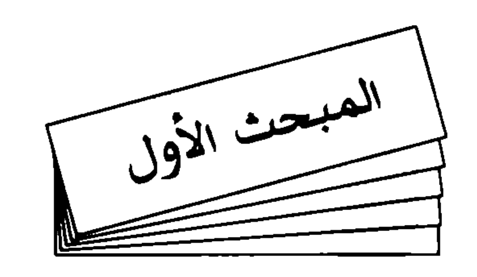
مواجهة دعاوى الطعن في القرآن

وفيه ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: تنزيه كلام الله عن المطاعن.

المبحث الثاني: موقف سلف الأمة ممن يثيرون الشبه والمطاعن حول القرآن.

المبحث الثالث: قواعد التعامل مع المطاعن.



تنزيه كلام الله عن المطاعن

في هذا المبحث نبيّن عقيدة من عقائد المسلمين الثابتة، ولكن قلّ من يعرف أدلتها من الكتاب، فأحببت في هذا المبحث أن أجمع جميع الآيات التي تدل على تنزيه كلام الله تعالى من المطاعن وشرح معناها.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، فالتدبر للقرآن، ومعرفة أنه ليس فيه أدنى اختلاف، يورث الإنسان العلم أنه من عند الله تعالى، إذ لو كان من عند البشر لكان فيه اختلاف كثير، قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي أفلا يفكرون فيه فيعرفوا ـ بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر ـ أنه كلام الله تعالى؛ لأن ما لا يكون من عند الله لا يخلو عن التناقض والاختلاف)[1].

وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ١ ـ ٢]، أي لا شك فيه، وكلمة ﴿رَيْبَ﴾ نكرة في سياق النفي فتعم، فنفى الله سبحانه جميع أنواع الريب والشك كبيرها وصغيرها ظاهرها وباطنها، قال القرطبي: (لا ريب نفي عام، والريب هو الشك والتهمة، فكتاب الله لا شك فيه ولا ارتياب)[2].

---

(١) معالم التنزيل، للبغوي (٢/ ٢٥٤)، تحقيق محمد النمر، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

(٢) جامع أحكام القرآن، للقرطبي (١/ ١١٢) باختصار.

وهذا أمر عجيب، فالعادة في كتب بني البشر أن يستفتح أحدهم كتابه بالاعتذار وإظهار العجز، وأن كتابه فيه أخطاء، والمرجو تقبل الحق الذي فيه، والتماس العذر لأخطائه، وبعضهم يطالب القارئ بإصلاح ما يجد، وبعضهم يقول:

إن تجد عيباً فسد الخللا ... جل من لا عيب فيه وعلا

ولكن الله تعالى استفتح كتابه بهذه الكلمة، معلناً فيها التحدي لكل من يقرأ أن يجد فيه خطأً أو ريباً أوشكاً.

وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١]، فليس فيه أدنى اعوجاج، وما كان كذلك فلا يمكن أن يتطرق الطعن فيه، قال القاسمي رحمه الله: (﴿عِوَجَا﴾ أي شيئاً من العوج، باختلال في نظمه وتناف في معانيه، أو زيغ وانحراف عن الدعوة إلى الحق، بل جعله مزيلاً للعوج إذ جعله ﴿قَيِّمًا﴾)[1]

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

فهذا القرآن هو أحسن الحديث وأجمله، فلا كتاب أحسن منه، وإذا كان القرآن أحسن الحديث، فإنه لا يمكن لما هو أحسن الحديث أن يكون فيه تناقض أو إشكال أو مجال للطعن.

وقال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، قال ابن كثير رحمه الله: (أي ليس للبطلان

---

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٥/٧)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.



إليه سبيل؛ لأنه منزل من رب العالمين)[1]، وهذا نص صريح على استحالة وجود الباطل في كتاب الله، بل على استحالة افترائه عليه، فإن الله جلّ جلاله يوكل من عباده من ينفي عنه انتحال المبطلين، وتحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، فـ ﴿مَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥﴾ [التكوير: ٢٥]، بل هو كتاب عظيم فصل ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾ [الطارق: ١٣ ـ ١٤].

فهذا الكتاب ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١١]، والدليل أنهم لا يستطيعون التحدي لهم بمثل قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨].

ومن الأدلة على أن هذا الكتاب من عند الله قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝٤٨﴾ [العنكبوت: ٤٨].

فما كان لرجل أمي لا يقرأ ولا يكتب أن يأتي بمثل هذا الكلام، ويتحدى به الثقلين، ولم يقدر أحد على معارضته وإجابة هذا التحدي.

وقد شهد على صحة هذا القرآن أهل الكتاب كما قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝١١٤﴾ [الأنعام: ١١٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٩٦ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٩٧﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٧].

وقال تعالى: ﴿... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ١٠٢).

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٢ ـ ٨٣].

ثم إنه ما كان لبشر أن يفتري كلاماً وينسبه إلى الله، ويضل به الملايين من الناس، ثم بعد ذلك لا يعاجله الله تعالى بالعقوبة: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٣ ـ ٤٧].

ونحن نقول ـ على سبيل التنزيل ـ لمن أنكر أن القرآن كلام الله: افرض أن هذا الكتاب من عند الله حقاً، وأنك مخطئ، فما أنت صانع ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ [فصلت: ٥٢].

وقد توعد الله تعالى المكذبين بهذا الكتاب بالنكال والعذاب، فقال: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأنعام: ١٥٧]. وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر: ٥٥].

وأخيراً نقول لمن كفر بالقرآن: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٨][1].

---

(١) وسوف يأتي ـ إن شاء الله ـ مزيد أدلة على صحة القرآن، وأنه من الله تعالى في الفصل الأول، من الباب الأول، في مبحث الأدلة على صدق القرآن.



موقف سلف الأمة ممن يثيرون الشُبه والمطاعن حول القرآن

هذا المبحث في غاية من الأهمية؛ لأننا قوم نتبع على بصيرة ولا نبتدع، وقد أُمرنا بالاقتداء بالسلف الصالح، الذين هم خير القرون عند الله تعالى، وقضية الحرب على القرآن ليست وليدة اليوم، بل هي حرب قديمة مستمرة وستستمر، فهذه تجارب يجب أن نستفيد منها، حتى نبدأ من حيث انتهوا، فنستفيد علماً ووقتاً.

فأقول: ينقسم موقف السلف مع من يثيرون الشُبه حول القرآن إلى قسمين بحسب حال الشخص:

أولاً: إن كان طالبَ حق وسؤالُه سؤال استرشاد، ولكنه قد أشكل عليه، فإنهم معه على النحو التالي:

١ ـ تعليمه التسليم والانقياد للنص:

كما ورد عَنْ مُعَاذَةَ قَالَتْ: (سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ وَلَا تَقْضِي الصَّلاةَ؟ فَقَالَتْ: أَحَرُورِيَّةٌ[1] أَنْتِ؟ قُلْتُ: لَسْتُ

(١) الحرورية: الْحَرُورِيّ مَنْسُوب إِلَى حَرُورَاء بِفَتْحِ الْحَاءِ وَضَمّ الرَّاء الْمُهْمَلَتَيْنِ وَبَعْد الْوَاو السَّاكِنَة رَاءٌ أَيْضاً، بَلْدَة عَلَى مِيلَيْنِ مِنَ الْكُوفَة، وَالْأَشْهَر أَنَّهَا بِالْمَدِّ، قَالَ الْمُبَرِّد: النِّسْبَة إِلَيْهَا حَرُورَاوِيّ، وَكَذَا كُلّ مَا كَانَ فِي آخِره أَلِف تَأْنِيث مَمْدُودَة، وَلَكِنْ قِيلَ الْحَرُورِيّ بِحَذْفِ الزَّوَائِد، وَيُقَال لِمَنْ يَعْتَقِد مَذْهَب=

بِحَرُورِيَّةٍ ولَكِنِّي أَسْأَلُ. قَالَتْ: كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ، وَلَا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلاةِ)[1].

وفي الصحيحين أنَّ أَبَا قَتَادَةَ حَدَّثَ قَالَ: (كُنَّا عِنْدَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فِي رَهْطٍ مِنَّا، وَفِينَا بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ، فَحَدَّثَنَا عِمْرَانُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» قَالَ: أَوْ قَالَ: «**الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ**»، فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ: إِنَّا لَنَجِدُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَوْ الْحِكْمَةِ، أَنَّ مِنْهُ سَكِينَةً وَوَقَاراً للهِ، وَمِنْهُ ضَعْفٌ. قَالَ: فَغَضِبَ عِمْرَانُ حَتَّى احْمَرَّتَا عَيْنَاهُ، وَقَالَ: أَلَا أَرَانِي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتُعَارِضُ فِيهِ!! قَالَ: فَأَعَادَ عِمْرَانُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَأَعَادَ بُشَيْرٌ، فَغَضِبَ عِمْرَانُ، قَالَ: فَمَا زِلْنَا نَقُولُ فِيهِ: إِنَّهُ مِنَّا يَا أَبَا نُجَيْدٍ، إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ)[2].

= الْخَوَارِج حَرُورِيّ؛ لِأَنَّ أَوَّل فِرْقَة مِنْهُمْ خَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ بِالْبَلْدَةِ الْمَذْكُورَة فَاشْتُهِرُوا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا، وَهُمْ فِرَقٌ كَثِيرَة، لَكِنْ مِنْ أُصُولِهِمْ الْمُتَّفَق عَلَيْهَا بَيْنَهُمْ الْأَخْذُ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآن وَرَدُّ مَا زَادَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَدِيثِ مُطْلَقاً، وَلِهَذَا اسْتَفْهَمَتْ عَائِشَةُ مُعَاذَة اسْتِفْهَام إِنْكَار. وَزَادَ مُسْلِم فِي رِوَايَة عَاصِم عَنْ مُعَاذَة فَقُلْت: لَا، وَلَكِنِّي أَسْأَل، أَيْ سُؤَالاً مُجَرَّداً لِطَلَبِ الْعِلْم لَا لِلتَّعَنُّتِ، وَفَهِمَتْ عَائِشَة عَنْهَا طَلَبَ الدَّلِيلِ فَاقْتَصَرَتْ فِي الْجَوَاب عَلَيْهِ دُونَ التَّعْلِيل. انظر: فتح الباري (١/ ٥٠٢)، ومقالات الإسلاميين، للأشعري (١/ ١٢٧)، دار إحيار التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي (١/ ٥٣)، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، وغيرها.

(١) متفق عليه. البخاري: كتاب الحيض، باب لا تقضي الحائض الصلاة، رقم (٣١٥)، ومسلم: كتاب الحيض، باب وجوب الصوم على الحائض دون الصلاة، رقم (٣٣٥).

(٢) متفق عليه. البخاري: كتاب الأدب، باب الحياء، رقم (٥٧٦٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، رقم (٣٧) واللفظ لمسلم.

٢ ـ تعليمه بالتي هي أحسن:

أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحى: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].

وقوله: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٤٦﴾ [العنكبوت: ٤٦]، والمسلم أولى بالإحسان من الكتابي.

وذكر الداوودي في ترجمة الشنبوذي: (عن الداني أنه قال: دخل الشنبوذي على عضد الدولة زائراً، فقال له: يا أبا الفرج إن الله تعالى يقول: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ﴾ [النحل: ٦٩]، ونرى العسل يأكله المحرور فيتأذى به؛ والله الصادق في قوله، فقال: أصلح الله الملك، إن الله لم يقل: فيه الشفاء للناس ـ بالألف واللام، الَّذيْنِ يدخلان لاستيفاء الجنس ـ. وإنما ذكره مُنكَّراً، فمعناه فيه شفاء لبعض الناس دون بعض.

قال الداني: والصواب أن الألف واللام في قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ لا يستغرقان الجنس كله، كما لا يستغرقان في قوله: ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقوله: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وشبهه)[1].

---

(١) طبقات المفسرين، للداوودي (٢/ ٦٠).

٣ ـ الشدة أحياناً على من لا يخاف عليه النفرة بالشدة، وعنده من العلم ما لا ينبغي معه أن يسأل هذا السؤال:

كحديث عَمْرِو بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ نَفراً كَانُوا جُلُوساً بِبَابِ النَّبِيِّ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلَمْ يَقُلْ اللهُ كَذَا وَكَذَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلَمْ يَقُلْ اللهُ كَذَا وَكَذَا ـ وفي رواية أنهم تكلموا في القدر ـ. فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ فَقَالَ: «بِهَذَا أُمِرْتُمْ! ـ أَوْ بِهَذَا بُعِثْتُمْ! ـ أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ!، إِنَّمَا ضَلَّتْ الأُمَمُ قَبْلَكُمْ فِي مِثْلِ هَذَا. إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِمَّا هَاهُنَا فِي شَيْءٍ، انْظُرُوا الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ، فَاعْمَلُوا بِهِ وَالَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»[١].

ثانياً: وأما إن كان السائل يسأل تعنتاً، فإن لهم معه طرقاً كثيرة:

١ ـ تعليمه السؤال الصحيح:

عن عامر بن واثلة، أن ابن الكواء سأل علياً رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين ما الذاريات ذرواً؟ قال: ويلك سل تفقُّهاً، ولا تسأل تعنُّتاً[٢].

٢ ـ تأديبه إن كان له عليه قدرة وسلطة:

كما فعل عمر رضي الله عنه مع صبيغ؛ فعن السائب بن يزيد، أن رجلاً قال لعمر رضي الله عنه: إني مررت برجل يسأل عن تفسير مشكل القرآن، فقال عمر: اللهم أمكني منه. فدخل الرجل على عمر يوماً وهو لابس ثياباً وعمامة، وعمر يقرأ القرآن، فلما فرغ قام إليه الرجل، فقال: يا أمير المؤمنين ما الذاريات ذرواً؟ فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده، ثم قال: ألبسوه ثيابه واحملوه على قتب، وأبلغوا به حيَّه، ثم ليقم

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٧/ ٢١).

خطيباً فليقل: إن صبيغاً طلب العلم فأخطأه. فلم يزل وضيعاً في قومه بعد أن كان سيداً فيهم[(١)].

٣ ـ هَجْره، والتحذير منه، وعدم مناظرته:

وهذا لثلاثة أسباب[(٢)]:

أ ـ لتأديبه: كما فعل عمر رضي الله عنه مع صبيغ.

ب ـ لأن صاحب الشبهة إن كان مغموساً في باطله، ويطلب نصرته، أو يريد التشكيك في الحق، فإنه لا ينفع معه الجدال:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧]. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[(٣)].

ج ـ إذا كان الراد على الشُبه لا يأمن على نفسه من التأثر:

---

(١) المصدر السابق (١٧/ ٢١).

(٢) انظر على سبيل المثال: الروض الريان في أسئلة القرآن (١/ ٧٥).

(٣) متفق عليه. البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب منه آيات محكمات، رقم (٤٢٧٣)، ومسلم: كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، رقم (٢٦٦٥).

(قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ.

وَعَنْ أَيُّوبَ قَالَ: رَآنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ جَلَسْتُ إِلَى طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ فَقَالَ لِي: أَلَمْ أَرَكَ جَلَسْتَ إِلَى طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ لَا تُجَالِسَنَّهُ.

وَعَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ فُلَاناً يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ، فَإِنْ كَانَ قَدْ أَحْدَثَ، فَلَا تَقْرَأْ عَلَيْهِ السَّلَامَ.

وَعَنْ سَلّام بْنِ أَبِي مُطِيعٍ، أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ الأَهْوَاءِ قَالَ لِأَيُّوبَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَسْأَلُكَ عَنْ كَلِمَةٍ، قَالَ: فَوَلَّى وَهُوَ يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ وَلَا نِصْفَ كَلِمَةٍ، وَأَشَارَ لَنَا سَعِيدٌ بِخِنْصِرِهِ الْيُمْنَى)[1].

٤ ـ مناظرته والتصدي له إن انتشرت بدعته وراجت، أو كان ذا سلطان:

كما حصل مع الإمام أحمد وابن أبي دؤاد في فتنة خلق القرآن، وكما حصل مع عبد العزيز الكناني مع بشر المريسي، وحكيت وقائع هذه المناظرة في كتاب الحيدة، وهذه سنّة إبراهيمية شرعية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

٥ ـ تأليف الكتب التي تنقض بدعته وشبهته، وتبين زيف كلامه.

٦ ـ إقامة حد الله تعالى عليه، إن كان تحت ولاية المسلمين.

٧ ـ إن كان الطاعن ذا شوكة فالحرب:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (ومن بعض حقوق الله على عباده، رد الطاعنين

---

(١) كل هذه الآثار أخرجها الدارمي في المقدمة، في باب اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة.



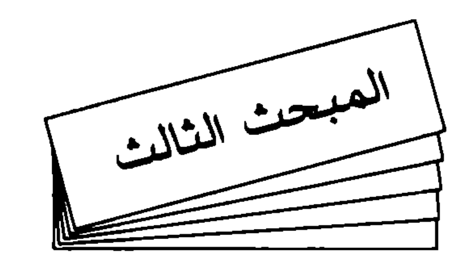
على كتابه ورسوله ودينه، ومجاهدتهم بالحجة والبيان **والسيف والسنان** والقلب والجنان، وليس وراء ذلك حبة خردل من الإيمان، وكان انتهى إلينا مسائل أوردها بعض الكفار الملحدين على بعض المسلمين، فلم يصادف عنده ما يشفيه، ولا وقع دواؤه على الداء الذي فيه، وظن المسلم أنه بضربه يداويه، فسطا به ضرباً وقال: هذا هو الجواب. فقال الكافر: صدق أصحابنا في قولهم، إن دين الإسلام إنما قام بالسيف لا بالكتاب، فتفرقا وهذا ضارب وهذا مضروب، وضاعت الحجة بين الطالب والمطلوب، فشمر المجيب ساعد العزم، ونهض على ساق الجد، وقام لله قيام مستعين به، مفوّض إليه، متّكل عليه في موافقة مرضاته، ولم يقل مقالة العجزة الجهال: إن الكفار إنما يعاملون بالجلاد دون الجدال، وهذا فرار من الزحف، وإخلاد إلى العجز والضعف، وقد أمر الله بمجادلة الكفار بعد دعوتهم إقامة للحجة، وإزاحة للعذر، ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيي من حي عن بيّنة، والسيف إنما جاء منفذاً للحجة، مقوّماً للمعاند، وحدّاً للجاحد؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

فدين الإسلام قام بالكتاب الهادي، ونفذه السيف الماضي:

فَمَا هُوَ إلَّا الوَحْيُ أو حَدُّ مُرْهَفٍ[(١)] يُقيمُ ظَبَاهُ[(٢)] أخْدَعَيْ[(٣)] كلِّ مائلِ
فهذا شفاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ عالمٍ وهذا دواءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ جاهِلِ)[(٤)]

---

(١) حد مرهف: المرهف السيف الحاد. مختار الصحاح (١/ ١٠٩).
(٢) ظباه: ظب السيف جمع ظُبَة، وهو حد السيف. لسان العرب (١٥/ ٢٢).
(٣) الأخدعان: عرقان خفيان في موضع الحجامة من العنق. لسان العرب (٨/ ٦٦).
(٤) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم (ص٣١)، والبيتان لأبي تمام. انظر: «المثل السائر» (٢/ ٢٩٥).



قواعد التعامل مع المطاعن

للعلماء في التعامل مع المطاعن التي تثار حول كتاب الله قواعد عدة، وهي كالتالي:

أولاً: اليقين التام بأن جميع هذه المطاعن مفتراة مكذوبة، لا أصل لها من الصحة، ولا أساس لها من الواقع، وإنما هي محض أوهام بل أضغاث أحلام، جاءت من قلب امرئ حاقد أو جاهل؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، فما كان لنا أن نكذب ربنا ونصدق ملحداً حاقداً أو مجادلاً جاهلاً، وهذه القضية في غاية من الأهمية؛ إذ إن كل من تأثر بالمستشرقين من المعاصرين لم تكن عنده هذه القضية من المسلمات، بل ضعف يقينهم في هذا الباب أدّى بهم إلى هذه المزالق.

ثانياً: إن عدم قدرة إنسان معيَّن على الرد، ليس معناه الهزيمة والعجز وإثبات الطعن، بل إنه لا يخلو زمان من قائم لله بالحجة[1]؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

(١) انظر: إعجاز القرآن، لأبي بكر بن القاسم (ص٥)، تحقيق سيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، وحكاية المناظرة في القرآن، لابن قدامة المقدسي (ص١٧)، تحقيق عبد الله يوسف الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

ثالثاً: قانون العمل عند وجود الطعن لسبب ما[1]:

١ ـ الجمع بين مدلولات النصوص والتوفيق بينها ما أمكن: فالخاص يقدم على العام، والمطلق يقيد بالمقيد... إلخ.

٢ ـ فإن تعذر الجمع، فالنسخ إن أمكن ذلك، وعلم المتقدم والمتأخر.

٣ ـ فإن تعذر ذلك لجأنا إلى الترجيح، فيقدم الراجح للعمل.

ومسلك الترجيح بين الآيات يقوم على الآتي:

١ ـ تقديم المدني على المكي.

٢ ـ أن يكون الحكم على غالب أحوال أهل مكة، والآخر على غالب حال أهل المدينة، فيقدم الحكم بالخبر الذي فيه أحوال أهل المدينة.

٣ ـ أن يكون أحد الظاهرين مستقلاً بحكمه والآخر مقتضياً لفظاً يزاد عليه، فيقدم المستقل بنفسه عند المعارضة والترتيب.

٤ ـ أن يكون كل واحد من العمومين محمولاً على ما قصد به في الظاهر عند الاجتهاد، فيقدم ذلك على تخصيص كل واحد منهما من المقصود بالآخر.

٥ ـ أن يكون تخصيص أحد الاستعمالين على لفظ تعلق بمعناه والآخر باسمه.

٦ ـ ترجيح ما يعلم بالخطاب ضرورة على ما يعلم منه ظاهراً.

* كان هذا تلخيصاً لكلام الزركشي في البرهان عن مسلك الترجيح بين الآيات عند تعارضها في الظاهر؛ فقد قال ما نصه[2]:

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٨٠)، ومناهل العرفان، للزرقاني (٢/ ١٩٤).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٢/٤٨ ـ ٥١).

(فصل في القول عند تعارض الآي: قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: إذا تعارضت الآي، وتعذر فيها الترتيب والجمع، طُلب التاريخ، وترك المتقدم منهما بالمتأخر، ويكون ذلك نسخاً له. وإن لم يوجد التاريخ، وكان الإجماع على استعمال إحدى الآيتين، علم بإجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل بها.

قال: ولا يوجد في القرآن آيتان متعارضتان تعريان عن هذين الوصفين.

وذكروا عند التعارض مرجحات:

الأول: تقديم المدني على المكي، وإن كان يجوز أن تكون المكية نزلت عليه ﷺ بعد عوده إلى مكة، والمدنية قبلها، فيقدم الحكم بالآية المدنية على المكية في التخصيص والتقديم؛ إذ كان غالب الآيات المكية نزولها قبل الهجرة.

الثاني: أن يكون أحد الحكمين على غالب أحوال أهل مكة، والآخر على غالب أحوال أهل المدينة، فيقدم الحكم بالخبر الذي فيه أحوال أهل المدينة، كقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، مع قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨]. فإذا أمكن بناء كل واحدة من الآيتين على البدل، جعل التخصيص في قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ كأنه قال: إلا من وجب عليه القصاص. ومثل قوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ١]، ونهيه ﷺ عن قتل صيد مكة مع قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤]، فجعل النهي فيمن اصطاده في الحرم، وخص من اصطاده في الحل وأدخله حياً فيه.

الثالث: أن يكون أحد الظاهرين مستقلاً بحكمه، والآخر مقتضياً لفظاً يزاد عليه، فيقدم المستقل بنفسه عند المعارضة والترتيب، كقوله

تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، مع قوله: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦] وقد أجمعت الأمة على أن الهدي لا يجب بنفس الحصر، وليس فيه صريح الإحلال بما يكون سبباً له، فيقدم المنع من الإحلال عند المرض بقوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ على ما عارضه من الآية.

الرابع: أن يكون كل واحد من العمومين محمولاً على ما قصد به في الظاهر عند الاجتهاد، فيقدم ذلك على تخصيص كل واحد منهما من المقصود بالآخر، كقوله: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ [النساء: ٢٣] بقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، فيخص الجمع بملكه اليمين بقوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣]. فتحمل آية الجمع على العموم، والقصد فيها بيان ما يحل وما يحرم. وتحمل آية الإباحة على زوال اللوم فيمن أتى بحال.

الخامس: أن يكوت تخصيص أحد الاستعمالين على لفظ تعلق بمعناه والآخر باسمه، كقوله: ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦]، مع قوله تعالى: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]، فيمكن أن يقال في الآية بالتبين عند شهادة الفاسق إذا كان ذلك من كافر على مسلم، أو مسلم فاسق على كافر، وأن يقبل الكافر على الكافر وإن كان فاسقاً، أو يحمل ظاهر قوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ على القبيلة دون الملة، ويحمل الأمر بالتثبت على عموم النسيان في الملة؛ لأنه رجوع إلى تعيين اللفظ، وتخصيص الغير بالقبيلة؛ لأنه رجوع إلى الاسم على عموم الغير.

السادس: ترجيح ما يعلم بالخطاب ضرورة على ما يعلم منه ظاهراً، كتقديم قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، على قوله: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]، فإن قوله: ﴿وَأَحَلَّ﴾ يدل على حل البيع

ضرورة، ودلالة النهي على فساد البيع إما ألا تكون ظاهرة أصلاً، أو تكون ظاهرة منحطة عن النص).اهـ.

* وقد ذكر الشوكاني في كتابه: «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول» في باب أنواع الترجيح[1]، طرقاً كثيرة للترجيح: فباعتبار المتن ذكر ثمانية وعشرين نوعاً، وباعتبار المدلول تسعة أنواع، والترجيح باعتبار أمور خارجة ذكر عشرة أنواع؛ فالمجموع سبعة وأربعون نوعاً للترجيح.

يقول الشوكاني: (واعلم أن الترجيح قد يكون باعتبار الإسناد، وقد يكون باعتبار المتن، وقد يكون باعتبار المدلول، وقد يكون باعتبار أمر خارج، فهذه أربعة أنواع)[2].

فأما باعتبار السند فهذه لا يلتفت إليها في القرآن؛ لأنه قطعي الثبوت، وإنما تكون في التعارض بين الأحاديث.

وأما المرجحات باعتبار المتن فهي أنواع، فمن الأنواع التي ذكرها ولها أثر فيما ظاهره التعارض في القرآن:

١ ـ تقديم الحقيقة على المجاز، لتبادرها إلى الذهن، هذا إذا لم يغلب المجاز كقوله تعالى: ﴿...بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ...﴾ [المائدة: ٦٤]، فيكون المراد بها اليد الحقيقية لا المجاز بمعنى القوة والكرم، لا سيما والتثنية تأباه.

٢ ـ أنه يقدم المجاز الذي هو أشبه بالحقيقة على المجاز الذي لم يكن كذلك.

---

(١) إرشاد الفحول (٢/ ٣٨٢ ـ ٣٩٤).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٨٢).



٣ ـ أنه يقدم ما كان حقيقة شرعية أو عرفية على ما كان حقيقة لغوية.

٤ ـ أنه يقدم ما كان مستغنياً عن الإضمار في دلالته على ما هو مفتقر إليه.

٥ ـ أنه يقدم الدال على المراد من وجهين على ما كان دالًّا على المراد من وجه واحد.

٦ ـ أنه يقدم ما دل على المراد بغير واسطة على ما دل عليه بواسطة.

٧ ـ أنه يقدم مفهوم الموافقة على مفهوم المخالفة.

وأما المرجحات باعتبار المدلول فهي أنواع:

١ ـ أنه يقدم ما كان ناقلاً لحكم الأصل والبراءة على ما كان مبقياً على البراءة الأصلية.

٢ ـ أنه يقدم ما فيه تأسيس على ما فيه تأكيد.

وأما المرجحات بحسب الأمور الخارجة فهي أنواع:

١ ـ أنه يقدم ما عضده دليل آخر على ما لم يعضده دليل آخر.

٢ ـ أنه يقدم ما كان فيه التصريح بالحكم على ما لم يكن كذلك كضرب الأمثال ونحوها، فإنها ترجح العبارة على الإشارة(١).

يضاف لهذا ما ذكره الزركشي.



(١) المرجع السابق، باختصار وتصرف.

الباب الثاني

(تطبيقي)

موقف الطاعنين من آيات القرآن والرد عليهم

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الردود الإجمالية على من طعن في القرآن.

الفصل الثاني: الردود التفصيلية على من طعن في القرآن.





مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center for Qur'anic Studies
تفسير

الفصل الأول

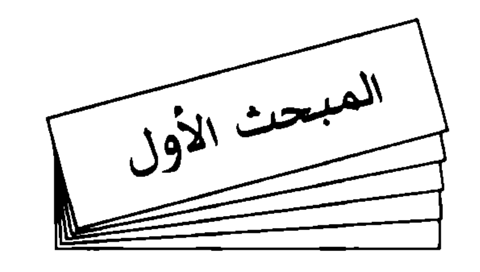
الردود الإجمالية على من طعن في القرآن

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأدلة على صدق القرآن وما فيه.

المبحث الثاني: ردود القرآن على الطاعنين.

المبحث الثالث: ردود إجمالية أخرى.



الأدلة على صدق القرآن وما فيه

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً»[1].

(قال العلماء: معناه أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعاصير إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر أنه سيكون، مما يدل على صحة دعواه.

وقيل: المعنى أن المعجزات الماضية كانت حسية؛ تشاهد بالأبصار، كناقة صالح، وعصا موسى. ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة؛ فيكون من يتبعه لأجلها أكثر؛ لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً.

---

(١) متفق عليه. البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما أنزل رقم (٤٦٩٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ رقم (١٥٢).

قال الحافظ ابن حجر: ويمكن نظم القولين في كلام واحد؛ فإن محصلهما لا ينافي بعضه بعضاً)[1].

وفي هذا المبحث عدة مطالب كلها تدل على صدق القرآن وصحة ما فيه:

المطلب الأول

إعجاز القرآن

إعجاز القرآن من الأدلة على صدقه، وأنه من عند الله تعالى حقاً.

وأوجه إعجاز القرآن كثيرة جداً منها:

١ ـ إخبار القرآن بالغيب:

سواء الغيب الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وهذا دليل على صدق النبي ﷺ وإعجاز القرآن.

وهذا الدليل مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران: ٤٤]، ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يوسف: ١٠٢].

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [القصص: ٤٤ ـ ٤٦].

---

(١) الخصائص الكبرى للإمام السيوطي (١/١٨٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

أي: إنك يا محمد لم تكن موجوداً في ذلك المكان حتى تستطيع أن تعرف هذه القصة ـ قصة موسى ـ ولكن الله تعالى هو الذي أوحى إليك بها، فلعل الناس إذا عرفوا ذلك تذكروا وآمنوا بك.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (يقول تعالى منبهاً على برهان نبوة محمد ﷺ حيث أخبر بالغيوب الماضية خبراً، كأن سامعه شاهدٌ وراءٍ لما تقدم، وهو رجل أمي لا يقرأ شيئاً من الكتب، نشأ بين قوم لا يعرفون شيئاً من ذلك.

كما أنه لما أخبره عن مريم وما كان من أمرها قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ الآية [آل عمران: ٤٤]، أي: وما كنت حاضراً لذلك ولكن الله أوحاه إليك.

وهكذا لما أخبره عن نوح وقومه، وما كان من إنجاء الله له وإغراق قومه ثم قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ الآية [هود: ٤٩]، وقال في آخر السورة: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ [هود: ١٠٠].

وقال بعد ذكر قصة يوسف: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ الآية [يوسف: ١٠٢]. وقال في سورة طه: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ﴾ الآية [طه: ٩٩].

وقال ههنا بعدما أخبر عن قصة موسى من أولها إلى آخرها، وكيف كان ابتداء إيحاء الله وتكليمه له: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ ...﴾ [القصص: ٤٤]، يعني ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقيه

على شاطئ الوادي، ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لذلك، ولكن الله ﷻ أوحى إليك ذلك ليكون حجة وبرهاناً على قرون قد تطاول عهدها ونسوا حجج الله عليهم وما أوحاه إلى الأنبياء المتقدمين. وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [القصص: ٤٥]، أي: وما كنت مقيماً في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا حين أخبرت عن نبيها شعيب وما قال لقومه وما ردوا عليه، ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾، أي: ولكن نحن أوحينا إليك ذلك، وأرسلناك إلى الناس رسولاً)[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨، ٤٩].

فإذا كان النبي ﷺ ليس موجوداً في تلك الأمكنة، ولا يستطيع أن يقرأ ولا يكتب، دل هذا قطعاً أن هذه الأخبار إنما هي من عند الله تعالى، الذي لا تخفى عليه خافية.

ومن إخباره بالغيب المستقبل؛ قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الروم: ٢ ـ ٦]، وقد تحققت غلبة الروم بعد سنوات قليلة.

فعن سَعِيد بْنِ جُبَيْرٍ رحمه الله، عَنِ ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِ اللَّهِ تعالَى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ١ ـ ٣]، قَالَ: غُلِبَتْ وَغَلَبَتْ، كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ أَهْلُ فَارِسَ عَلَى الرُّومِ؛ لأَنَّهُمْ

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩١).

وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ الأَوْثَانِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ؛ لأَنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، فَذَكَرُوهُ لأَبِي بَكْرٍ، فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ». فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لَهُمْ، فَقَالُوا: اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجلاً، فَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَنَا كَذَا وكَذَا، وَإِنْ ظَهَرْتُم كَانَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا. فَجَعَلَ أَجَلًا خَمْسَ سِنِينَ، فَلَمْ يَظْهَرُوا، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَلا جَعَلْتَهُ إِلَى دُونِ الْعَشْرِ». قَالَ: ثُمَّ ظَهَرَتِ الرُّومُ بَعْدُ. قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ ...﴾ إلى قولِهِ: ﴿وَيَوْمَئِذٖ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ﴾. قَالَ سُفْيَانُ: سَمِعْتَ أَنَّهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ)[1].

وقوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: ٤٣ ـ ٤٦]، هذه الآية نزلت تتحدث عن غزوة بدر، ووقت نزولها كان قبل الهجرة بسنوات، وعائشة ﵂ كانت صغيرة:

عن عائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﵂ قَالَتْ: لَقَدْ أُنزلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَكَّةَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾[2].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يوم بدر: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ». فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ.

---

(١) أخرجه الترمذي. كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الروم رقم (٣١٩٣)، وإسناده صحيح. انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني رقم (٢٥٥١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ رقم (٤٥٩٥).

وَهُوَ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾[1].

قال ابن كثير: (﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ أي سيفترق شملهم ويغلبون.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: لما نزلت: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ قال عمر: أي جمع يهزم؟! أي جمع يغلب؟! قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ فعرفت تأويلها يومئذ. اهـ)[2].

ومن هذا إخباره عن بعض المشركين أنه من أهل النار وهو حي، فيموت على الكفر؛ كأبي لهب وامرأته: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد: ١ ـ ٥].

٢ ـ الإعجاز العلمي:

من مثل قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ [الرحمٰن: ١٩، ٢٠].

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝٥٣﴾ [الفرقان: ٥٣].

فقد لاحظ علماء البحار عند التقاء فرعي نهر النيل عند دمياط وعند الرشيد بالبحر الأبيض، حيث تتدفع مياه النهر العذبة بقوة شديدة إلى مياه البحر المالحة، ومع هذا كل منهما تحتفظ بمذاقها وأحيائها[3].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي رقم (٢٧٥٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٢٦٦).

(٣) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن لسيد الجميلي (ص٢٧)، والقرآن الكريم، =

وهذا الإعجاز في جميع المجالات؛ الطبية، والجغرافية، والاجتماعية، والفضائية، وفي عالم الحيوان، وعالم النبات، وغيرها[1].

٣ ـ الإعجاز البياني[2]:

فقد حوى القرآن على القدح المعلى من البلاغة والبيان والفصاحة، وشمل على جميع شروط الكلام البليغ في كل سُوَرِه وآياته وكلماته.

وقد أخذ من أكل أنواع البلاغة بأوفر نصيب، فتجد فيه إيجاز القصر، والتشبيه الرفيع، والتتميم.

= من منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إسيسكو) (ص٣٠)، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، فقد أشار القرآن إلى كروية الأرض ودورانها، والجنين ومراحل تطوره، وغير ذلك من أنواع الإعجاز العلمي.

(١) انظر:
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لسيد الجميلي، دار الهلال، بيروت.
- والإعجاز العلمي في القرآن الكريم لحمادة الدبلاني، دار الوفاء، والمنصورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- والجراد في القرآن الكريم والعلم الحديث، د. كارم السيد غنيم، ود. عبد العظيم محمد الجمال، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- وإعجاز النبات في القرآن الكريم، د. نظمي خليل أبو العطا، مكتبة النور، مصر الجديدة.
- والاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم، د. سليمان عمر قوش، دار الحرمين، الدوحة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- والقرآن والسنة والعلوم الحديثة، محمد أحمد مدني، وليس فيه ذكر المكتبة ولا تاريخ الطبع.

(٢) انظر: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي، طباعة دار الكتاب العربي في بيروت، ١٩٩٠م.

هذا وقد احتوى النظم القرآني على الجزالة، والتناسق، والاهتمام بالإيقاع، والانسجام في اللفظ والنغم؛ وقد حصل للصحابة وهم أفصح الناس، وأعلمهم باللغة وبيانها، حصل لهم التأثير الكبير به، فمن ذلك:

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: خَرَجْتُ أَتَعَرَّضُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ أُسْلِمَ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقُمْتُ خَلْفَهُ، فَاسْتَفْتَحَ سُورَةَ الْحَاقَّةِ، فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُرْآنِ. قَالَ: فَقُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ شَاعِرٌ كما قَالَتْ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَقَرَأَ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾. قَالَ: قُلْتُ: كَاهِنٌ. قَالَ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٠ ـ ٤٧]، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، قَالَ: فَوَقَعَ الإِسْلامُ فِي قَلْبِي كُلَّ مَوْقِعٍ)[١].

وعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هذِهِ الآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٧]؛ قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ)[٢].

(وفي رواية: وَذَلِك أَوَّلَ مَا وَقَرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، مسند العشرة المبشرين بالجنة رقم (١٠٨) ورجاله ثقات، إلا أنه منقطع، فشريح لم يدرك عمر، انظر: مجمع الزوائد للهيثمي (٩/ ٦٢)، والمسند تحقيق أحمد شاكر (١/ ٢٠١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الطور رقم (٤٥٧٣).



وَلِلطَّبَرَانِيّ مِنْ رِوَايَةِ أُسَامَة بْن زَيْد عَنِ الزُّهْرِيّ نَحْوُهُ، وَزَادَ: فَأَخَذَنِي مِنْ قِرَاءَتِهِ الْكَرْب.

وَلِسَعِيد بْن مَنْصُور عَنْ هُشَيْمٍ عَنِ الزّهْرِيّ: فَكَأَنَّمَا صُدِعَ قَلْبِي حِينَ سَمِعْت الْقُرْآنَ)[1].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ سُورَة النَّجْم فَسَجَدَ بِهَا، فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ مِن الْقَوْمِ إلا سَجَدَ، فَأَخَذَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْم كَفًّا مِنْ حَصًى أَوْ تُرَابٍ، فَرَفَعَهُ إِلَى وَجْهِهِ وَقَالَ: يَكْفِينِي هَذَا. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدُ قُتِلَ كَافِراً، وهو أمية بن خلف)[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، يقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً. قال: لم؟ قال: ليعطوكه؛ فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قِبَلَه. قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له أو إنك كاره له. قال: ماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا برجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لِقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر. فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يُؤْثِره عن غيره. فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ [المدثر: ١١][3].

---

(١) انظر: فتح الباري (٢/ ٢٩٠).

(٢) متفق عليه. البخاري: كتاب الجمعة، باب سجدة النجم، رقم (١٠٢٠)، ومسلم: كتاب المساجد وموضع الصلاة، باب سجود التلاوة، رقم (٥٧٦).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٥٠) وقال الذهبي: صحيح، طبعة دار الباز تحقيق=

٤ ـ الإعجاز التشريعي[١]:

فالقرآن معجز في تنظيمه لأحوال البشر في جانب العقائد والعبادات والأخلاق[٢]، في تنظيمه لجميع الأفراد والمجتمعات والسياسات والدول؛ فقد نظم الإسلام حياة الإنسان في نفسه، ومع غيره؛ فهناك آداب الزوجية، وحقوق الوالدين والأبناء والأصدقاء والجيران، وولاة الأمر، والمجتمع، والمسلمين بعامة، ونظم العلاقة بغير المسلمين، فهناك الذمي والمعاهد والمحارب، وهناك حال ضعف الدولة الإسلامية وحال قوتها، وهناك حال الدعوة، وحال المجادلة، وحال المجالدة، وغير ذلك[٣].

وقد قام بعض المعاصرين بمحاولة بائسة للتشكيك في الإعجاز التشريعي، ومحاولة نقضه، وبيان عدم صلاحيته، أو مخالفته العقل، ومن أشهرهم المهندس محمد شحرور في كتابه (الكتاب والقرآن قراءة معاصرة)[٤]، وقد رد عليه طائفة كبيرة من العلماء[٥]، مثل تشكيكه في

= مصطفى عطا، وانظر: تفسير البيضاوي (٣/ ٢٤٨) وتفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٣).

(١) انظر: كتاب «القرآن وإعجازه التشريعي» لمحمد إبراهيم إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة.

(٢) انظر: دستور الأخلاق في القرآن، للدكتور عبد الله دراز، تحقيق د. عبد الصبور شاهين، بيروت، مطبعة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

(٣) انظر: كتاب مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفى مسلم، في الفصل الثالث: الإعجاز التشريعي (ص٢٣١ ـ ٢٥٨)، وكتاب القرآن الكريم (ص٣١)، من أساليب الغزو الفكر، د. غنايم (ص٥٤٣).

(٤) نشر في دمشق عام ١٩٩٠م وطبعته عدة مكاتب.

(٥) وممن رد عليه:

أ ـ القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان، لأحمد عمران، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

ب ـ بيضة الديك (نقد لغوي لكتاب الكتاب والقرآن)، ليوسف الصيداوي، =

الحدود الشرعية كقطع يد السارق، ودعوته إلى تحديث الشريعة وعصرنتها، وأن يستبدل الجلد بالسجن، وإنكاره تعدد الزوجات وأنه لا يجوز التعدد إلا بالأرملة ذات الأيتام، وتجويزه ظهور المرأة عارية تماماً أمام محارمها، وإنكاره الحجاب الشرعي واشتراط المهر وتنصيف إرث المرأة، وتجويزه النظر للمرأة غير المحرم، وغير ذلك من أنواع التحريف واللعب بكتاب الله تعالى وتشريعاته.

قال القرطبي رحمه الله: (ووجوه إعجاز القرآن الكريم عشرة:

ـ **منها: النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب** وفي غيرها، لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء، وكذلك قال رب العزة الذي تولى نظمه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩].

وفي «صحيح مسلم» أن أنيساً أخا أبي ذر قال لأبي ذر: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله. قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر ـ وكان أنيس أحد الشعراء ـ قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر، فلم يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون.

وكذلك أقر عتبة بن ربيعة أنه ليس بسحر ولا شعر، لما قرأ عليه رسول الله ﷺ (حم فصلت)، على ما يأتي بيانه هنالك.

= المطبعة التعاونية في دمشق، وهو كتاب عظيم رد فيه على أول عشر صفحات من الكتاب من الجانب اللغوي فقط في مائتين وأربع وستين ورقة.

ج ـ الماركسية والقرآن، للمحامي محمد صياح المعرّاوي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

د ـ القرآن وأوهام القراءة المعاصرة، لجواد عفانة، وغيرها من الكتب.

فإذا اعترف عتبة على موضعه من اللسان، وموضعه من الفصاحة والبلاغة، بأنه ما سمع مثل القرآن قط، كان في هذا القول مقراً بإعجاز القرآن له، ولضربائه من المتحققين بالفصاحة والقدرة على التكلم بجميع أجناس القول وأنواعه.

ـ **ومنها: الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب** ـ يعني أنه ليس بشعر ولا نثر ولا سجع ـ.

ـ **ومنها: الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال**، وتأمل ذلك في سورة ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ إلى آخرها، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]، إلى آخر السورة، وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، إلى آخر السورة.

فمن علم أن الله ﷻ هو الحق علم أن مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره، ولا يصح من أعظم ملوك الدنيا أن يقول: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [غافر: ١٦]، ولا أن يقول: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ١٣].

قال ابن الحصار: وهذه الثلاثة من النظم والأسلوب والجزالة لازمة كل سورة، بل هي لازمة كل آية، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر، وبها وقع التحدي والتعجيز، ومع هذا فكل سورة تنفرد بهذه الثلاثة أن ينضاف إليها أمر آخر من الوجوه العشرة، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات قصار، وهي أقصر سورة في القرآن وقد تضمنت الإخبار عن مغيبين؛ أحدهما الإخبار عن الكوثر وعِظَمِهِ وسعته وكثرة أوانيه، وذلك يدل على أن المصدقين به أكثر من أتباع سائر الرسل، والثاني الإخبار عن الوليد بن المغيرة، وقد كان أول نزول الآية ذا مال وولد على ما يقتضيه قول الحق: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ

خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾ [المدثر: ١١ ـ ١٤]، ثم أهلك الله سبحانه ماله وولده وانقطع نسله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ٣].

ـ ومنها: **التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي،** حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه.

ـ ومنها: **الإخبار عن الأمور التي في أول الدنيا إلى وقت نزوله،** من أمي ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه، فأخبر بما كان من قصص الأنبياء مع أممها والقرون الخالية في دهرها، وذكر ما سأله أهل الكتاب عنه وتحدوه به من قصص أهل الكهف، وشأن موسى والخضر عليهما السلام، وحال ذي القرنين، فجاءهم وهو أمي من أمة أمية، ليس لها بذلك علم بما عرفوا من الكتب السالفة صحته فتحققوا صدقه، قال القاضي ابن الطيب: ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلم، وإذا كان معروفاً أنه لم يكن ملابساً لأهل الآثار وحملة الأخبار، ولا متردداً إلى المتعلم منهم، ولا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه؛ عُلم أنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي.

ـ ومنها: **الوفاء بالوعد المدرك بالحس في العيان،** في كل ما وعد الله سبحانه، وينقسم إلى أخباره المطلقة، كوعده بنصر رسوله عليه السلام وإخراج الذين أخرجوه من وطنه، وإلى وعد مقيد بشرط كقوله: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥]، وشبه ذلك.

ـ **ومنها: الإخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها إلا بالوحي**، فمن ذلك ما وعد الله نبيه ﷺ أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ الآية [الصف: ٩]، ففعل ذلك، وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله في إظهار دينه؛ ليثقوا بالنصر وليستيقنوا بالنجح، وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك، فلم يزل الفتح يتوالى شرقاً وغرباً براً وبحراً، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ...﴾ [النور: ٥٥]، وقال: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]، وقال: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم: ١ ـ ٣]، فهذه كلها أخبار عن الغيوب التي لا يقف عليها إلا رب العالمين، أو من أوقفه عليها رب العالمين، فدل على أن الله تعالى قد أوقف عليها رسوله، لتكون دلالة على صدقه.

ـ **ومنها: ما تضمنه القرآن من العلم**، الذي هو قوام جميع الأنام في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام.

ـ **ومنها: الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدمي**.

ـ **ومنها: التناسب في جميع ما تضمنه اختلاف**، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. قلت: فهذه عشرة أوجه ذكرها علماؤنا رحمة الله عليهم)[١].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٥٢ ـ ٥٤)، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

(وقد سرد هبةُ الدين الحسيني الشهرستاني المزايا الإجمالية للقرآن وهي:

ـ فصاحةُ ألفاظه الجامعة لكل شرائعها.

ـ بلاغته بالمعنى المشهور؛ أي موافقة الكلام لمقتضى الحال ومناسبات المقام، أو بلاغته المعنوية.

ـ توفر المحاسن الطبيعية فوق المحاسن البديعية.

ـ إيجاز بالغ مع الإعجاز بدون أن يخل بالمقصود.

ـ إطناب غير ممل في مكرراته.

ـ سمو المعاني وعلو المرمى في قصد الكمال الأسمى.

ـ طلاوة أساليبه الفطرية، ومقاطعه المبهجة، وأوزانه المتنوعة.

ـ فواصله الحسنى وأسماعه الفطرية.

ـ أسرار علمية لم تهتد العقول إليها بعد عصر القرآن إلا بمعونة الأدوات الدقيقة، والآلات الرقيقة المستحدثة.

ـ غوامض أحوال المجتمع، وآداب أخلاقية تهذب الأفراد وتصلح شؤون العائلات.

ـ قوانين حكيمة في فقه تشريعي، فوق ما في التوراة، والإنجيل، وكتب الشرائع الأخرى.

ـ سلامته عن التعارض والتناقض والاختلاف.

ـ خلوصه من تنافر الحروف، وتنافي المقاصد.

ـ ظهوره على لسان أُمي لم يعرف الدراسة، ولا ألف محاضرة العلماء، ولا جاب الممالك سائحاً مستكملاً.

ـ طراوته في كل زمان، كونه غضاً طريًا كلما تُلي وأينما تُلي.

ـ اشتماله على السهل الممتنع، الذي يعد ملاك الإعجاز، والتفوق النهائي.

ـ قوة عبارته لتحمل الوجوه، وتشابه المعاني.

ـ قصصه الحلوة، وكشوفه التاريخية من حوادث القرون الخالية.

ـ أمثاله الحسنى التي تجعل المعقول محسوساً، وتجعل الغائب عن الذهن حاضراً لديه.

ـ معارفه الإلهية كأحسن كتاب في علم اللاهوت، وكشف أسرار عالم الملكوت، وأوسع سفر من مراحل المبدأ والمعاد.

ـ خطاباته البديعية، وطرق إقناعه الفذة.

ـ تعاليمه العسكرية، ومناهجه في سبيل الصلح، وفنون الحرب.

ـ سلامته من الخرافات والأباطيل، التي من شأنها إجهاز العلم عليها كلما تكاملت أصوله وفروعه.

ـ قوة الحجة، وتفوق المنطق.

ـ اشتماله على الرموز في فواتح السور، ودهشة الفكر حولها وحول غيرها.

ـ جذباته الروحية الخلابة للألباب، الساحرة للعقول، الفتانة للنفوس.

* **هذا وإن وجوه إعجاز القرآن كثيرة**، وقد أُلفت فيها كتب كثيرة، **ويمكن أن يضاف إلى ما ذكره الشهرستاني ما يلي**:

ـ ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، مما يؤكد عجز البشر عن الإتيان بمثله.

ـ اتساق القرآن في أغراضه ومعانيه على طول المدة التي استغرقها في تجميعه، فخواتيمه بعد ربع قرن جاءت مطابقة متساوقة لفواتحه يصدق بعضها بعضاً، ويكمله كأنه نَفَس واحد.

ـ سهولة حفظه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧] فهو ميسر على جميع الألسنة، ومحفوظ في الصدور.

ـ حسن التخلص من قصة إلى أخرى، والخروج من باب إلى غيره.

ـ إطنابه في خطاب اليهود، وإيجازه في خطاب العرب، للتفاوت بينهما فَهْماً وبلاغة.

ـ وجود كلمات في جمل لا يسد مسدها غيرها، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾ [طه: ١٨]. فليس بمقدور أحد أن يأتي بكلمة تسد مسدها.

ـ نزاهته في التعبير، كقوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقوله: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١]، وقوله: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النساء: ٤٣].

ـ خلوص ألفاظ الهجاء فيه من الفحش، كقوله تعالى: ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [النور: ٥٠].

ـ ما تضمنه من الإخبار عن الضمائر، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨]، وقوله تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقوله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ [النساء: ٤٦]، وقوله: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧].

- جمعه بين صفتي الجزالة والعذوبة، وهما كالمتضادين لا يجتمعان في كلام البشر غالباً.

- اقتران معانيه المتغايرة في السور المختلفة، فيخرج في السورة من وعد إلى وعيد، ومن ترغيب إلى ترهيب، ومن ماض إلى مستقبل، ومن قَصَصٍ إلى مَثَلٍ، ومن حكمة إلى جدل، فلا يتنافر، وهي في غيره من الكلام متنافر.

- لا يخرج عن أسلوبه، ولا يزول عن اعتداله باختلاف آياته في الطول والقصر.

- آي وردت بتعجيز قوم في قضايا، وإعلامهم أنهم لا يفعلونها، فما فعلوها ولا قدروا، فالإخبار بالعجز عن الإتيان بمثل القرآن معجزة للقرآن.

- قارئه لا يمله، وسامعه لا يمجه، بل الانكباب على تلاوته يزيده حلاوة، وترديده يوجب له محبة، وغيره من الكلام يُعادى إذا أعيد، ويمل على الترديد.

- كونه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه.

- الإعجاز في ترتيب الآيات والسور(١).

* وذكر السيوطي في كتاب معترك الأقران خمسة وثلاثين وجهاً من وجوه إعجاز القرآن، وهكذا لو تُتبعت لزادت عن المائة وجه.

---

(١) انظر: كتاب الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، للدكتور محمد أحمد يوسف قاسم، دار المطبوعات الدولية، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.



وكل عالم يزيد وجهاً لم يذكره غيره وهذا مصداقاً لقول عليٍّ رضي الله عنه «لَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ»[1].

بل إن السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ فصل في كتاب الخصائص في وجوه إعجاز القرآن بعملية حسابية، فبلغت تلك الوجوه عشرات الألوف، فإليك ما قال:

قال السيوطي رحمه الله: (وقد اختلف الناس في الوجه الذي وقع به

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن رقم (٢٩٠٦) مرفوعاً، قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ، وَفِي الْحَارِثِ مَقَالٌ. اهـ. وأخرجه الدارمي من نفس الطريق. كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن رقم (٣٣٣١).
وأخرجه الإمام أحمد رقم (٧٠٦) عن علي مرفوعاً ولفظه: «أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ: يَا مُحمدُ إِنَّ أُمَّتَكَ مُخْتَلِفَةٌ بَعْدَك. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: فَأَيْنَ الْمَخْرَجُ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: فَقَالَ: كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ يَقْصِمُ اللَّهُ كُلَّ جَبَّارٍ، مَنِ اعْتَصَمَ بِهِ نَجَا، وَمَنْ تَرَكَهُ هَلَكَ ـ مَرَّتَيْنِ ـ قَوْلٌ فَصْلٌ وَلَيْسَ بِالْهَزْلِ، لَا تَخْتَلِقُهُ الْأَلْسُنُ وَلَا تَفْنَى أَعَاجِيبُهُ، فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَفَصْلُ مَا بَيْنَكُمْ وَخَبَرُ مَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ». والراوي عن علي هو الحارث أيضاً كما هو الحال في إسناد الترمذي والدارمي.
وله شاهد من حديث ابن مسعود عند الدارمي في نفس الباب المتقدم رقم (٣٣١٥)، ولفظه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: «إِنّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُم، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ وَالنُّورُ الْمُبِينُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَنَجَاةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ، لَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ وَلَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، فَاتْلُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَّا إِنِّي لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ وَلَكِنْ بِأَلِفٍ وَلَامٍ وَمِيمٍ»، وهو ضعيف؛ فيه إبراهيم الهجري، وهو لين الحديث يرفع الموقوفات، كما قال ابن حجر في التقريب (ص١١٦).

إعجاز القرآن على أقوال بينتها مبسوطة في كتاب الإتقان والملخص أنه وقع بعدة وجوه:

١ ـ منها: حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إعجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن.

٢ ـ ومنها: صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آياته وانتهت إليه فواصل كلماته ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له.

٣ ـ ومنها: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن فوجد كما ورد.

٤ ـ ومنها: ما أنبأ به من أخبار القرون الماضية والشرائع السالفة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده على وجهه، ويأتي به على نصه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب.

٥ ـ ومنها: ما تضمنه من الإخبار عن الضمائر كقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢]. وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨].

٦ ـ ومنها: آي وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا كقوله في اليهود ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾.

٧ ـ ومنها: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة.

٨ ـ ومنها: الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم والهيبة التي تعتريهم عند سماع تلاوته كما وقع لجبير بن مطعم أنه سمع النبي يقرأ في المغرب بالطور قال: فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ

﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾، إلى قوله: ﴿ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ كاد قلبي يطير، قال: وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبي[1].

٩ ـ ومنها: أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة، وغيره من الكلام يعادي إذا أعيد ويمل مع الترديد ولهذا وصف القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد.

١٠ ـ ومنها: كونه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه.

١١ ـ ومنها: جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ولا أحاط بعلمها أحد في كلمات قليلة وأحرف معدودة.

١٢ ـ ومنها: جمعه بين صفتي الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين لا يجتمعان في كلام البشر غالباً.

١٣ ـ ومنها: جعله آخر الكتب غنياً من غيره وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد تحتاج إلى بيان يرجع فيه إليه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل: ٧٦][2].

ثم بين السيوطي أن وجوه الإعجاز تصل إلى عشرات الألوف فقال:

(قال القاضي عياض: إذا عرفت ما ذكر من وجوه إعجاز القرآن، عرفت أنه لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر؛ لأنه قد تحدى بسورة منه فعجزوا عنها، قال أهل العلم: وأقصر السور ﴿إِنَّآ

---

(١) وقد تقدم تخريج هذا الحديث (ص١٣١).

(٢) الخصائص الكبرى (١/ ١٩٥ ـ ١٩٦).

﴿أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١]. فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها معجزة، ثم فيها نفسها معجزات على ما سبق.

قلتُ[(١)]: وإذا عَدَدْتَ كلمات سورة الكوثر وجدتها بضع عشرة كلمة، وقد عد قوم كلمات القرآن سبعاً وسبعين ألف كلمة وتسعمائة وأربعاً وثلاثين، فالقدر المعجز منه يكون في العدد نحو سبعة آلاف تقريباً، تضرب في ثمانية أوجه؛ الأولان[(٢)] والسابع والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر[(٣)] تبلغ ستة وخمسين ألف معجزة، ثم ينضم إلى ذلك في بعضه من الوجه الثالث والرابع والخامس والسادس[(٤)] جملة

---

(١) القائل السيوطي.

(٢) وهما: ١ ـ حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إعجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن.
٢ ـ صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آياته وانتهت إليه فواصل كلماته، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له.

(٣) وهي: ١ ـ ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة.
٢ ـ الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم والهيبة التي تعتريهم عند سماع تلاوته.
٣ ـ أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة، وغيره من الكلام يعادى إذا أعيد، ويمل مع الترديد. ولهذا وصف القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد.
٤ ـ كونه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه.
٥ ـ جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ولا أحاط بعلمها أحد، في كلمات قليلة وأحرف معدودة.
٦ ـ جمعه بين صفتي الجزالة والعذوبة وهما المتضادين لا يجتمعان في كلام البشر غالباً.

(٤) وهي: ١ ـ ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن فوجد، كما ورد.
=

وافرة، فتصل معجزات القرآن بذلك إلى ستين ألف معجزة أو أكثر)[1].

ولعل هذا أن يكون وجهاً جديداً من وجوه الإعجاز، وهو كثرة وجوه إعجازه، فكلام غير الله مهما حصل فيه من البلاغة والحكمة والتوفيق، إلا أنه لا يمكن أن يشمل كل وجوه الإعجاز السابقة، والله أعلم.

المطلب الثاني

التحدي أن يؤتى بمثله

من علامات صدق القرآن وصحته، هو أنه تحدى الخلق من إنس وجن أن يأتوا بأحسن منه فلم يطيقوا، ثم تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو معارضته، ثم لم يزل يتنزل معهم بالتحدي، فلما عجزوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله، فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بحديث من مثله فعجزوا:

قال سبحانه: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [القصص: ٤٩].

= ٢ ـ ما أنبأ به من أخبار القرون الماضية والشرائع السالفة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده على وجهه ويأتي به على نصه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب.

٣ ـ ما تضمنه من الإخبار عن الضمائر.

٤ ـ آيات وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا.

(١) الخصائص الكبرى للسيوطي (١/ ١٩٧).

وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

ثم قال سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣].

ثم قال جل جلاله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال تبارك اسمه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨].

ثم قال سبحانه: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٤].

قال ابن كثير رحمه الله: (ثم شرع تعالى في تقرير النبوة بعد أن قرر أنه لا إله إلا هو، فقال مخاطباً للكافرين: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣]، يعني محمداً ﷺ، فأتوا بسورة من مثل ما جاء به، إن زعمتم أنه من عند غير الله فعارضوه بمثل ما جاء به، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله، فإنكم لا تستطيعون ذلك.

وقد تحداهم الله تعالى بهذا في غير موضع من القرآن، فقال في سورة القصص: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [القصص: ٤٩].

وقال في سورة سبحان: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال في سورة هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣].

وقال في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٧، ٣٨].

وكل هذه الآيات مكية.

ثم تحداهم بذلك أيضاً في المدينة فقال في هذه الآية: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ أي شك ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] يعني من مثل القرآن، فتحداهم كلهم متفرقين ومجتمعين سواء في ذلك أميهم وكتابيهم، وقد تحداهم بهذا في مكة والمدينة مرات عديدة مع شدة عداوتهم له وبغضهم لدينه ومع هذا أعجزوا عن ذلك)(١).

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: (القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: وهذا من الله عز وجل احتجاج لنبيه محمد ﷺ على مشركي قومه من العرب ومنافقيهم، وكفار أهل الكتاب وضُلالهم، الذين افتتح بقصصهم قوله جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦]. وإياهم يخاطب بهذه الآيات، وضرباءهم يعني بها، قال الله جل ثناؤه: وإن كنتم أيها المشركون من العرب والكفار من أهل الكتابين في شك ـ وهو الريب ـ مما نزلنا على عبدنا محمد ﷺ من النور والبرهان وآيات الفرقان أنه من عندي، وأني الذي أنزلته إليه، فلم تؤمنوا به ولم تصدقوه فيما

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٩ ـ ٦٠) بتصرف.

يقول، فأتوا بحجة تدفع حجته؛ لأنكم تعلمون أن حجة كل ذي نبوة على صدقه في دعواه النبوة أن يأتي ببرهان يعجز عن أن يأتي بمثله جميع الخلق، ومن حجة محمد ﷺ على صدقه وبرهانه على نبوته، وأن ما جاء به من عندي، عجز جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم وأنصاركم عن أن تأتوا بسورة من مثله. وإذا عجزتم عن ذلك، وأنتم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة والدراية، فقد علمتم أن غيركم عما عجزتم عنه من ذلك أعجز. كما كان برهان من سلف من رسلي وأنبيائي على صدقه وحجته على نبوته من الآيات ما يعجز عن الإتيان بمثله جميع خلقي. فيتقرر حينئذ عندكم أن محمداً لم يتقوله ولم يختلقه؛ لأن ذلك لو كان منه اختلافاً وتقولاً لم يعجزوا وجميع خلقه عن الإتيان بمثله، لأن محمداً ﷺ لم يَعْدُ أن يكون بشراً مثلكم، وفي مثل حالكم في الجسم وبسطة الخلق وذرابة اللسان، فيمكن أن يظن به اقتدار على ما عجزتم عنه، أو يُتوهم منكم عجز عما اقتدر عليه)[1].

ولقد حاول بعضهم معارضة القرآن فأتوا بالمضحكات، فمن ذلك ما ذكره ابن كثير رحمه الله في تفسيره فقال: (ولقد وفد عمرو بن العاص رضي الله عنه على مسيلمة الكذاب قبل أن يسلم، فقال له مسيلمة: ماذا أُنزل على صاحبكم بمكة في هذا الحين؟ فقال له عمرو: لقد أنزلت عليه سورة وجيزة بليغة. فقال: وما هي؟ فقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② ...﴾ الآيات [العصر: ١، ٢]، ففكر ساعة ثم رفع رأسه فقال: ولقد أنزل عليَّ مثلها. فقال: وما هو؟ فقال: يا وبر يا وبر، إنما أنت أذنان وصدر، وسائرك حقر فقر، ثم قال: كيف ترى

(١) تفسير الطبري (١/ ١٦٥).

يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أني أعلم أنك تكذب)[1].

(وكان جماعة من الملاحدة والزنادقة قد أزعجهم تأثير القرآن الكبير في عامة الناس، فقرروا مواجهة تحدي القرآن، واتصلوا ـ لإتمام خطتهم ـ بعبد الله ابن المقفع (ت٧٢٧)، وكان أديباً كبيراً وكاتباً ذكياً، يعتد بكفاءته، فقبل الدعوة للقيام بهذه المهمة، وأخبرهم أن هذا العمل سوف يستغرق سنة كاملة، واشترط عليهم أن يتكلفوا بكل ما يحتاج إليه خلال هذه المدة.

ولما مضى على الاتفاق نصف عام، عادوا إليه، وبهم تطلع إلى معرفة ما حققه أديبهم لمواجهة تحدِّي رسول الإسلام، وحين دخلوا غرفة الأديب ـ الفارسي الأصل ـ وجدوه جالساً والقلم في يده، وهو مستغرق في تفكير عميق، وأوراق الكتابة متناثرة أمامه على الأرض، بينما امتلأت غرفته بأوراق كثيرة، كتبها ثم مزقها.

لقد أصيب بإخفاق شديد، واعترف لهم على استحياء أنه ـ على الرغم من مضيِّ ستة أشهر ـ لم يفلح في أن يأتي بآية واحدة من طراز القرآن، وعندئذ تخلى ابن المقفع عن مهمته مغلوباً)[2].

وغير ذلك من المحاولات الكثيرة البائسة التي باءت كلها بالفشل[3].

فلما عجز الجميع عن معارضته مع توفر الدواعي لذلك، علمنا أنه

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٦٣).

(٢) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان (ص١٢٥)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية عشرة ١٩٩٧م.

(٣) وقد ورد في التاريخ محاولات كثيرة، ومن هؤلاء: طليحة الأسدي، والنضر بن الحارث وابن الراوندي، وانظر: إعجاز القرآن للرافعي، والإسلام يتحدى لوحيد الدين خان.

ليس بمقدور إنسان أن يأتي بمثله، فهو إذن من خالق البشر الذي هو على كل شيء قدير.

المطلب الثالث

شهادة المنصفين من أهل الكتاب والكفار وأعدائه له بالصحة والصدق

وهذا من باب أن أقوى الشهادات على صحة الشيء شهادة الخصوم؛ فأهل الكتاب والكفار مع شدة عدواتهم للقرآن، إلا أن منهم من اعترف به، وأقر بصدقه وصحته، وهذا الدليل مأخوذ من قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القصص: ٥٢، ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦ ـ ١٠٨].

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأحقاف: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ

قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة: ٨٢ ـ ٨٥].

أخرج مسلم عن أبي ذر قال: «قَدْ صَلَّيْتُ قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللهِ ﷺ بِثَلاثِ سِنِينَ. قُلْتُ: لِمَنْ؟ قَالَ: للهِ. قُلْتُ: فَأَيْنَ تَوَجَّهُ؟ قَالَ: أَتَوَجَّهُ حَيْثُ يُوَجِّهُنِي رَبِّي، أُصَلِّي عِشَاءً، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أُلْقِيتُ، كَأَنِّي خِفَاءٌ حَتَّى تَعْلُوَنِي الشَّمْسُ، فَقَالَ أُنَيْسٌ: إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ فَاكْفِنِي. فَانْطَلَقَ أُنَيْسٌ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ فَرَاثَ[1] عَلَيَّ ثُمَّ جَاءَ، فَقُلْتُ: مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: لَقِيتُ رَجُلاً بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ. قُلْتُ: فَمَا يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ شَاعِرٌ كَاهِنٌ سَاحِرٌ ـ وَكَانَ أُنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعَرَاءِ ـ قَالَ أُنَيْسٌ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشِّعْرِ فَمَا يَلْتَئِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. قَالَ: قُلْتُ: فَاكْفِنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَنْظُرَ. قَالَ: فَأَتَيْتُ مَكَّةَ فَتَضَعَّفْتُ رَجُلاً مِنْهُمْ، فَقُلْتُ: أَيْنَ هَذَا الَّذِي تَدْعُونَهُ الصَّابِئَ؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ، فَقَالَ: الصَّابِئَ. فَمَالَ عَلَيَّ أَهْلُ الْوَادِي بِكُلِّ مَدَرَةٍ[2] وَعَظْم حَتَّى خَرَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، قَالَ: فَارْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ كَأَنِّي نُصُبٌ أَحْمَرُ. قَالَ: فَأَتَيْتُ زَمْزَمَ فَغَسَلْتُ عَنِّي الدِّمَاءَ وَشَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا، وَلَقَدْ لَبِثْتُ يَا بْنَ أَخِي ثَلاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ مَا كَانَ

---

(١) راث: أبطأ. مختار الصحاح: (١/ ١١١).

(٢) مدرة: جمعه مدر وهو قطع الطين اليابس. لسان العرب (٥/ ١٦٢).

لِي طَعَامٌ إِلا مَاءُ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي، وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ...»[1].

(وأخرج ابن إسحاق والبيهقي[2] من طريق عكرمة، أو سعيد عن ابن عباس ﵄: أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قول بعضكم بعضاً، فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل، وأقم لنا رأياً نقوم به، فقال: بل أنتم فقولوا لأسمع. فقالوا: نقول كاهن! فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن وسحره. فقالوا: نقول: مجنون! فقال: وما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قال: فنقول: شاعر! قال: فما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر. قال: فنقول: ساحر! قال: فما هو ساحر، قد رأينا السُّحَّار وسحرهم، فما هو بنفثه ولا عقده. فقالوا: ما تقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لمغدق، وإن فرعه لجنى، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف أنه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا: ساحر. فقولوا: هذا ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وبين أخيه، وبين المرء وبين زوجته، وبين المرء وعشيرته.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر، رقم (٢٤٧٣).

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في مختصر السيرة لابن هشام (٢/ ١٠٥) تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٥٧)، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، والسند ضعيف فيه محمد بن أبي محمد وهو مجهول «التقريب» (ص٥٠٥).

فتفرقوا عند ذلك، فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره، فأنزل الله ﷻ في النفر الذين كانوا معه، ويصفون له القول في رسول الله فيما جاء به من عند الله: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر: ٩١] أي أصنافاً ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩١، ٩٢]، أولئك النفر الذين يقولون ذلك لرسول الله لمن لقوا من الناس، قال: وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله، وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها.

وأخرج أبو نعيم[1] من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: أقبل الوليد ابن المغيرة على أبي بكر يسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة، فوالله ما هو بشعر، ولا سحر، ولا بهُذاء مثل الجنون، وإن قوله لمن كلام الله.

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي وأبو نعيم[2]، عن ابن عباس قال: قام النضر بن الحارث ابن كلدة ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، فقال: يا معشر قريش، إنه والله لقد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله، لقد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم: قلتم ساحر! لا والله ما هو بساحر؛ قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم. وقلتم: كاهن! لا والله ما هو بكاهن؛ قد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم. وقلتم: شاعر! لا والله ما هو بشاعر؛ لقد روينا الشعر

---

(١) لم أجده في الحلية لأبي نعيم بعد البحث في مظانه، فلعله في الدلائل، ولكن أخرجه مسنداً ابن جرير الطبري في تفسير (٢٩/١٥٦)، وعطية العوفي ضعيف. انظر: التهذيب لابن حجر (٧/٢٠١)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في مختصر سيرته لابن هشام معلقاً (٢/١٣٧) عن ابن عباس من غير إسناد.



وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه. وقلتم: مجنون! لا والله ما هو بمجنون؛ لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه. يا معشر قريش انظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم.

وأخرج ابن إسحاق والبيهقي[1]، عن محمد بن كعب قال: حُدِّثْتُ أن عتبة ابن ربيعة قال ذات يوم ورسول الله ﷺ في المسجد: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه، فأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل منها بعضها ويكف عنا؟ قالوا: بلى يا أبا الوليد. فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ.

قال عتبة: يا محمد أنت خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ أنت خير أم عبد الله؟ فلم يجبه قال: فبم تشتم آلهتنا، وتضلل آباءنا؟! فإن كنت إنما بك الرئاسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأسنا ما بقيت، وإن كان بك الباءة زوَّجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش شئت، وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستعين بها أنت وعقبك من بعدك. ورسول الله ﷺ ساكت ولا يتكلم، حتى إذا فرغ عتبة، قال رسول الله ﷺ: يا أبا الوليد. قال: نعم. قال: فاسمع مني. قال: أفعل.

فقال رسول الله ﷺ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [فصلت: ١ ـ ٣]، فمضى رسول الله فقرأها عليه، فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلف ظهره معتمداً عليهما، يسمع منه حتى انتهى رسول الله إلى السجدة فسجد

---

(١) وأخرجه الأصبهاني في دلائل النبوة (ص٢٢١) تحقيق محمد محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ويحيى بن معين في تاريخه (٣/ ٥٤)، تحقيق د. أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٩٧٩م، وفي إسناده يحيى بن عبد الله الأجلح الكوفي لين الحديث (ص٥٩٢) والذيال بن حرملة لم يوثقه إلا ابن حبان. انظر: «الثقات» لابن حبان (٤/ ٢٢٢) تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأول ١٩٧٥م.

فيها، ثم قال: سمعتَ يا أبا الوليد؟ قال: سمعت. قال: فأنت وذاك.

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم، قالوا: وما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا السحر، ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ؛ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب، فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. فقال: هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم)[1].

وهذه بعض شهادات المنصفين من المعاصرين:

- يقول إبراهيم خليل[2]: (يرتبط هذا النبي ﷺ بإعجاز أبد الدهر بما يخبرنا به المسيح عليه السلام في قوله عنه: (ويخبركم بأمور آتية)؛، وهذا الإعجاز هو القرآن الكريم، معجزة الرسول الباقية ما بقي الزمان، فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث في كل مناحيه؛ من طب وفلك

---

(١) «الخصائص الكبرى» للسيوطي (١/ ١٨٩ - ١٩٣) باختصار.

(٢) هو قس مبشر من مواليد الإسكندرية عام ١٩١٩م، يحمل شهادات عالية في علم اللاهوت من كلية اللاهوت المصرية، ومن جامعة برنستون الأمريكية.
عمل أستاذاً بكلية اللاهوت في أسيوط، كما أرسل عام ١٩٥٤م إلى أسوان سكرتيراً عاماً للإرسالية الألمانية السويسرية، وكانت مهمته الحقيقية التنصير والعمل ضد الإسلام، لكن تعمقه في دراسة الإسلام قاده إلى الإيمان بهذا الدين وأشهر إسلامه عام ١٩٥٩م.
ومن مؤلفاته: «محمد في التوراة والإنجيل والقرآن»، «المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي»، «تاريخ بني إسرائيل».
انظر: «قالوا عن الإسلام» للدكتور عماد الدين خليل (ص٤٩)، وقد أجرت صحيفة القبس الكويتية معه لقاء مطولاً في العدد ١٥٤٠ في تاريخ ٣٠/ ٨/ ١٩٧٦م.

وجغرافيا وجيولوجيا وقانون واجتماع وتاريخ... ففي أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف...)[١].

وقال: (أعتقد يقيناً أني لو كنت إنساناً وجودياً، لا يؤمن برسالة من الرسالات السماوية، وجاءني نفر من الناس وحدثني بما سبق به القرآن العلم الحديث في كل مناحيه؛ لآمنت برب العزة والجبروت خالق السماوات والأرض، ولن أشرك به أحداً)[٢].

وقال بلاشير[٣]: (إن القرآن ليس معجزة بمحتواه وتعليمه فقط، إنه أيضاً ويمكنه أن يكون قبل أي شيء آخر تحفة أدبية رائعة، تسمو على جميع ما أقرته الإنسانية وبجلته من التحف، إن الخليفة المقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعارض الفظ في البداية للدين الجديد، قد غدا من أشد المتحمسين لنصرة الدين عقب سماعه لمقطع من القرآن، وسنورد الحديث فيما بعد عن مقدار الافتتان الشفهي بالنص القرآني بعد أن رتله المؤمنون)[٤].

وقالت بوتر[٥]: (عندما أكملت قراءة القرآن الكريم، غمرني شعور بأن هذا هو الحق الذي يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها، وإنه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية، نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدينية، أما القرآن فيتحدث عنها في نسق

---

(١) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن (ص٤٧ ـ ٤٨).
(٢) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن (ص٤٨).
(٣) تقدمت ترجمته (ص١٦).
(٤) قالوا عن الإسلام (ص٥٢).
(٥) ديبورا بوتر: ولدت عام ١٩٥٤م بمدينة ترافيرز في ولاية ميتشغان الأمريكية، وتخرجت من فرع الصحافة بجامعة ميتشغان، اعتنقت الإسلام عام ١٩٨٠م، بعد زواجها من أحد الدعاة الإسلاميين العاملين في أمريكا بعد اقتناع عميق بأنه ليس ثمة دين غير الإسلام يمكن أن يستجيب لمطالب الإنسان. قالوا عن الإسلام: (ص٥٥).

رائع وأسلوب قاطع لا يدع مجالاً للشك بأن هذه هي الحقيقة، وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة)[1].

وقالت بوتر أيضاً: (كيف استطاع محمد ﷺ الرجل الأمي، الذي نشأ في بيئة جاهلية أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم، والتي لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟ لا بد إذن أن يكون هذا الكلام هو كلام الله ﷻ)[2].

قال بوكاي[3]: (لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أي فكر مسبق، وبموضوعية تامة بحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث، وكنت أعرف قبل هذه الدراسة، وعن طريق الترجمات، أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية، لكن معرفتي كانت وجيزة، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي، استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها، أن القرآن لا يحتوي على أي مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث، وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل، أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أي سفر التكوين فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً في عصرنا، وأما بالنسبة للأناجيل، فإننا نجد نص إنجيل متى يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً

---

(١) المصدر السابق (ص٥٥).

(٢) المصدر السابق (ص٥٥).

(٣) د. موريس بوكاي: الطبيب والعالم الفرنسي، ألف كتابه المشهور: «القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم»، وهو من أكثر المؤلفات التي عالجت هذا الموضوع (تعارض الكتب المقدسة مع العلم الحديث) أصالة واستيعاباً وعمقاً، ويبدو أن هذا الكتاب القيم منحه قناعات مطلقة بصدق الكتاب، وبالتالي صدق الذي جاء به. انظر: «قالوا عن الإسلام» (ص٥).

لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض)[١].

وقال حتِّي[٢]: (إن أسلوب القرآن مختلف عن غيره، ثم إنه لا يقبل المقارنة بأسلوب آخر، ولا يمكن أن يقلد، وهذا في أساسه هو إعجاز القرآن... فمن جميع المعجزات كان القرآن المعجزة الكبرى)[٣].

وقال أرنولد[٤]: (... إننا نجد حتى من بين المسيحيين مثل الفار (الإسباني) الذي عرف بتعصبه على الإسلام، يقرر أن القرآن قد صيغ في مثل هذا الأسلوب البليغ الجميل، حتى إن المسيحيين لم يسعهم إلا قراءته والإعجاب به)[٥].

---

(١) «القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم»: (ص١٣)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.

(٢) حتي: د. فيليب حتي، ولد عام ١٨٨٦م، لبناني الأصل، أمريكي الجنسية، تخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت ونال الدكتوراه من جامعة كولومبيا (١٩١٥م) وتنقل في عدة مناصب كبيرة. من مؤلفاته: أصول الدولة الإسلامي، تاريخ العرب وغيرها. انظر: «قالوا عن الإسلام» (ص٥٨).

(٣) «قالوا عن الإسلام» (ص٥٨).

(٤) توماس آرنولد (١٨٦٤م - ١٩٣٠م): مستشرق إنجليزي التحق بكلية المجدلية في جامعة كمبردج عام ١٨٨٢م حيث اجتذبته الدراسات الشرقية، وبعد أن أنجز بنجاح دراسته أمضى السنة الرابعة عاكفاً على دراسة الإسلام، واختير لتدريس الفلسفة في كلية عليكرة الإسلامية في الهند، فقضى فيها عشر سنوات، كان لها تأثير بالغ في نظره تجاه الإسلام، وكان يدعو إلى التوفيق بين الثقافة الإسلامية والفكر الأوربي، وتولى عدة مناصب، وقبل وفاته بعام دعته الجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن) أستاذاً زائراً. وبعد أن أمضى النصف الثاني من العام الدراسي ١٩٢٩م - ١٩٣٠ في التدريس بقسم التاريخ عاد إلى لندن وتوفي فيها في ٣٠ يونيو/ حزيران ١٩٣٠م، من مؤلفاته «الدعوة الإسلامية» و«الخلافة» وغيرها. انظر: «موسوعة المستشرقين»، لبدوي (ص٩) باختصار، و«الأعلام» للزركلي (٢/ ٩٤).

(٥) «قالوا عن الإسلام» (ص٥٠).



ولقد ألف الدكتور مراد هوفمان ـ سفير ألمانيا السابق بالرباط ـ كتاب (الإسلام كبديل)[1]، وفيه شهادات كثيرة على إعجاز القرآن وصدقه، وصدق النبي ﷺ وكمال التشريع. إلى آخر تلك الشهادات الطويلة على صدق القرآن وإعجازه.

قارن بين هذا الكلام وكلام نصر أبو زيد عندما يقول: (إن إعجاز القرآن ليس إلا في تغلبه على الشعر وسجع الكهان، ولكنه ليس معجزاً في ذاته)[2].

المطلب الرابع

الوحدة الموضوعية لكل سورة

عقد الدكتور محمد عبد الله دراز فصلاً في كتابه «النبأ العظيم» عن هذا المطلب[3]، وبيَّن فيه أن من أدلة صدق القرآن، وأنه ليس من البشر: الوحدة الموضوعية لكل سورة، فكل سورة معقودة للتكلم عن موضوع معين، ومع كبر بعض السور وامتداد نزولها على عدة سنوات إلا أن هذه الوحدة لم تنخرم ولم تُنس ولم تتبدل.

ثم ضرب لهذا مثلاً: فقال: (مَثَلُ ذلك كقصر مبني في السماء، ثم يُنزل الله منه كل يوم قطعة، فمرة ينزل النافذة، ومرة ينزل السقف، ومرة ينزل الجدار، ويأمر الله نبيه بأن يضع الجزء كذا في مكان كذا، فيفعل وهو لا يدري لماذا، ولكنه هكذا أُمر، فلا ينتهي التنزيل إلا ويتضح

(١) من منشورات مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١.
(٢) انظر كتاب: قصة أبو زيد وانحسار العلمانية في جامعة القاهرة، د. عبد الصبور شاهين، (ص٢٩)، دار الاعتصام، القاهرة، وقد نقل كلامه هذا من مقال لـ (أبو زيد) في مجلة الهلال.
(٣) من (ص١٤٣ ـ ٢١١).

للجميع مدى توافق هذا البنيان وإحكامه ودقة تصميمه.

ولو أنك أخذت كلام أي إنسان لمدة سنة واحدة فقط، ثم أردت أن تجعل منه موضوعاً متناغماً، أو أفكاراً منسجمة مع بعض لما استطعت إلى ذلك سبيلاً).

ثم دلل على ذلك بأطول سورة في القرآن، وهي البقرة التي نزلت على مدار تسع سنوات، ونزل في أثنائها أغلب السور المدنية، ومع هذا كان بناء سورة البقرة في غاية الإحكام ولم تختلط به أي آية من غيره.

قال دراز رَحِمَهُ اللهُ في نظام عقد المعاني في سورة البقرة[١]: (اعلم أن هذه السورة على طولها تتألف وحدتها من: مقدمة، وأربعة مقاصد، وخاتمة، على هذا الترتيب:

المقدمة: في التعريف بشأن هذا القرآن وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حداً من الوضوح لا يتردد فيه ذو قلب سليم، وإنما يعرض عنه من لا قلب له أو من كان في قلبه مرض.

المقصد الأول: في دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام.

المقصد الثاني: في دعوة أهل الكتاب إلى اعتناق الإسلام.

المقصد الثالث: في عرض شرائع هذا الدين تفصيلاً.

المقصد الرابع: ذكر الوازع والنازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع ويعصم عن مخالفتها.

الخاتمة: في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد، وبيان ما رجى لهم في آجلهم وعاجلهم).

ثم دلل على كل ما سبق تدليلاً واضحاً للعيان مدى مطابقته

---

(١) «النبأ العظيم» (ص١٦٣).



لواقع. فإن تم هذا لسورة البقرة وهي أطول سورة في القرآن وأكثرها آيات، وقد امتد نزولها على تسع سنوات؛ فما بالك بغيرها من السورة؟! لا شك أنه أولى وأحرى.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن اجتماع هذه الأسباب في كل سورة متفرقة النجوم ـ دون أن تغض من إحكام وحدتها، ولا استقامة نظمها ـ هو بالتحقيق معجزة المعجزات)[1].

المطلب الخامس

عدم التناقض

وقد أشار الله تعالى إلى هذا الدليل في قوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾؛ يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ﴾ أفلا يتدبر المبيتون غير الذي تقول لهم يا محمد كتاب الله؛ فيعلموا حجة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك، وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم، لاتساق معانيه وائتلاف أحكامه وتأييد بعضه بعضاً بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق؛ فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه وتناقضت معانيه وأبان بعضه عن فساد بعض)[2].

---

(١) انظر: «النبأ العظيم» لدراز (ص١٥٠)، وانظر: من أساليب الغزو الفكري الطعن في القرآن، للدكتور: غنايم (ص٥٤٠).

(٢) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٨/ ٥٦٧)، تحقيق محمود وأحمد ابنا=

وفي طيات هذه الآية تحدٍّ، كأنه يقول: تدبر القرآن، وستجده خالياً من التناقضات، ولن تستطيع أن تجد تناقضاً واحداً، مما يدلك أنه من عند الله؛ إذ لو كان من البشر، لكان فيه اختلاف كثير، وتناقض واضح.

فكتاب ينزل على مدار ثلاث وعشرين سنة منجماً مفرقاً، على النبي ﷺ لا تجد فيه أي تناقض، إن هذا لشيء عجاب، قال ابن كثير رحمه الله: (يقول تعالى آمراً لهم بتدبر القرآن، وناهياً لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة، ومخبراً لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب؛ ولا تعارض لأنه تنزيل من حكيم حميد فهو حق من حق ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤] ثم قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أي لو كان مفتعلاً مختلفاً كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا﴾؛ أي اضطراباً وتضاداً ﴿كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، أي: وهذا سالم من الاختلاف فهو من عند الله)[١].

وقال القرطبي رحمه الله: (ليس من متكلم يتكلم كلاماً كثيراً إلا وجد في كلامه اختلاف كثير؛ إما في الوصف واللفظ؛ وإما في جودة المعنى، وإما في التناقض، وإما في الكذب، فأنزل الله عز وجل القرآن وأمرهم بتدبره؛ لأنهم لا يجدون فيه اختلافاً في وصف ولا ردًّا له في معنى ولا تناقضاً ولا كذباً فيما يُخْبَرون به من الغيوب وما يسرون)[٢].

وبهذا استدل جفري لانغ[٣] على صدق القرآن، وأدى إلى

= محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٥٢٩).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٥/ ١٨٧).

(٣) د. جفري لانغ، كاتب أمريكي اعتنق (الإيمان) الإسلام، ألَّف كتاباً في سبب=

إسلامه[1]؛ فالقرآن لا يتناقض مع نفسه، ولا يتناقض مع السنة، ولا يتناقض مع العلم الحديث، بل على العكس فدائماً يأتي العلم التجريبي الحديث بالتدليل على صدق القرآن وما فيه، ولا يخالف الوقائع التاريخية، بل هو منسجم تمام الإنسجام معها كلها، مما يدلك أنه ليس من بشر، بل هو من خالق البشر وخالق الكون ومدبر العالم[2].

إذن فالقرآن لا يتناقض مع نفسه في كل ما يقرره من عقائد وأحكام وأخلاق وتشريعات ـ مع كثرتها ـ، ولا يتناقض مع الحقائق الشرعية المقررة بالسنة النبوية؛ إذ كلاهما وحي، ولا يتعارض مع الحقائق التاريخية ولا الحقائق التجريبية[3].

وكتاب بهذا الإحكام لا يكون من البشر بل هو من لدن حكيم عليم سبحانه.



= إسلامه أسماه: «الصراع من أجل الإيمان»، وقد صدر عن دار الفكر، دمشق ط١، ١٩٩٨م، بترجمة د. منذر العبسي. وله أيضاً: «حتى الملائكة تسأل، رحلة إلى الإسلام في أمريكا».

(١) انظر: كتابه «الصراع من أجل الإيمان» (ص٦٦).

(٢) وسيأتي الرد على من ادعى تناقض القرآن في مبحث مستقل (ص٢٨٠).

(٣) وسيأتي تفصيل الرد على الطعون التي تشكك في هذه المسلمات (ص٣٣٢).



ردود القرآن على الطاعنين

تكلم القرآن عن كثير من الطاعنين، وذكر طعوناتهم، ثم رد عليها رداً واضحاً بيناً مفحماً:

١ ـ فقد طعن المشركون واليهود في صحة نسبة القرآن إلى الله؛ فقالوا للنبي ﷺ كما ذكر الله تعالى عنهم في قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل: ١٠١]؛ أي أنك متقول على الله تعالى تأمر بشيء ثم تخالفه(١).

﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ ...﴾ [الأنبياء: ٥].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ ...﴾ [الفرقان: ٤].

فرد الله تعالى عليهم من عدة وجوه(٢):

أ ـ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ [النحل: ١٠١] أي: والله أعلم بما ينزل من المصالح؛ فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده، فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذٍ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه.

---

(١) انظر: القرطبي (١٠/١٧٦).

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٤٢٠)، و«تفسير ابن كثير» (٢/١٥٦)، و«فتاوى ابن تيمية» (١٢/١١٨).



ب ـ ثم قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢].

(﴿نَزَّلَهُ﴾ تنبيه على أن إنزاله مدرجاً على حسب المصالح بما يقتضي التبديل ﴿مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ ملتبساً بالحكمة ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ليثبت الله الذين آمنوا على الإيمان بأنه كلامه، وأنهم إذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة، رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ المنقادين لحكمه).

ج ـ ثم قال تعالى بعدها بقليل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦]. والواقع أن النبي ﷺ أفلح في كل أعماله ودعوته وغزواته، ومكّنه الله من البلاد والعباد، ولم يمت حتى دانت له الجزيرة كلها بالإسلام لله والعبادة له وحده، ولو كان مفتريًا على الله لم يكن الله تعالى ليمكن له هذا التميكن.

د ـ ثم إنه ما كان لبشر أن يفتري كلاماً وينسبه إلى الله، ويضل به الملايين من الناس، ثم بعد ذلك لا يعاجله الله تعالى بالعقوبة: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٣ ـ ٤٧]. ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾ [الأحقاف: ٨]، إن كنت كاذباً فالله أعلم منكم بذلك، ولا يملك أحد لي أن يمنع عذاب الله بي الذي لا يتأخر عن الكاذب، فكون الله يعلم بي ولم يعذبني؛ هذه شهادة من الله على صدقي، ﴿كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾.

هـ ـ ورد على اليهود وغيرهم من الكفار الذين أنكروا إنزال



أي كتاب[1]، وذلك أن القول بأن الله تعالى لم ينزل شيئاً من الكتب، من أكبر السب لله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾، ثم قال: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

٢ ـ وبعضهم ادعى أنه يستطيع أن يأتي بمثل القرآن: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ...﴾ [الأنفال: ٣١]؛ فتحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثله فعجزوا، فتحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، كما تقدم ذكره[2].

٣ ـ وبعضهم زعم أن هذا القرآن إنما هو قصص الأولين وأساطير السابقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل: ٢٤]. ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: ٥].

فرد الله عليهم أنه لا يعرف أن يقرأ ولا يكتب، فكيف نقلها وكيف قرأها؟ قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨]. فما كان لرجل أمي لا يقرأ ولا يكتب أن يأتي بمثل هذا الكلام، ويتحدى به الثقلين، ولم يقدر أحد على معارضته وإجابة هذا التحدي.

٤ ـ وبعضهم قال: إنه تعلمه من غلام نصراني. فقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/١٥٦).

(٢) راجع: (ص١٤٦) السابقة.

أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣]. ﴿... وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤].

(يعنون جبراً الرومي غلام عامر بن الحضرمي، وقيل: جبراً ويساراً كانا يصنعان السيوف بمكة، ويقرآن التوراة والإنجيل، وكان الرسول ﷺ يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه. وقيل: عائشاً غلام حويطب بن عبد العزى قد أسلم، وكان صاحب كتب. وقيل: سلمان الفارسي. ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ لغة الرجل الذي يُميلون قولهم عن الاستقامة إليه ـ مأخوذ من لحد القبر ـ أعجمي غير بيِّن، وهذا القرآن لسان عربي مبين، ذو بيان وفصاحة.

والجملتان مستأنفتان لإبطال طعنهم، وتقريره يحتمل وجهين:

أحدهما: أن ما سمعه منه كلام أعجمي لا يفهم معناه هو ولا أنتم، والقرآن عربي تفهمونه بأدنى تأمل، فكيف يكون ما تلقفه منه؟!.

وثانيهما: هب أنه تعلم من المعنى باستماع كلامه، لكن لم يتلقف منه اللفظ؛ لأن ذلك أعجمي وهذا عربي، والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى، فهو معجز من حيث اللفظ، مع أن العلوم الكثيرة التي في القرآن، لا يمكن تعلمها إلا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة، فكيف تعلَّم جميع ذلك من غلام سوقي، سمع منه في بعض أوقات مروره عليه كلمات أعجمية لعله لم يعرف معناها؟! وطعنهم في القرآن بأمثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم)[١].

(قال القاضي ابن الطيب: نحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تَعَلُّم، وإذا كان معروفاً أنه لم يكن ملابساً لأهل الآثار وحملة الأخبار، ولا متردداً إلى المتعلم منهم، ولا كان ممن يقرأ فيجوز

---

(١) «تفسير البيضاوي» (٢/ ٤٢١).

أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه؛ عُلم أنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي)[1].

٥ ـ ادعاؤهم أنه من النبي ﷺ نفسه وليس من عند الله:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٦﴾ [يونس: ١٥، ١٦].

قال ابن كثير رحمه الله: (يخبر تعالى عن تعنت الكفار من مشركي قريش، الجاحدين المعرضين عنه أنهم إذا قرأ عليهم الرسول ﷺ كتاب الله، وحججه الواضحة، قالوا له: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾، أي: رد هذا وجئنا بغيره من نمط آخر أو ﴿بَدِّلْهُ﴾ إلى وضع آخر.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ﴾، أي: ليس هذا إليَّ إنما أنا عبد مأمور، ورسول مبلغ عن الله ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. ثم قال محتجاً عليهم في صحة ما جاءهم به: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾، أي: هذا إنما جئتكم به عن إذن الله في ذلك ومشيئته وإرادته، والدليل على إني لست أتقوله من عندي، ولا افتريته: أنكم عاجزون عن معارضته، وأنكم تعلمون صدقي وأمانتي منذ نشأت بينكم إلى حين بعثني الله ﷻ، لا تنتقدون عليَّ شيئاً تغمصونني[2] به. ولهذا قال: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، أي: أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل؟!.

---

(١) نقله عنه القرطبي في تفسيره (١/ ٥٤).

(٢) أي: تحتقرونني وتعيبون عليَّ. انظر: «لسان العرب» (٧/ ٦١).

ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان ومن معه ـ فيما سأله من صفة النبي ﷺ ـ، قال هرقل لأبي سفيان: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: فقلت: لا. ـ وكان أبو سفيان إذ ذاك رأس الكفرة وزعيم المشركين، ومع هذا اعترف بالحق، والفضل ما شهدت به الأعداء ـ، فقال له هرقل: لقد عرفت إنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب فيكذب على الله. وقال جعفر بن أبي طالب للنجاشي ملك الحبشة: بعث الله فينا رسولاً نعرف صدقه ونسبه وأمانته، وقد كانت مدة مقامه عليه السلام بين أظهرنا قبل النبوة أربعين سنة)[1].

٦ ـ اتهام النبي ﷺ بأنه شاعر، أو مسحور، أو ساحر، أو كاهن يتلقاه من الشياطين، أو مجنون، أو أن ما يتلقاه هو أضغاث أحلام: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنبياء: ٥].

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة: ٤٠ ـ ٤٣].

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [التكوير: ٢٥].

﴿... إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧].

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ [يونس: ٢].

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾ [الحجر: ٦].

ويلاحظ في هذه التهم التخبط العجيب والتناقض الغريب، فتارة

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٢/ ٤١١).

يتهمونه بأنه ساحر وتارة مسحور، ولما رأوا بلاغة القرآن قالوا: هذا شعر. فلما اعترض عليهم أن أوزان الشعر معروفة، وهذا ليس على وزن شيء منها، قالوا: كاهن. يعني يسجع كسجعهم، فلما اعترض عليهم بأنه لو كان شعراً أو سجعاً لكان الناس يستطيعون تقليده.

ولكن الواقع أنه لم يستطع أحد فعل ذلك، لا سيما مع استمرار تحديه لهم في كل مناسبة، فقالوا: إنه أضغاث أحلام. ولكن أضغاث الأحلام لا تأتي بهذا الإحكام والتنظيم والإعجاز والبلاغة، فقالوا: إذن يتلقاه من الشياطين. ولكن كيف يتلقاه من الشياطين وهو يلعن الشياطين صباحاً ومساءً، ولا يستفتح كتابه إلا بالاستعاذة منهم؟! والشياطين من صفاتها إضلال الناس، وهذا الكتاب يهدي لأقوم سبيل وأفضل طريق، وهناك الكثير من السحرة والكهنة لديهم شياطين ومردة، فلماذا لا يأتون بمثل ما أتى؟! فقالوا: إذن هي أساطير الأولين وقصص السابقين، اكتتبها فهي تملى عليه.

ولكن كيف يقال هذا ومحمد لا يقرأ ولا يكتب، بل هو رجل أمي؟! قالوا: إذن تعلمه من اليهود والنصارى. فقيل لهم: كيف ذلك وهم أعاجم، وهذا لسان عربي مبين، وكلام فصيح بليغ لم يستطع فحول الفصحاء أن يبلغوا منزلته في البلاغة، فكيف لأعجمي أن يأتي به؟! ثم هل اليهود والنصارى تكفِّر نفسها؟! فعند ذلك حاروا وبهتوا وألجموا ولم يردوا جواباً.

وقد شهد على صحة هذا القرآن أهل الكتاب أنفسهم، كما أشرنا من قبل في مثل قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾

عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٧].

﴿... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٢، ٨٣].

ونقول ـ على سبيل التنزل ـ لمن أنكر أن القرآن كلام الله: افرض أن هذا الكتاب من عند الله حقاً وأنك مخطئ فما أنت صانع؟ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ [فصلت: ٥٢].





ردود إجمالية أخرى

وهذا المبحث أذكر فيه الردود الإجمالية التي تصلح للرد على كل طعن في القرآن مما لم يذكر سابقاً، وهذا المبحث يتكون من أربعة مطالب:

المطلب الأول

إخفاق كفار مكة في معارضته

لقد كان كفار مكة أحرص الناس على الطعن في كتاب الله ومعارضته مع أنهم أهل الفصاحة والبيان، فأخفقوا في ذلك أيما إخفاق؛ فإذا كان أهل مكة عجزوا عن ذلك - مع شدة حرصهم وضراوة عداوتهم وفصاحة ألسنتهم - فغيرهم أعجز بطريق الأولى.

قال الخطابي رحمه الله: (إن النبي ﷺ قد تحدى العرب قاطبة بأن يأتوا بسورة من مثله، فعجزوا عنه وانقطعوا دونه، وقد بقي ﷺ يطالبهم به مدة عشرين سنة، مظهراً لهم النكير، زارياً على أديانهم، مسفِّهاً آراءهم وأحلامهم، حتى نابذوه وناصبوه الحرب، فهلكت فيه النفوس، وأُريقت المهج، وقُطعت الأرحام، وذهبت الأموال، ولو كان ذلك[1]

(١) أي: معارضة القرآن والإتيان بمثله.

في وسعهم وتحت أقدارهم، لم يتكلفوا هذه الأمور الخطيرة، ولم يركبوا تلك الفواقر المبيرة، ولم يكونوا تركوا السهل الدمث من القول إلى الحَزْنِ[1] الوعر من الفعلِ، وهذا ما لا يفعله عاقل، ولا يختاره ذو لب. وقد كان قومه قريش خاصة موصوفين برزانة الأحلام، ووفارة العقول والألباب، وقد كان فيهم الخطباء المصاقع[2] والشعراء المفلقون[3]، وقد وصفهم الله تعالى في كتابه بالجدل والخصومة واللدد، فقال سبحانه: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]، وقال سبحانه: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، فكيف كان يجوز ـ على قول العرب ومجرى العادة مع وقوع الحاجة ولزوم الضرورة ـ أن يغفلوه ولا يهتبلوا الفرصة فيه، وأن يضربوا عنه صفحاً، ولا يحوزوا الفلاح والظفر فيه لولا عدم القدرة عليه والعجز المانع منه؟!.

ومعلوم أن رجلاً عاقلاً لو عطش عطشاً شديداً، خاف منه الهلاك على نفسه، وبحضرته ماء معرض للشرب فلم يشربه حتى هلك عطشاً، لحكمنا أنه عاجز عن شربه غير قادر عليه.

وهذا بيِّن واضح لا يُشكل على عاقل.

قلت: وهذا ـ من وجوه ما قيل فيه ـ أبينها دلالة وأيسرها مؤونة، وهو مقنع لمن تنازعه نفسه مطالعة كيفية وجه الإعجاز فيه)[4].

---

(١) وهو ما غلظ من الأرض. «القاموس المحيط» (١/ ٥٧) (ح ز ن).

(٢) المَصْقَعُ: البليغُ يتفنن في مذاهب القول. انظر: «لسان العرب» (٨/ ٢٠٣).

(٣) المُفْلِق: المبدع، لأن من معنى الفالق أي الخالق والمبدع كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]، انظر: «لسان العرب» (٣/ ٤٨٩).

(٤) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني (ص٢١)، وهي من رسالة الخطابي.

و(قال الخطابي: سمعت ابن أبي هريرة يحكي عن أبي العباس بن سريج قال: سأل رجل بعض العلماء عن قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾ [البلد: ١]؛ فأخبر أنه لا يقسم بهذا، ثم أقسم به في قوله: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين: ٣]؟!

فقال ابن سريج: أي الأمرين أحب إليك أجيبك ثم أقطعك، أو أقطعك ثم أجيبك؟ فقال: بل اقطعني ثم أجبني.

فقال: اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال، وبين ظهراني قوم كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزاً وعليه مطعناً، فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به، وأسرعوا بالرد عليه، ولكن القوم علموا وجَهِلْتَ فلم ينكروا منه ما أنكرت.

ثم قال له: إن العرب قد تدخل (لا) في أثناء كلامها وتلغي معناها، وأنشد فيه أبياتاً)[(١)].

المطلب الثاني

إثبات الدليل (من أين لك هذا؟)

وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]؛ وهذا أسهل الأدلة وأسرعها وأقواها في نفس الوقت؛ لأن أكثر الطعون عبارة عن دعاوى لا حقيقة لها ولا قيمة علمية، فبمجرد مطالبته بالدليل عليها تتهاوى وتسقط.

والدعاوى إن لم تقم عليها بينـاتٌ أصحابُها أدعياء

(١) «البرهان في علوم القرآن» للزركشي (٢/ ٥٤). وسيأتي ذكر بعض هذه الأبيات في مبحث دعوى تناقض بعض الآيات مع بعض.

كدعوى أن النبي ﷺ كان يكتب أو يقرأ، أو أنهم وجدوا مخطوطاً بخطه وغير ذلك[1].

المطلب الثالث

مخالفة الواقع[2]

الكثير من الطعون طعون كاذبة تخالف الواقع، فبنظرة سريعة للواقع يتضح بطلانها، كدعواهم أن النبي ﷺ كاهن، أو ساحر، أو شاعر، أو مجنون، أو كاذب، أو يصرع، أو غير ذلك، فشهادة الواقع والحال بخلاف الدعوى من أقوى الأدلة على بطلان الدعوى.

فَهَبنِي قُلْتُ هذا الصبحُ ليلٌ   أَيَعْمَى العَالَمُون عَنِ الضِّياءِ

المطلب الرابع

إجماع الأمة على ذلك (من سبقك إلى هذا)

قال القرطبي: (باب ما جاء من الحجة في الرد على من طعن في القرآن، وخالف مصحف عثمان بالزيادة والنقصان.

لا خلاف بين الأمة ولا بين أئمة أهل السنة أن القرآن اسم لكلام الله تعالى الذي جاء به محمد ﷺ، معجزة له على نحو ما تقدم، وأنه محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف، معلومة على الاضطرار سوره وآياته، مبرّأة من الزيادة والنقصان حروفه

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ٨٩)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٧٣).
(٢) انظر: «روح المعاني» للآلوسي (١٤/ ١٤٢).



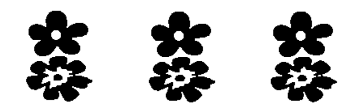
وكلماته، فلا يحتاج في تعريفه بِحَدٍّ ولا في حصره بِعَدٍّ.

فمن ادعى زيادة عليه أو نقصاناً منه، فقد أبطل الإجماع، وبهت الناس، ورد ما جاء به الرسول ﷺ من القرآن المنزل عليه، ورد قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨]، وأبطل آية رسوله عليه السلام؛ لأنه إذ ذاك يصير القرآن مقدوراً عليه حين شيب بالباطل، ولما قدر عليه لم يكن حجة ولا آية، وخَرَجَ عن أن يكون معجزاً!!

فالقائل إن القرآن فيه زيادة ونقصان راد لكتاب الله ولما جاء به الرسول، وكان كمن قال: الصلوات المفروضات خمسون صلاة، وتزوجُ تسعٍ من النساء حلال، وفرض الله أياماً مع شهر رمضان، إلى غير ذلك مما لم يثبت في الدين، فإذا رد هذا الإجماع كان الإجماع على القرآن أثبت وآكد وألزم وأوجب)[1].

وإجماع الأمة المحمدية حجة، وهي لا تجتمع على خطأ.

وتقدم معنا أيضاً الرد الإجمالي على الطعونات الأربعة العامة في مبحث مستقل.



(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١/ ٥٨).



الفصل الثاني

الردود التفصيلية على من طعن في القرآن

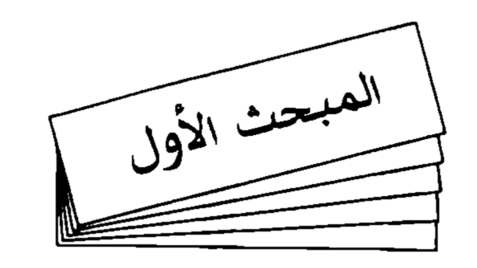
وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التشكيك في نسبة القرآن إلى الله تعالى.

المبحث الثاني: زعم عدم حفظه.

المبحث الثالث: اتهام القرآن بالتناقض.

المبحث الرابع: اتهام القرآن بمعارضة الحقائق.



التشكيك في نسبة القرآن إلى الله تعالى (مصدر القرآن)

وهذا المبحث فيه ثلاثة مطالب حاصرة ـ إن شاء الله ـ لطعونهم، أو على أقل تقدير تضمنت هذه المطالب أبرز الطعون التي وجهت إلى مصدر القرآن، بهدف التشكيك في نسبته إلى الحق ﷻ، **وتفصيل ذلك فيما يلي:**

المطلب الأول

دعواهم أن القرآن من عند النبي محمد ﷺ

هذا الطعن من أقدم الطعون وقد ذكر في القرآن كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل: ١٠١]؛ أي أنك متقول على الله تعالى[(١)].

وكما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾﴾ [الفرقان: ٤].

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ [السجدة: ٣].

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٤٢٠).

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨﴾ [سبأ: ٨].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٤٣﴾ [سبأ: ٤٣].

وتقدم في مبحث ردود القرآن على الطاعنين تفصيل هذا الطعن ورد القرآن عليه، ولا زال الطاعنون يرددون هذه الشبهة إلى اليوم:

ففي دائرة المعارف الإسلامية: (القرآن ليس من عند الله)(١).

ويقول المستشرق ويلز(٢): (محمد هو الذي صنع القرآن)(٣).

ويقول يوليوس فلهاوزن(٤): (القرآن من عند محمد)(٥).

---

(١) انظر: الإسقاط في مناهج المستشرقين للدكتور شوقي أبو خليل، (ص٤٧)، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

(٢) هربرت جورج ويلز (١٨٦٦م - ١٩٤٦م): الكاتب والأديب البريطاني المعروف، حصل على بكالوريوس العلوم عام ١٨٨٨م، وتولى التدريس بضع سنين ثم انصرف للتأليف، اشتهر بقصصه التي تعتمد الخيال العلمي، من مؤلفاته «معالم تاريخ الإنسانية» وغيرها من الكتب: انظر: «قالوا عن الإسلام»: (ص١٤٤).

(٣) «معالم تاريخ الإنسانية» لويلز (٣/٦٢٦)، انظر: الإسقاط في مناهج المستشرقين (ص٤٧).

(٤) يوليوس فلهاوزن (١٨٤٤م - ١٩١٨م): مؤرخ لليهودية ولصدر الإسلام، وناقد للكتاب المقدس العهد القديم، ألماني نصراني، وفي سنة ١٨٧٢م صار أستاذاً ذا كرسي في جامعة جريفسلد، ثم انتقل إلى جامعة هله في سنة ١٨٨٢م حيث قام بتدريس اللغات الشرقية وتنقل بين عدة مناصب في العديد من الجامعات حتى تقاعد عام ١٩١٣م، ومن مؤلفاته: «تاريخ إسرائيل»، «المدينة قبل الإسلام»، و«تنظيم محمد للجماعة الإسلامية»، و«تاريخ الدولة العربية»، وغيرها من المؤلفات. انظر: «موسوعة المستشرقين» لبدوي (ص٤٠٨) بتصرف.

(٥) «تاريخ الدولة العربية» ليوليوس فلهاوزن (ص٨)، ترجمه عن الألمانية، =

ويقول غوستاف لوبون[١]: (القرآن من تأليف محمد)[٢].

ويقول درمنجهام[٣] ـ وهو يصور النبي ﷺ بالفنان أو الشاعر الذي يتأمل الطبيعة، ثم يبدع في التأليف ـ: (وهذه النجوم في ليالي صيف الصحراء كثيرة شديدة البريق، حتى ليحسب المرء أنه يسمع بصيص ضوئها، وكأنه نغم نار موقدة. حقاً إن في السماء لشارات للمدركين، وفي العالم غيب بل العالم غيب كله؛ لكن ألا يكفي أن يفتح الإنسان عينيه ليرى، وأن يرهف أذنه ليسمع، ويرى الحق ويسمع الكلام الخالد، لكن للناس عيوناً لا ترى وآذاناً لا تسمع، أما هو فيحسب أنه يسمع ويرى، وهل تحتاج لكي تسمع ما وراء السماء من أصوات إلا إلى قلب مخلص مُلِئَ إيماناً...)[٤].

ويقول نولدكه[٥]: (كانت نبوة محمد نابعة من الخيالات المتهيجة، والإلهامات المباشرة للحس أكثر من أن تأتي من التفكير النابع من العقل

---

(١) غوستاف لوبون: طبيب ومؤرخ فرنسي، ولد عام ١٨٤١م عني بالحضارات الشرقية، من آثاره: حضارة العرب، الحضارة. انظر: «قالوا عن الإسلام» (ص٨٦).

(٢) «حضارة العرب»، لغوستاف لوبون (ص١١١)، في فصل: تأليف القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.

(٣) مستشرق فرنسي عمل مديراً لمكتبة الجزائر، من آثاره: «حياة محمد» في باريس عام ١٩٢٩م، و«محمد والسنة الإسلامية» ألفه في باريس ١٩٥٥م. انظر: «قالوا عن الإسلام» (ص٦٠).

(٤) «القرآن والمستشرقون»، د. التهامي نقرة، (ص٢٨).

(٥) تيودور نولدكه (١٨٣٦م ـ ١٩٣١): شيخ المستشرقين الألمان غير مدافع، متقن للغات السامية الثلاث العربية، السريانية، العبرية، وعنده لغات أخرى كثيرة، حصل على الدكتوراه الأولى عام ١٨٥٦م برسالة عن تاريخ القرآن، وكان يبحث عن المخطوطات الشرقية ويعكف عليها لدراستها، فسافر إلى فينا ثم ليدن ثم جوتا في ألمانيا ثم برلين ثم روما، لكنه لم يرحل إلى البلاد العربية أو الإسلامية مع أن تخصصه فيها، عين في جامعة كيل أستاذاً للغات السامية، ثم تنقل بين مناصب عدة. انظر: «موسوعة المستشرقين» لبدوي (ص٥٩٥).

الناضج، فلولا ذكاؤه الكبير لما استطاع الارتقاء على خصومه، مع هذا كان يعتقد أن مشاعره الداخلية قادمة من الله بدون مناقشة)[1].

ومجمل أقوال المستشرقين وغيرهم من الطاعنين في الوحي الذي يوحى إليه ﷺ: أن هذا القرآن إنما هو:

١ ـ إلهام سمعي.

٢ ـ تأثير انفعالات عاطفية.

٣ ـ لأسباب طبيعية عادية كباعثة النوم (التنويم الذاتي).

٤ ـ تجربة ذهنية فكرية.

٥ ـ حالة كحالة الكهنة والمنجمين.

٦ ـ حالة صرع وهستيريا[2].

٧ ـ ويقول نصر أبو زيد ـ مُلَمِّحاً إلى هذا الطعن ـ: (القرآن ينتمي إلى ثقافة البشر)[3].

ـ الرد على هذه الدعوى:

١ ـ بداية؛ فقد فَصَل الله تعالى هذه القضية بقوله: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس: ٣٧].

---

(١) «آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره»، د. عمر بن إبراهيم رضوان، (١/ ٣٨٧)، عن كتاب «تاريخ القرآن» لنولدكه (١/ ٥).

(٢) انظر: تفصيل هذه الأقوال في كتاب «آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره»، د. عمر بن إبراهيم رضوان (١/ ٣٨١)، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

(٣) مفهوم النص ـ دراسة في علوم القرآن، لنصر حامد أبو زيد (ص٢٧)، من إصدارات الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠م، ضمن إصدارات ما تسميه الهيئة (دراسات أدبية).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: (هذا بيان لإعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، ولا بعشر سور ولا بسورة من مثله؛ لأنه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته واشتماله على المعاني الغزيرة النافعة في الدنيا والآخرة، لا يكون إلا من عند الله، الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأقواله، فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي مثل هذا القرآن لا يكون إلا من عند الله، ولا يشبه هذا كلام البشر ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي من الكتب المتقدمة، ومهيمناً عليه ومبينا لما وقع فيها من التحريف والتأويل والتبديل، وقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي وبيان الأحكام والحلال والحرام بياناً شافياً كافياً، حقاً لا مرية فيه من الله رب العالمين، كما في حديث الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب: (فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وفصل ما بينكم) أي خبر عما سلف وعما سيأتي وحكم فيما بين الناس بالشرع الذي يحبه الله ويرضاه)(١).

(لقد علم الناس أجمعون ـ علماً لا يخالطه شك ـ أن هذا الكتاب العزيز جاء على لسان رجل عربي أمي، ولد بمكة في القرن السادس الميلادي، اسمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله... هذا القدر لا خلاف فيه بين مؤمن وملحد؛ لأن شهادة التاريخ المتواتر به لا يماثلها ولا يدانيها شهادته لكتاب غيره ولا لحادث غيره ظهر على وجه الأرض.

أما بعد؛ فمن أين جاء به محمد بن عبد الله ﷺ؟.

أَمِنْ عند نفسه ومن وحي ضميره؟ أم من معلم؟ ومَن هو ذلك المعلم؟.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٢/ ٤١٧).

نقرأ في هذا الكتاب أنه ليس من عمل صاحبه، وإنما هو قول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين: ذلكم هو جبريل عليه السلام، تلقاه من لدن حكيم عليم، ثم نزَّله بلسان عربي مبين على قلب محمد ﷺ، فتلقنه محمد منه كما يتلقن التلميذ عن أستاذه نصًا من النصوص.

ولم يكن له فيه من عمل بعد ذلك إلا:

١ ـ الوعي والحفظ، ثم

٢ ـ الحكاية والتبليغ، ثم

٣ ـ البيان والتفسير، ثم

٤ ـ التطبيق والتنفيذ.

أما ابتكار معانيه وصياغة مبانيه فما هو منها بسبيل، وليس له من أمرهما شيء، إن هو إلا وحيٌ يوحى.

هكذا سماه القرآن حيث يقول: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، ويقول: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥]. وأمثال هذه النصوص كثيرة في شأن إيحاء المعاني.

ثم يقول في شأن الإيحاء اللفظي: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ٢]، ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾﴾ [الأعلى: ٦]، ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٩]، ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: ١]، ﴿وَاتْلُ﴾ [الكهف: ٢٧]، ﴿وَرَتِّلِ﴾ [المزمل: ٤] فانظر كيف عبر بالقرآن بالقراءة والإقراء، والتلاوة والترتيل، وتحريك اللسان، وكون الكلام عربياً، وكل أولئك من عوارض الألفاظ لا المعاني البحتة.

القرآن إذاً صريح في أنه «لا صنعة فيه لمحمد ﷺ، ولا لأحد من الخلق، وإنما هو منزل من عند الله بلفظه ومعناه».

والعجب أن يبقى بعض الناس في حاجة إلى الاستدلال على الشطر الأول من هذه المسألة، وهو أنه ليس من عند محمد ﷺ)[1].

٢ ـ لو كان القرآن من تأليف النبي ﷺ، لاستطاع العرب أن يأتوا بمثله، مع حرصهم الشديد على معارضته، لكن النبي ﷺ كان يتحداهم دائماً ويكرره عليهم كثيراً، ومع هذا لم يطق أحد منهم معارضته، ولا يقال: إن النبي ﷺ بلغ من العبقرية مبلغاً، بحيث لم يستطع أحد أن يأتي بمثل ما قال. لأنه يمكن للمخالفين أن يجتمعوا فيألفوا قرآناً.

ومن المعلوم أن الجماعة تبدع وتبتكر أكثر من الإنسان الواحد، فلو اجتمع مائة شاعر مثلاً لتأليف قصيدة؛ لكانت في جمالها وقوتها وسبكها أفضل بمراحل من شاعر واحد ألف قصيدة، مهما بلغ هذا الشاعر من البلاغة والبيان[2].

فإذا كان آحاد المشركين لم يستطيعوا معارضة القرآن؛ فلماذا لم يجتمعوا لمعارضته؟ ولكن هيهات؛ فإنه لو اجتمعت قريش والعرب وأهل الأرض قاطبة، بل والجن ما كانوا لهم أن يأتوا بمثل آية منه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

---

(١) «النبأ العظيم»، لعبد الله دراز، (ص١٤، ١٥).

(٢) ومن هذا الباب المجامع الفقهية وما فيها من اجتهاد جماعي، ومنه ما في دول الغرب من عمل لجان متخصصة في الطب والفلك والأحياء والكيمياء والكهرباء والحاسوب وغيرها من العلوم، فأثمرت هذه اللجان المتخصصة علوماً وإبداعاً، واكتشافاً لا يستطيعه الفرد الواحد مهما بلغ من فرط الذكاء وسيلان الذهن وعبقرية العقل أن يبدعه.

٣ ـ (تبرُّؤ محمد ﷺ من نسبة القرآن إليه ليس ادعاء يحتاج بينة، بل هو إقرار يؤخذ به صاحبه.

وفي الحقيقة أن هذه القضية لو وجدت قاضياً يقضي بالعدل، لاكتفى بسماع هذه الشهادة التي جاءت بلسان صاحبها على نفسه، ولم يطلب وراءها شهادة شاهد آخر من العقل أو النقل، ذلك أنها ليست من جنس (الدعاوى) فتحتاج إلى بينة، وإنما هي من نوع (الإقرار) الذي يؤخذ به صاحبه، ولا يتوقف صديق ولا عدو في قبوله منه.

أيَّ مصلحة للعاقل الذي يدعي لنفسه حق الزعامة، ويتحدى الناس بالأعاجيب والمعجزات لتأييد تلك الزعامة، نقول: أي مصلحة له في أن ينسب بضاعته لغيره، وينسلخ منها انسلاخاً؟! على حين أنه كان يستطيع أن ينتحلها فيزداد بها رفعة وفخامة شأن، ولو انتحلها لما وجد من البشر أحداً يعارضه ويزعمها لنفسه.

الذي نعرفه أن كثيراً من الأدباء يسطون على آثار غيرهم، فيسرقونها أو يسرقون منها ما خف حمله وغلت قيمته وأُمنت تهمته، حتى إن منهم من ينبش قبور الموتى، ويلبس من أكفانهم ويخرج على قومه في زينة من تلك الأبواب المستعارة؛ أمَّا أن أحداً ينسب لغيره أنفس آثار عقله، وأغلى ما تجود به قريحته فهذا ما لم يلده الدهر بعد)[1].

٤ ـ (لا أدل على أن الوحي القرآني خارج عن الذات المحمدية من مخالفة القرآن في عدة مواطن لرأيه الشخصي ولطبعه الخاص)[2] ومعاتبته على أخطائه:

---

(١) «النبأ العظيم» (ص١٦).

(٢) «القرآن والمستشرقون»، لنقرة (ص٣٥)، و«المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن»، محمد باقر الحكيم (ص٥٠)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.



مثل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال: ٦٧].

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قال: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي...» ـ الحديث وفيه ـ: فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاءِ الأُسَارَى؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً؛ فَتَكُون لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلامِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟». قُلْتُ: لا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عُقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ ـ نَسِيباً لِعُمَرَ ـ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؛ فَإِنَّ هَؤُلاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا. فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُم أَدْنَى مِنْ هَذِه الشَّجَرَةِ» شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، وَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٦٩﴾ [الأنفال: ٦٩]. فأحلّ الله الغنيمة لهم[(١)].

(وتأمل آية الأنفال المذكورة، تجد فيها ظاهرة عجيبة؛ فإنها لم تنزل إلا بعد إطلاق أسارى بدر وقبول الفداء منهم، وقد بُدئت بالتخطئة والاستنكار لهذه الفعلة، ثم لم تلبث أن ختمت بإقرارها وتطييب النفوس بها. بل صارت هذه السابقة التي وقع التأنيب عليها هي القاعدة لما جاء بعدها[(٢)]. فهل الحال النفسية التي يصدر عنها أول الكلام ـ لو كان عن النفس مصدره ـ يمكن أن يصدر عنها آخره، ولما تمض بينهما فترة تفصل بين زمجرة الغضب والندم وبين ابتسامة الرضا والاستحسان؟! كلا، وإن هذين الخاطرين لو فرض صدورهما عن النفس متعاقبين، لكان الثاني منهما إضراباً عن الأول ماحياً له، ولرجع آخر الفكر وفقاً لما جرى به العمل.

فأي داعٍ دعا إلى تصوير ذلك الخاطر الممحو وتسجيله، على ما فيه من تقريع علني بغير حق، وتنغيص لهذه الطُعمة[(٣)] التي يراد جعلها حلالاً طيباً؟

إن الذي يفهمه علماء النفس من قراءة هذا النص أن ها هنا البتة شخصيتين منفصلتين، وأن هذا صوت سيد يقول لعبده: لقد أسأتَ ولكني عفوت عنك وأذنت لك)[(٤)].

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة فداء الأسرى، رقم (١٧٦٣).

(٢) يعني أنه يجوز لولي الأمر بعد هذه الحادثة في الأسرى أن يفدي بهم أو يمن بالمجان أو يقتلهم.

(٣) الطعمة: المكسب. «مختار الصحاح» (١/ ١٦٥)، (ط ع م).

(٤) «النبأ العظيم» (ص٢٧).

لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة: ٤٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

فعَنْ مَسْرُوقٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: «كُنتُ مُتَّكِئاً عِندَ عَائِشَةَ فَسَأَلْتُ عَائِشَةَ: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللهِ لَقَدْ قَفَّ[1] شَعَرِي لِمَا قُلْت يَا أَبَا عَائِشَةَ؟ ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ. قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ.

قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئاً فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي وَلَا تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلْ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: ٢٣]، و﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣].

فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذه الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطاً مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ». فَقَالَتْ: أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١].

قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئاً مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ

---

(١) قف، أي: قام من الفزع. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤/ ٩١)، و«المعجم الوسيط» (٢/ ٧٨١) (ق ف ف).



أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]، وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِماً شَيْئاً مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لَكَتَمَ هَذه الآيَةَ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥][١].

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو فَجَعَل النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: اتَّقِ اللهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ، قَالَ أَنَسٌ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَاتِماً شَيْئاً لَكَتَمَ هَذِهِ. قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ[٢].

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله وهو يتكلم عن أدلة صدق النبي ﷺ، فذكر أن من الأدلة على ذلك:

(مخالفة القرآن لطبع الرسول، وعتابه الشديد له في المسائل المباحة، وأخرى كان يجيئه القول فيها على غير ما يحبه ويهواه؛ فيخطئه في الرأي يراه، ويأذن له في الشيء لا يميل إليه، فإذا تلبث فيه يسيراً تلقاه القرآن بالتعنيف الشديد، والعتاب القاسي، والنقد المر، حتى

---

(١) متفق عليه. البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب: تفسير سورة النجم، رقم (٤٥٧٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، رقم (١٧٧) واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم، رقم (٦٩٨٤).



في أقل الأشياء خطراً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ [التحريم: ١]، ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة: ٤٣]، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]، ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال: ٦٧، ٦٨]، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ [عبس: ١ ـ ١٠].

أرأيت لو كانت هذه التقريعات المؤلمة[1] صادرة عن وجدانه، معبرة عن ندمه ووخز ضميره حين بدا له خلاف ما فرط من رأيه؛ أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل والتشنيع؟! ألم يكن له في السكوت عنها ستر على نفسه، واستبقاء لحرمة آرائه؟

---

(١) الدكتور دراز لم يذكر فيما ذكر تقريعات مؤلمة بل إنما هي عتاب، ولكن هناك آيات أخرى تدل على ما قال منها قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء: ٧٤، ٧٥].

وقوله: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧]، وقوله: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧].

بل إن هذا القرآن لو كان يفيض عن وجدانه، لكان يستطيع عند الحاجة أن يكتم شيئاً من ذلك الوجدان، ولو كان كاتماً شيئاً لكتم أمثال هذه الآيات. ولكنه الوحي لا يستطيع كتمانه ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [التكوير: ٢٤])[1].

وقد أقر بهذا الدليل بعض المستشرقين، مثل المستشرق (ليتنر) حيث قال: (مرة أوحى الله إلى النبي ﷺ وحياً شديد المؤاخذة؛ لأنه أدار وجهه عن رجل فقير أعمى، ليخاطب رجلاً غنياً من ذوي النفوذ، وقد نشر ذاك الوحي، فلو كان محمد كاذباً ـ كما يقول أغبياء النصارى بحقه ـ لما كان لذلك الوحي من وجود)[2].

٥ ـ موقف الرسول ﷺ من النص القرآني موقف المفسر الذي يتلمس الدلالات، ويأخذ بأرفق احتمالاتها:

(وأنت لو نظرت في هذه الذنوب التي وقع العتاب عليها، لوجدتها تنحصر في شيء واحد، وهو أنه ﷺ كان إذا ترجح بين أمرين ولم يجد فيهما إثماً، اختار أقربهما إلى رحمة أهله وهداية قومه وتأليف خصمه، وأبعدهما عن الغلظة والجفاء، وعن إثارة الشبه في دين الله. لم يكن بين يديه نص فخالفه كفاحاً، أو جاوزه خطأً ونسياناً، بل كل ذنبه أنه مجتهد بذل وسعه في النظر، ورأى نفسه مخيراً فتخير. هَبْهُ مجتهداً أخطأ باختيار خلاف الأفضل، أليس معذوراً ومأجوراً؟ على أن الذي اختاره كان هو خير ما يختاره ذو حكمه بشرية وإنما نبهه القرآن إلى ما هو أرجح في ميزان الحكمة الإلهية، هل ترى في ذلك ذنباً

---

(١) النبأ العظيم، (ص٢٤).

(٢) «دين الإسلام»، للايتنر، ترجمة عبد الوهاب سليم (ص١٣٢)، المكتبة السلفية، دمشق ١٤٢٣هـ، وذكر أن لايتنر: هو باحث إنجليزي حصل على أكثر من شهادة دكتوراه في الشريعة والفلسفة واللاهوت، زار الآستانة عام ١٨٥٤م.

يستوجب عند العقل هذا التأنيب والتثريب؟ أم هو مقام الربوبية ومقام العبودية، وسنة العروج بالحبيب في معارج التعليم والتأديب؟.

توفي عبد الله بن أُبي كبير المنافقين، فكفنه النبي في ثوبه وأراد أن يستغفر له ويصلي عليه، فقال عمر ﵁: أتصلي عليه وقد نهاك ربك؟ فقال ﷺ: إنما خيرني ربي فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: ٨٠]، وسأزيده على السبعين، وصلى عليه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤]، فترك الصلاة عليهم[١].

اقرأ هذه القصة الثابتة برواية الصحيحين، وانظر ماذا ترى؟ إنها لتمثل لك نفس هذا العبد الخاضع، وقد اتخذ من القرآن دستوراً يستملي أحكامه من نصوصه الحرفية، وتمثل لك قلب هذا البشر الرحيم وقد آنس من ظاهر النص الأول تخييراً له بين طريقين، فسرعان ما سلك أقربهما إلى الكرم والرحمة، ولم يلجأ إلى الطريق الآخر إلا بعد ما جاءه النص الصريح بالمنع.

وهكذا كلما درست مواقف الرسول من القرآن في هذه المواطن أو غيرها، تجلى لك فيه معنى العبودية الخاضعة، ومعنى البشرية الرحيمة الرقيقة؛ وتجلى لك في مقابل ذلك من جانب القرآن معنى القوة التي لا تتحكم فيها البواعث والأغراض، بل تصدع بالبيان فرقاناً بين الحق والباطل، وميزاناً للخبيث والطيب، أحب الناس أم كرهوا، رضوا أم سخطوا، آمنوا أم كفروا، إذ لا تزيدها طاعة الطائعين ولا تنقصها

---

(١) متفق عليه. البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، رقم (٤٣٩٣)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر، رقم (٢٤٠٠).

معصية العاصين، فترى بين المقامين ما بينهم، وشتان ما بين سيد ومسود، وعابد ومعبود)[1].

٦ ـ نسبة محمد ﷺ القرآن إلى الله لا تكون احتيالاً منه لبسط نفوذه، وإلا لِمَ لَمْ ينسب أقواله كلها إلى الله[2].

(ولو أننا افترضناه افتراضاً لما عرفنا له تعليلاً معقولاً ولا شبه معقول، اللهم إلا شيئاً واحداً قد يحيك في صدر الجاهل، وهو أن يكون هذا الزعيم قد رأى أن في نسبته القرآن إلى الوحي الإلهي ما يعينه على استصلاح الناس باستيجاب طاعته عليهم، ونفاذ أمره فيهم؛ لأن تلك النسبة تجعل لقوله من الحرمة والتعظيم ما لا يكون له لو نسبه إلى نفسه.

وهذا قياس فاسد في ذاته، فاسد في أساسه:

أما أنه فاسد في ذاته؛ فلأن صاحب هذا القرآن قد صدر عنه الكلام المنسوب إلى نفسه والكلام المنسوب إلى الله تعالى فلم تكن نسبته ما نسبه إلى نفسه بناقصة من لزوم طاعته شيئاً، ولا نسبة ما نسبه إلى ربه بزائدةٍ فيها شيئاً، بل استوجب على الناس طاعته فيهما على السواء، فكانت حرمتها في النفوس على سواء، وكانت طاعته من طاعة الله، ومعصيته من معصية الله، فهلا جعل كل أقواله من كلام الله تعالى لو كان الأمر كما يهجس به ذلك الوهم.

وأما فساد هذا القياس من أساسه؛ فلأنه مبني على افتراض باطل، وهو تجويز أن يكون هذا الزعيم من أولئك الذين لا يأبون في الوصول إلى غاية إصلاحية أن يعبروا إليها على قنطرة من الكذب والتمويه،

---

(١) «النبأ العظيم» (ص٢٨ ـ ٣٠).

(٢) «شبهات حول القرآن وتفنيدها»، د. غازي عناية، (ص٢١).

وذلك أمر يأباه علينا الواقع التاريخي كل الإباء، فإن من تتبع سيرته الشريفة في حركاته وسكناته، وعباراته وإشاراته، في رضاه وغضبه، في خلوته وجلوته لا يشك في أنه كان أبعد الناس عن المداجاة والمواربة، وأن ذلك كان أخص شمائله وأظهر صفاته قبل النبوة وبعدها كما شهد ويشهد به أصدقاؤه وأعداؤه إلى يومنا هذا: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٦])[1].

وقد قدمنا أن النبي ﷺ شهد بصدقه الصديق والعدو، وشهد بصدقه من عاشره ومن رآه لأول وهلة، ومن سمع به وبأخباره.

ونزيد على ما سبق شهادة أكبر المعاندين في قريش، ورأس الكفر، وفرعون هذه الأمة أبو جهل فعن علي رضي الله عنه أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّا لا نُكَذِّبُكَ وَلَكِنْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣][2].

٧ ـ (في بعض المواقف تكون حاجة النبي ﷺ للقرآن شديدة، بل لقد كانت تنزل به نوازل من شأنها أن تحفزه إلى القول، وكانت حاجته القصوى تلح عليه إن يتكلم، بحيث لو كان الأمر إليه لوجد له مقالاً ومجالاً، ولكنه كانت تمضي الليالي والأيام تتبعها الليالي والأيام، ولا يجد في شأنها قرآناً يقرؤه على الناس؛ ومع هذا لم يتقوله ولم ينزل عليه شيء)[3]، مما يدل

---

(١) «النبأ العظيم» (ص١٧ ـ ٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الأنعام رقم (٣٠٦٤)؛ من طريقين مرفوعاً عن علي رضي الله عنه ومرسلاً عن ناجية بن كعب، ويتقوى بعضها ببعض لا سيما أن السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٦٤) ذكر أن عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه أخرجوه عن أبي ميسرة أيضاً.

(٣) «آراء المستشرقين» لرضوان (١/ ٣٨٨).

على صدقه؛ إذ الكاذب لا يتأخر في افتراء الكذب عند الحاجة الماسة إليه، وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

أ ـ عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا لهما صفته، وأخبروهم بقوله؛ فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا.

قال: فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فرجل متقول فتروا فيه رأيكم؛ سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، فإنهم قد كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقوّل فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش، فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور. فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد أخبرنا. فسألوه عما أمروهم به.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «أخبركم غداً عما سألتم عنه». ولم يستثن.

فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يُحْدِثُ الله له في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا

يخبرنا بشيء عما سألناه عنه؛ وحتى أحزن رسولَ الله ﷺ مُكْثُ الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة.

ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف، وقول الله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الآية [الإسراء: ٨٥][(١)].

ب ـ فترة الوحي في حادث الإفك[(٢)]:

(ألم يرجف المنافقون بحديث الإفك عن زوجه عائشة رضي الله عنها وأبطأ الوحي، وطال الأمر والناس يخوضون، حتى بلغت القلوب الحناجر، وهو لا يستطيع إلا أن يقول بكل تحفظ واحتراس: «إني لا أعلم عنها إلا خيراً». ثم إنه بعد بذل جهده في التحري والسؤال واستشارة الأصحاب، ومضى شهر بأكمله، والكل يقولون: ما علمنا عليها من سوء. لم يزد على أن قال لها آخر الأمر: «يا عائشة أما إنه بلغني كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله».

هذا كلامه بوحي ضميره، وهو كما ترى كلام البشر الذي لا يعلم الغيب، وكلام الصدّيق المتثبت الذي لا يظن ولا يقول ما ليس له به علم، على أنه لم يغادر مكانه بعد أن قال هذه الكلمات حتى نزل صدر سورة النور معلناً براءتها، ومصدراً الحكم المبرم بشرفها وطهارتها.

---

(١) قال السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٣٥٧): أخرج ابن إسحاق وابن جرير، وابن المنذر وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل.

(٢) متفق عليه عن عائشة: البخاري: كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، رقم (٢٥١٨)، ومسلم: كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، رقم (٢٧٧٠).

فماذا كان يمنعه ـ لو أن أمر القرآن إليه ـ أن يتقول هذه الكلمات الحاسمة من قبل؛ ليحمي بها عرضه، ويذب بها عن عرينه، وينسبه إلى الوحي السماوي، لتنقطع ألسنة المتخرصين؟ ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧][١].

ج ـ لقد كان النبي ﷺ يتحرق شوقاً إلى تحويل القبلة إلى الكعبة، وظل يقلب وجهه في السماء ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، لعل الوحي ينزل عليه بتحويل القبلة إلى البيت الحرام، ولكن رب القرآن لم ينزل في هذا التحويل قرآناً، على الرغم من تلهف رسوله الكريم إليه إلا بعد قرابة عام ونصف العام[٢].

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْراً، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ . . .﴾ [البقرة: ١٤٤]، فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ. . .)[٣].

ولو كان الوحي من تأليف النبي ﷺ، لما تأخر كل هذه المدة لشيء يحبه ويشتهيه ويتشوف إليه ويتحرق شوقاً له، ولكنه وحي الله ولا ينزل إلا بأمر الله وإذنه.

---

(١) «النبأ العظيم» (ص٢٠).

(٢) «المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن»، للحكيم (ص٥٦).

(٣) متفق عليه. البخاري: كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، رقم (٣٩٩)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، رقم (٥٢٥).

٨ ـ توقف الرسول ﷺ أحياناً في فهم مغزى النص حتى يأتيه البيان:

(لقد كان يجيئه الأمر أحياناً بالقول المجمل، أو الأمر المشكل الذي لا يستبين هو ولا أصحابه تأويله، حتى ينزل الله عليهم بيانه بعد. قل لي بربك: أي عاقل توحي إليه نفسه كلاماً لا يفهم هو معناه، وتأمره أمراً لا يعقل هو حكمته؟.

أليس ذلك من الأدلة الواضحة على أنه ناقل لا قائل، وأنه مأمور لا آمر؟.

وإليك بعض هذه الأمثلة:

المثال الأول: موقفه في قضية المناسبة على النيات:

نزل قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. فأزعجت الصحابة إزعاجاً شديداً، وداخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من شيء آخر؛ لأنهم فهموا منها أنهم سيحاسبون على كل شيء حتى حركات القلوب وخطراتها؛ فقالوا: يا رسول الله أنزلت علينا هذه الآية ولا نطيقها، فقال لهم النبي ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟! بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير».

فجعلوا يتضرعون بهذه الدعوات حتى أنزل الله بيانها بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] إلى آخر السورة المذكورة[١].

وهنالك علموا أنهم إنما يحاسبون على ما يطيقون من شأن القلوب، وهو ما كان من النيات المكسوبة والعزائم المستقرة، لا من الخواطر والأماني الجارية على النفس بغير اختيار.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه لا يكلف إلا الوسع، رقم (١٢٥).

وموضع الشاهد منه أن النبي ﷺ لو كان يعلم تأويلها من أول الأمر لبين لهم خطأهم وهم في أشد الحاجة إليه، ولم يكن ليتركهم لهذا الهلع الذي كاد يخلع قلوبهم وهو بهم رؤوفٌ رحيم، ولكنه كان مثلهم ينتظر تأويلها، ولأمر ما أخر الله عنهم هذا البيان، ولأمر ما وضع حرف التراخي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ [القيامة: ١٩].

المثال الثاني: مسلكه في قضية الحديبية:

اقرأ في «صحيح البخاري»(١) ـ وغيره ـ قضية الحديبية، ففيها آية بينة:

أذن الله للمؤمنين أن يقاتلوا من يعتدي عليهم أينما وجدوه، غير ألا يقاتلوا في الحرم من لم يقاتلهم فيه نفسه، فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ . . .﴾ [البقرة: ١٩٠]، فلما أجمعوا زيارة البيت الحرام في ذلك العام ـ وهو العام السادس من الهجرة ـ أخذوا أسلحتهم حذراً أن يقاتلهم أحد؛ فيدافعوا عن أنفسهم الدفاع المشروع. ولما أشرفوا على حدود الحرم علموا أن قريشاً قد جمعت جموعها على مقربة منهم، فلم يثن ذلك من عزمهم؛ لأنهم كانوا على تمام الأُهبة، بل زادهم ذلك استبسالاً وصمموا على المضي إلى البيت، فمن صدّهم عنه قاتلوه، وكانت قريش قد نهتكها الحروب، فكانت البواعث كلها متضافرة والفرصة سانحة للالتحام في موقعة فاصلة يتمكن فيها الحق من الباطل فيدمغه.

وإنهم لسائرون عند الحديبية إذ بَرَكت راحلة النبي ﷺ وأخذ أصحابه يثيرونها إلى جهة الحرم فلا تثور، فقالوا: خلأت القصواء ـ أي حرنت الناقة ـ. فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها

(١) أخرجه البخاري: في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، رقم (٢٥٨٣).

بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل». يعني أن الله الذي اعتقل الفيل ومنع أصحابه من دخول مكة محاربين، هو الذي اعتقل هذه الناقة ومنع جيش المسلمين من دخولها الآن عنوة.

وهكذا أيقن أن الله تعالى لم يأذن لهم في هذا العام بدخول مكة مقاتلين، لا بادئين ولا مكافئين، وزجر الناقة فثارت إلى ناحية أخرى، فنزل بأصحابه في أقصى الحديبية، وعدل بهم عن متابعة السير امتثالاً لهذه الإشارة الإلهية، التي لا يعلم حكمتها، وأخذ يسعى لدخول مكة من طريق الصلح مع قريش قائلاً: «والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها».

ولكن قريشاً أبت أن يدخلها في هذا العام لا محارباً ولا مسالماً، وأملت عليه شروطاً قاسية بأن يرجع من عامه، وأن يرد كل رجل يجيئه من مكة مسلماً، وألا ترد هي أحداً يجيئها من المدينة تاركاً لدينه.

فقبل تلك الشروط التي لم يكن ليمليها مثل قريش في ضعفها على مثل المؤمنين في قوتهم، وأمر أصحابه بالتحلل من عمرتهم وبالعودة من حيث جاءوا.

فلا تسل عما كان لهذا الصلح من الوقع السيئ في نفوس المسلمين، حتى إنهم لما جعلوا يحلقون بعضهم لبعض كاد يقتل بعضهم بعضاً ذهولاً وغمًّا، وكادت تزيغ قلوب فريق من كبار الصحابة، فأخذوا يتساءلون فيما بينهم ويراجعونه هو نفسه قائلين: لِمَ نعطي الدنية في ديننا؟ وهكذا كاد الجيش يتمرد على إمرة قائده ويفلت حبله من يده.

أفلم يكن من الطبيعي إذ ذاك لو كان هذا القائد هو الذي وضع هذه الخطة بنفسه، أو اشترك في وضعها، أو وقف على أسرارها أن يبين لكبار الصحابة حكمة هذه التصرفات التي هي فوق العقول، حتى يطفئ نار الفتنة قبل أن يتطاير شررها؟

ولكن انظر كيف كان جوابه حين راجعه عمر: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري». يقول: إنما أنا عبد مأمور ليس لي من الأمر شيء إلا أن أنفذ أمر مولاي واثقاً بنصره قريباً أو بعيداً.

وهكذا ساروا راجعين، وهم لا يدرون تأويل هذا الإشكال حتى نزلت سورة الفتح، فبينت لهم الحكم الباهرة، والبشارات الصادقة، فإذا الذي ظنوه ضيماً وإجحافاً في بادئ الرأي كان هو النصر المبين والفتح الأكبر، وأين تدبير البشر من تدبير القدر.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٤ ـ ٢٧][(١)].

٩ ـ إخباره في هذا الكتاب بأمور تحصل بعد موته وعلوم لم تكن في عصره.

وقد قيل: يمكن أن تخدع كل الناس بعض الوقت، ويمكن أن تخدع بعض الناس كل الوقت، ولكن لا يمكن أن تخدع كل الناس كل الوقت.

---

(١) «النبأ العظيم» (ص٣٠ ـ ٣٤).

فلنفرض أن النبي ﷺ استطاع أن يخدع كل من كان في زمنه، ألا يخشى أن ينكشف بعد ذلك إذا ازداد الناس علماً؟! فهو يخبر بأمور فلكية، وأخرى طبية، وأمور جغرافية، ويخبر بأحداث سوف تقع بعد موته، ويتكلم بعلوم لم يعرفها أهل زمانه، كل هذا وهو مطمئن القلب لصدق نفسه، ثم لا يأتي الواقع إلا مطابقاً لما قال، ولا يأتي العلم ـ على تقدمه الكبير ـ إلا بتأكيد كلامه وتأييد آرائه، أليس في هذا دليل على أنه لا يتحدث من قبل نفسه، بل من قبل من يعلم السر والنجوى الذي لا تخفى عليه خافية؟.

وقد ذكرنا من قبل قول بوتر[1]: (كيف استطاع محمد ﷺ الرجل الأمي، الذي نشأ في بيئة جاهلية أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم، والتي لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟ لا بد إذن أن يكون هذا الكلام هو كلام الله ﷻ؟)[2].

١٠ ـ منهجه في كيفية تلقي النص أول عهده بالوحي[3]:

(ولقد كان حين ينزل عليه القرآن في أول عهده بالوحي يتلقفه متعجلاً، فيحرك به لسانه وشفتيه طلباً لحفظه، وخشية ضياعه من صدره، ولم يكن ذلك معروفاً من عادته في تحضير كلامه، لا قبل دعواه النبوة ولا بعدها، ولا كان ذلك من عادة العرب، إنما كانوا يَزُوِّرون كلامهم في أنفسهم، فلو كان القرآن منبجساً من معين نفسه لجرى على سنة كلامه وكلامهم ولكان له من الروية والأناة الصامتة ما يكفل له حاجته؛ من إنضاج الرأي، وتمحيص الفكرة، ولكنه كان يرى نفسه أمام تعليم يفاجئه وقتيًّا ويلم به سريعاً، بحيث لا تجدي الروية شيئاً في اجتلابه لو

(١) تقدمت ترجمتها (ص١٥٧).
(٢) انظر: (ص١٥٧) ومصدرها.
(٣) «المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن»، للحكيم (ص٥٢).

طلب، ولا في تداركه واستذكاره لو ضاع منه شيء، وكان عليه أن يعيد كل ما يلقى إليه حرفيًا، فكان لا بد له في أول عهده بتلك الحال الجديدة التي لم يألفها من نفسه، أن يكون شديد الحرص على المتابعة الحرفية، حتى ضمن الله له حفظه وبيانه بقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ [القيامة: ١٦] الآيات، وقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

هذا طرفٌ من سيرته بإزاء القرآن، وهي شواهد ناطقة بصدقه في أن القرآن لم يصدر عنه بل ورد إليه، وأنه لم يفض عن قلبه بل أفيض عليه)[1].

١١ ـ أليس يكفي للحكم ببراءة الإنسان من عمل من الأعمال، أن يقوم من الطبيعة شاهدٌ بعجزه المادي عن إنتاج ذلك العمل؟[2].

فلينظر العاقل: هل كان هذا النبي الأمي ﷺ أهلاً بمقتضى وسائله لعلمية لأن تجيش نفسه بتلك المعاني القرآنية؟.

سيقول الجهلاء من الملحدين: نعم. فقد كان له من ذكائه الفطري وبصيرته النافذة ما يؤهله لإدراك الحق والباطل من الآراء، والحسن والقبيح من الأخلاق، والخير والشر من الأفعال، حتى لو أن شيئاً في السماء تناله الفراسة، أو تلهمه الفطرة، أو توحي به الفكرة، لتناوله محمد بفطرته السليمة وعقله الكامل وتأملاته الصادقة.

ونحن قد نؤمن أكثر مما وصفوا من شمائله، ولكننا نسأل: هل كل ما في القرآن مما يستنبطه العقل والتفكير، ومما يدركه الوجدان والشعور؟ اللهم كلا.

---

(١) «النبأ العظيم» (ص٣٤).

(٢) «النبأ العظيم» (ص٣٨ ـ ٤٧).

طبيعة المعاني القرآنية ليست كلها مما يدرك بالذكاء وصدق الفراسة، فمن ذلك:

أ ـ أنباء الماضي لا سبيل إليها إلا بالتلقي والدراسة:

ففي القرآن جانب كبير من المعاني النقلية البحتة، التي لا مجال فيها للذكاء والاستنباط، ولا سبيل إلى علمها لمن غاب عنها إلا بالدراسة والتلقي والتعلم؛ ماذا يقولون فيما قصه علينا القرآن من أنباء ما قد سبق وما فصله من تلك الأنباء على وجهه الصحيح كما وقع؟ أيقولون: إن التاريخ يمكن وضعه أيضاً بإعمال الفكر ودقة الفراسة؟ أم يخرجون إلى المكابرة العظمى فيقولون: إن محمداً قد عاصر تلك الأمم الخالية، وتنقل فيها فشهد هذه الوقائع مع أهلها شهادة عيان، أو أنه ورث كتب الأولين وعكف على دراستها حتى أصبح من الراسخين في علم دقائقها؟ إنهم لا يسعهم أن يقولوا هذا ولا ذاك؛ لأنهم معترفون مع العالم كله بأنه ﷺ لم يكن من أولئك ولا من هؤلاء: ﴿... ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ...﴾ [آل عمران: ٤٤]، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢]، ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤]، ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨]، ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩]، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: ٣].

لا نقول: إن العلم بأسماء بعض الأنبياء والأمم الماضية، وبمجمل ما جرى من حوادث التدمير في ديار عاد وثمود وطوفان نوح

وأشباه ذلك لم يصل قط إلى الأميين؛ فإن هذه النتف اليسيرة قلما تعزب عن أحد من أهل البدو أو الحضر؛ لأنها مما توارثته الأجيال وسارت به الأمثال، وإنما الشأن في تلك التفاصيل الدقيقة والكنوز المدفونة في بطون الكتب، فذلك هو العلم النفيس الذي لم تنله يد الأميين، ولم يكن يعرفه إلا القليل من الدارسين، وإنك لتجد الصحيح المفيد من هذه الأخبار محرراً في القرآن، حتى الأرقام طبق الأرقام: فترى مثلاً في قصة نوح عليه السلام في القرآن أنه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وفي سفر التكوين من التوراة أنه عاش تسعمائة وخمسين سنة. وترى في قصة أصحاب الكهف عند أهل الكتاب أنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنة شمسية، وفي القرآن أنهم لبثوا في كهفهم ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]. وهذه السنون التسع هي فرق ما بين عدد السنين الشمسية والقمرية؛ قاله الزجاج يعني بتكميل الكسر.

فانظر إلى هذا الحساب الدقيق في أمة أمية لا تكتب ولا تحسب.

كَفَاكَ بالْعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً   فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأدِيبِ فِي الْيُتْمِ

نعم إنها لعجيبة حقًّا: رجل أمي بين أظهر قوم أميين، يحضر مشاهدهم - في غير الباطل والفجور - ويعيش معيشتهم مشغولاً برزق نفسه وزوجه وأولاده، راعياً بالأجر، لا صلة له بالعلم والعلماء؛ يقضي في هذا المستوى أكثر من أربعين سنة من عمره، ثم يطلع علينا فيما بين عشية وضحاها، فيكلمنا بما لا عهد له به في سالف حياته، وبما لم يتحدث إلى أحد بحرف واحد منه قبل ذلك، ويبدي لنا من أخبار تلك القرون الأولى ما أخفاه أهل العلم في دفاترهم وقماطرهم؟ أفي مثل هذا يقول الجاهلون: إنه استوحى عقله واستلهم ضميره؟ أي منطق يسوغ أن يكون هذا الطور الجديد العملي نتيجة طبيعية لتلك الحياة الماضية الأمية؟! إنه لا مناص في قضية العقل من أن يكون لهذا الانتقال

الطفري سر آخر يُلتمس خارجاً عن حدود النفس وعن دائرة المعلومات القديمة، وإن ملاحدة الجاهلية وهم أجلاف الأعراب في البادية كانوا في الجملة أصدق تعليلاً لهذه الظاهرة، وأقرب فهماً لهذا السر من ملاحدة هذا العصر؛ إذ لم يقولوا كما قال هؤلاء: إنه استقى هذه الأخبار من وحي نفسه. بل قالوا: إنه لا بد أن تكون قد أُمْلِيَتَ عليه منذ يومئذٍ علوم جديدة؛ فدرس منها ما لم يكن قد درس، وتعلم ما لم يكن يعلم: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنعام: ١٠٥]، ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: ٥].

ولقد صدقوا؛ فإنه درسها، ولكن على أستاذه الروح الأمين، واكتتبها، ولكن من ﴿صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٣ ـ ١٦]، ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٦].

ذلك شأن ما في القرآن من الأنباء التاريخية، لا جدال في أن سبيلها النقل لا العقل، وأنها تجيء من خارج النفس لا من داخلها.

ب ـ الحقائق الدينية الغيبية لا سبيل للعقل إليها:

فأما أمر الدين فإن غاية ما يجتنيه العقل من ثمرات بحثه المستقل فيه، بعد معاونة الفطرة السليمة له، هو أن يعلم أن فوق هذا العالم إلهاً قاهراً دبره، وأنه لم يخلقه باطلاً، بل وضعه على مقتضى الحكمة والعدالة؛ فلا بد أن يعيده كرةً أخرى لينال كل عامل جزاء عمله، إن خيراً وإن شراً.

هذا هو كل ما يناله العقل الكامل من أمر الدين، ولكن القرآن لا يقف في جانبه عند هذه المرحلة؛ بل نراه يشرح لنا حدود الإيمان مفصلة، ويصف لنا بدء الخلق ونهايته، ويصف الجنة وأنواع نعيمها، والنار وألوان عذابها، كأنهما رأي عين، حتى إنه ليحصي عدة الأبواب،

وعدة الملائكة الموكلة بتلك الأبواب، فعلى أي نظرية عقلية بنيت هذه المعلومات الحسابية، وتلك الأوصاف التحديدية؟ إن ذلك ما لا يوحي به العقل البتة، بل هو إما باطل فيكون من وحي الخيال والتخمين، وإما حق فلا ينال إلا بالتعليم والتلقين، لكنه الحق الذي شهدت به الكتب واستيقنه أهلها: ﴿...وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]، ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [ص: ٦٩]، ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس: ٣٧].

ج ـ أنباء المستقبل قد تستنبط بالمقايسة الظنية، ولكنها لا سبيل فيها لليقين إلا بالوحي الصادق:

وأما النبوءات الغيبية فهل تعرف كيف يحكم فيها ذو العقل الكامل؟ إنه يتخذ من تجاربه الماضية مصباحاً يكشف على ضوئه بضع خطوات من مجرى الحوادث المقبلة، جاعلاً الشاهد من هذه مقياساً للغائب من تلك، ثم يصدر فيها حكماً محاطاً بكل تحفظ وحذر، قائلاً: (ذلك ما تقضي به طبيعة الحوادث لو سارت الأمور على طبيعتها، ولم يقع ما ليس في الحسبان). أما أن يبت الحكم بتًّا، ويحدده تحديداً، حتى فيما لا تدل عليه مقدمة من المقدمات العلمية، ولا تلوح منه أمارة من الأمارات الظنية العادية، فذلك ما لا يفعله إلا أحد رجلين:

إما رجل مجازف لا يبالي أن يقول الناس فيه: صدق أو كذب. وذلك هو دأب جهلاء المتنبئين من العرافين والمنجمين.

وإما رجل اتخذ عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده، وتلك هي سنة الأنبياء والمرسلين.

ولا ثالث لهما إلا رجلاً روى أخباره عن واحد منهما.

فأي الرجلين تراه في صاحب هذا القرآن حينما يجيء على لسانه الخبر الجازم بما سيقع بعد عام وما سيقع في أعوام، وما سيكون أبد الدهر، وما لن يكون أبد الدهر؟ ذلك وهو لم يتعاط علم المعرفة والتنجيم، ولا كانت أخلاقه كأخلاقهم تمثل الدعوى والتقحم، ولا كانت أخباره كأخبارهم خليطاً من الصدق والكذب، والصواب والخطأ. بل كان مع براءته من علم الغيب وقعوده عن طلبه وتكلفه، يجيئه عفواً؛ ما تعجز صروف الدهر وتقلباته في الأحقاب المتطاولة أن تنقض حرفاً واحداً مما ينبئ به: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

ولنسرد لك ها هنا بعض النبوءات القرآنية مع بيان شيء من ملابساتها التاريخية؛ لترى: هل كان مقدماتها القريبة أو البعيدة حاضرة فتكون تلك النبوءات من جنس ما توحي به الفراسة والألمعية؟.

مثال ذلك:

ما جاء في بيان أن هذا الدين قد كتب الله له البقاء والخلود، وأن هذا القرآن قد ضمن الله حفظه وصيانته ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد: ١٧]، ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ﴾ [فصلت: ٢٤، ٢٥]، ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]. أتعلم متى وأين صدرت هذه البشارات المؤكدة، بل العهود الوثيقة؟ إنها آيات مكية من سور مكية، وأنت قد تعرف ما أمر الدعوة المحمدية في مكة؟.

١٢ ـ لماذا يستبعد المستشرقون إمكانية نزول الوحي على النبي ﷺ عن طريق جبريل، مع أن كثيراً منهم يُسَلِّمون بأبعد من ذلك؛ فهم

يؤمنون إيماناً كاملاً بأن موسى عليه السلام قد تلى التوراة من الله تعالى مباشرة من غير واسطة؟!

١٣ ـ وانظر إلى هذا التناقض؛ تارة يصفون النبي ﷺ بأنه عبقري، وفنان موهوب، وملهم[١] استطاع بذكائه الشديد أن يصنع هذا الدين والقرآن، وتارة يقولون: هو مجنون، أو مصروع، أو مهووس[٢]؛ ألا ترى كيف أوقعهم بغضهم للحق في هذه المضحكات؟!.

وتأمل كيف استطاعت خديجة رضي الله عنها بفطرتها البسيطة أن تعرف أن ما يأتي النبي ﷺ ليس شيطاناً وجنوناً ولا هَوَساً حين قالت: (كلا واللهِ لا يُخزِيكَ اللهُ أبداً؛ إنك لَتَصِلُ الرَّحِمَ وتحمل الكلَّ، وتُكْسِبُ المعدومَ تُقْرِي الضَّيْفَ وتُعِينُ على نوائبِ الحقِّ)[٣].

فما أبعد هذا الكمال الإنساني عن الهوس الذي قد يملي على صاحبه مواقف غريبة وأفعالاً منكرة ينبو عنها الذوق السليم، لذلك فإن بعضهم لا يملك نفسه عندما يقرأ سيرة النبي ﷺ وما يأمر به إلا أن يسلم بنبوته:

يقول توماس كارليل[٤]: (هل رأيتم قط رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً عجيباً؟ إنه لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب؛ فهو لم يكن عليماً بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك، فما ذلك الذي

---

(١) انظر: «القرآن والمستشرقون» لنقرة (ص٢٨).

(٢) انظر: كتاب رؤية إسلامية للاستشراق، لأحمد غراب، (ص١٥)، وانظر: «القرآن والمستشرقون» لنقرة (ص٢٩).

(٣) متفق عليه. البخاري: كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، رقم (٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله رقم (١٦٠).

(٤) كاتب إنجليزي معروف، ولد سنة ١٧٩٥م، وتوفي سنة ١٨٨١م، من آثاره: «الأبطال»، وقد عقد فيه فصلاً رائعاً عن النبي ﷺ، انظر: «قالوا عن الإسلام» (ص١٢٣).

يبنيه بيت، إنما هو تل من الأنقاض، وكثيب من أخلاط المواد؛ وليس جديداً أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً، يسكنه مائتا مليون من الأنفس[1]، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن. وإني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة، وإلا أبت أن تجيبه طلبته كذبٌ ما يذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه حتى تخيلوه حقًّا، ومحنةٌ أن ينخدع الناس ـ شعوباً وأمماً ـ بهذه الأضاليل)[2].

ويقول أيضاً: (لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر، أن يصغي إلى القول بأن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خداع مزور، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرجل، وما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لمئات الملايين من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا، أكان أحدهم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والعد أكذوبة وخدعة؟! أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً، فلو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم ذلك التصديق والقبول، فما الناس إذاً إلا بُلْهٌ ومجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث؛ كان الأولى ألا تُخلق)[3].

١٤ ـ **من الأدلة على أن القرآن ليس من النبي ﷺ: أوقات نزوله**[4]؛ فليس للنبي ﷺ اختيار فيما ينزل أو متى ينزل، فقد يأتيه وهو

---

(١) تعداد المسلمين جاوز المليار، ولكن هذا العالم يتحدث عن علمه ووقته حيث إنه ولد سنة ١٧٩٥م.

(٢) «قالوا عن الإسلام» (ص١٢٣).

(٣) انظر: «القرآن والمستشرقون»، د. التهامي نقرة (ص٢٥).

(٤) «المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن» للحكيم (ص٥٤).

في الفراش مع أهله، أو وهو نائم، أو مع أصحابه، أو وهو سائر، أو على البعير[1]، وقد يتتابع الوحي ويحمى حتى يشعر بكثرته عليه، وقد يفتر عنه حتى يشتاق إليه، بل قد يمرض من تأخره عليه؛ فقد روىٰ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ اللهَ تَعَالَى تَابَعَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ الْوَحْيَ قَبْلَ وَفَاتِهِ حَتَّى تَوَفَّاهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ الْوَحْيُ ثُمَّ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْد)[2].

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُنَّ حِزْبَيْنِ، فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسَوْدَةُ، وَالْحِزْبُ الآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ... الحديث وفيه فَقَالَ: «لا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ؛ فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلا عَائِشَةَ»... الحديث)[3].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّماً، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفاً سُورَةٌ». فَقَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ١ ـ ٣] ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ...»[4].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ: «أَلا تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا». قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ

---

(١) انظر: فتح الباري (١/ ٣٠) فقد ذكر أن عند البيهقي حديث: (وإن كان ليوحى إليه وهو على ناقته فيضرب حزامها الأرض من ثقل ما يوحى إليه).

(٢) متفق عليه. البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي، رقم (٤٩٨٢)، ومسلم: كتاب التفسير، باب، رقم (٣٠١٦).

(٣) البخاري. كتاب الهداية وفضلها والتحريض عليها، باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه، رقم (٢٥٨١).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسملة آية من كل سورة، رقم (٤٠٠).

﴿أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤][1].

وعن جُنْدُبَ بْنِ سُفْيَانَ: أبطأ جبريل على النبي ﷺ، فاشْتَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاثاً، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الضحى: ١ ـ ٣][2].

فهذه أربعة عشر دليلاً على أن القرآن ليس من عند النبي ﷺ، وبعضها كافٍ في ذلك، فما بالك بها مجتمعة؟! ولقد جمعتها كلها حتى لا يكون للمعترض حجة.

المطلب الثاني

نقله من غيره، والرد عليهم

أولاً: يقرر بعض المشككين أو الطاعنين أن القرآن ليس من عند النبي ﷺ ولكنه ليس من عند الله أيضاً، بل هو مما نقله من غيره، كما قال ذلك مشركو مكة: إنه تعلَّمه من غلام نصراني. فقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣]، ﴿... وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤].

---

(١) البخاري. كتاب بدأ الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٢١٨).

(٢) متفق عليه. البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب ما ودعك ربك وما قلى، رقم (٤٩٥٠)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ، رقم (١٧٩٧)، وأحمد رقم (١٨٣٢٩) واللفظ لأحمد.

وهذا الغير قد يكون أهل الكتاب، وقد يكون غيرهم.

وقد أُلِّفَتْ في هذا الطعن مؤلفاتٌ استشراقية كثيرة، منها[1]:

١ ـ عناصر يهودية في مصطلحات القرآن الدينية، للمستشرق المجري بيرنات هيللر (١٨٥٧م ـ ١٩٤٣م)، نشر عام ١٩٢٨م.

٢ ـ كتاب (الكلمات الأجنبية في القرآن) رسالة دكتوراه للمستشرق الألماني فرانكيل (١٨٥٥م ـ ١٩٠٩م)، ليدن، ١٨٧٨م.

٣ ـ مراجع القرآن وعلومه، للمستشرق الألماني بريتزل [١٨٩٣م ـ ١٩٤١م].

٤ ـ المصادر الأصلية للقرآن، لتاسدول، طبع في لندن ١٩٠٥م.

٥ ـ مصادر القصص الإسلامية في القرآن وقصص الأنبياء، لسايدر سكاي، طبع في باريس ١٩٣٢م.

٦ ـ مصادر القصص الكتابي في القرآن، بقلم سباير، ١٩٣٩م.

فهذه الكتب ألفت في هذا الطعن فقط.

وهناك كتب أخرى ذكر هذا الطعن في أثنائها منها:

دائرة المعارف الإسلامية، حيث يقولون: (إنه ليس في سورة الفاتحة أي شيء إسلامي خاص بل على العكس، فيها ألفاظ يهودية ونصرانية)[2].

وفيها أيضاً: (القرآن عبارة عما كان عند الكهان، بدليل وجود

---

(١) انظر: «المستشرقون والدراسات القرآنية»، للدكتور محمد حسين الصغير، (ص١١٨ ـ ١٢٠)، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

(٢) «دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية» (ص١٦).

السجع والقسم بالطبيعة)[1].

ويقول جولدتسيهر[2]: (إن القرآن ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية، عرفها واستقاها محمد بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، التي تأثر بها تأثراً عميقاً والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقة عند بني وطنه، لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إلهياً)[3].

(ويزعم المبشر نلسن وغيره: أن الإسلام مقلِّد، وأن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية، وسائر ما فيه مأخوذ من الوثنية.

وحكى الكونت هنري دي كاستري في كتابه «الإسلام سوانح وخواطر» عن أحد المبشرين قوله: إن الرسول ﷺ كان يقرأ ويكتب،

---

(١) «دائرة المعارفة الإسلامية الاستشراقية» (ص٢٧).

(٢) مستشرق مجري يهودي مشهور (١٨٥٠م ـ ١٩٢١م) اعتنى بالعلوم الدينية الإسلامية عناية خاصة وألف في هذا المجال عدة كتب منها: الظاهرية مذهبهم وتاريخهم، دراسات إسلامية، محاضرات في الإسلام، اتجاهات تفسير القرآن عن المسلمين. أقام في القاهرة فترة، وفي أثناء هذه الفترة استطاع أن يختلف إلى بعض الدروس في الأزهر، وكان ذلك بالنسبة إلى أمثاله امتيازاً كبيراً ورعاية عظيمة، اغتر به الكثير لسعة اطلاعه وإنصافه في بعض الأحيان، ولكنه كان يدس السم في العسل، فلا تجد طعناً من الطعون إلا وله فيه نصيب. انظر: «موسوعة المستشرقين» للدكتور عبد الرحمن بدوي، (ص١٩٧ ـ ٢٠٣) بتصرف.

(٣) «العقيدة والشريعة في الإسلام» لجولدتسيهر (ص١٢)، عن كتاب القرآن الكريم في مواجهة الماديين الملحدين، للدكتور أحمد الشاعر، (ص٩٣)، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م، وانظر: «القرآن والمستشرقون»، لنقرة (ص٣١).

فقرأ التوراة وقرأ الإنجيل، وأخذ تعاليمه منهما)[1].

وفي كتاب «المنجد»[2] الذي ألفه النصارى ـ كمرجع في اللغة والأعلام ـ قد رسمت صورة للنبي ﷺ، وفيها أن الإنجيل أمامه وهو معه الريشة ينقل منه.

ويقول بلاشير[3]: (كان أسلوب النبي في القرآن أول عهده بالدعوة مفعماً بالعواطف، قصير العبارات، فخم الصورة، يقدم أوصاف العقاب والثواب في ألوان صارخة، وكثيراً ما يكرر الآيات تَكراراً مملاً، حتى تنقلب معانيها إلى الضد، فلما تقدم الزمن بالنبي فقد الأسلوب منهجه الأول، وأخذ يَقُصُّ في نغمات هادئة بديعة قصص الأنبياء، مثلما تراه في قصة حب يوسف وزوجته بوتيفار، وكانت هذه الصورة مثيرة لخيال كثير من شعراء الفرس والترك، وفي آخر عهد النبي فقد الأسلوب كل حرارة وكل فن، وأغرم بالجدل الديني مع اليهود والنصارى)[4].

ويقول طه حسين[5]: (يلاحظ أن في القرآن أسلوبين متعارضين، لا تربط الأول بالثاني صلة ولا علاقة، ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هذا الكتاب قد خضع لظروف مختلفة، أو تأثيرات ببيئات متباينة.

فمثلاً نرى القِسْم المكي يمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة، كما نشاهد أن القسم المدني أو اليثربي تلوح عليه أمارة الثقافة

---

(١) «رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم»، للدكتور محمد جمعة عبد الله (ص٢٦٣)، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

(٢) في حرف الميم عند ذكر اسم محمد، وقد حذفت هذه الصورة من الطبعات الجديدة للكتاب.

(٣) تقدمت ترجمته ص١٦ ـ ١٧.

(٤) «القرآن والمستشرقون» (ص٣٢).

(٥) تقدمت ترجمته (ص٥٦).

والاستنارة، فأنتم إذا دققتم النظر وجدتم القسم المكي يتفرد بالعنف والشدة، والقسوة والحدة والغضب والسباب، والوعيد والتهديد، مثل: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ [المسد: ١ ـ ٥]، ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: ١، ٢]، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر: ١٣، ١٤]، ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦﴾ [التكاثر: ٥، ٦] ويمتاز هذا القسم أيضاً بالهروب من المناقشة، وبالخلو من المنطق فيقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦].

ويمتاز كذلك بتقطع الفكرة واقتضاب المعاني وقصر الآيات، والخلو التام من التشريع والقوانين، كما يكثر فيه القسَمُ بالشمس والقمر والنجوم والضحى والفجر والعصر والليل والنهار والتين والزيتون... إلى آخر ما هو جدير بالبيئات الجاهلية الساذجة، التي تشبه بيئة مكة تأخراً وانحطاطاً.

وأما القسم المدني فهو هادئ لين، وديع مسالم، يقابل السوء بالحسن، ويناقش الخصوم بالحجة الهادئة والبرهان الساكن الرزين، فيقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢﴾ [الأنبياء: ٢٢].

ويهجر مع أعدائه الترهيب والقسوة، ويسلك سبيل الترغيب والتطميع في المكافأة، فيقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟

ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

كما أن هذا القسم ينفرد بالتشريعات الإسلامية، كالمواريث والوصايا والزواج والطلاق والبيوع وسائر المعاملات.

ولا شك أن هذا أثر واضح من آثار التوراة والبيئة اليهودية، التي ثقفت المهاجرين إلى يثرب ثقافة واضحة، يشهد بها هذا التغيير الفجائي الذي ظهر على أسلوب القرآن.

أما طول آياته في هذا القسم، فهذا أمر جلي ظاهر؛ لأن إحدى آياته قد تزيد على عدة سور بتمامها من القسم المكي، أما أفكاره فهي منسجمة متسلسلة، ترمي أحياناً إلى غايات اجتماعية وأخلاقية.

وعلى الجملة فإن ما في هذا القسم المدني من هدوء ومنطق وتشريع وقصص وتاريخ، يدل دلالة صريحة على أن الظروف التي أحاطت بهذا الكتاب، إبان نشأته قد تطورت تطوراً قوياً)[١].

وقال الخوري الحداد[٢]: (إن الدعوة المحمدية كانت في العهد

---

(١) من مذكرة أملاها طه حسين على طلابه في كلية الآداب بالجامعة المصرية، ثم أخذها النائب عبد الحميد سعيد وألقى بياناً في مجلس النواب في دورة سنة ١٩٣٢م عن موقف طه حسين من القرآن، ونقل هذه المادة بنصها، ثم نقلها ورد عليها محمد أحمد عرفة ـ وكيل كلية الشريعة الإسلامية ـ في كتاب أسماه: نقض مطاعن في القرآن الكريم، وطبع في مطبعة المنار بمصر، ووقف على تصحيحه وعلق على بعض حواشيه السيد محمد رشيد رضا، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ (ص٤ ـ ٧).

(٢) يوسف إلياس الحداد، مبشر لبناني وكان يلبس بزة الخوارنة المسيحيين، كرَّس جهوده في الهجوم على القرآن والإسلام، وألف في ذلك كتباً منها: الإنجيل والقرآن، والقرآن والكتاب، ونظم القرآن والكتاب، وغير ذلك من الكتب، =

المكي كتابية، إنجيلية توراتية، مسيحية يهودية، والقرآن نسخة عربية من الكتب السماوية السابقة، المنزلة على الأنبياء السابقين ومقتبس منها، والقرآن كتاب توراتي إنجيلي في موضوعه ومصادره وقصصه وجدله، وكان محمد متأثراً إلى أبعد الحدود باليهود والنصارى، واليهودية والنصرانية، والتوراة والإنجيل، حتى كأنه واحد منهم مع غلبة المسحة المسيحية)[1].

وقال: (والسر الكبير في ثقافة محمد الكتابية والإنجيلية، وجود العالِم المسيحي ورقة بن نوفل من بني أسد ابن عم السيدة خديجة في جوار النبي، وهو الذي زَوَّجه ابنة عمه، فقد أجمعت الآثار على أن ورقة تنصر، وكان يترجم التوراة والإنجيل إلى العربية، فهو إذن عالم مسيحي كبير، وقد عاش محمد في جواره خمسة عشر عاماً قبل مبعثه، ألا تكفي هذه المدة لنابغة العرب محمد بن عبد الله، لكي يأخذ عنه شيئاً من علوم التوراة والإنجيل؟! وينص صحيح البخاري على أن ورقة هو الذي ثبَّتَ محمداً في دعوته وبعثته لما عاد خائفاً من غار حراء، وعلى أن الوحي فتر لما توفي ورقة، وحاول محمد الانتحار مراراً لفقده وفتوره.

ونجد في المدينة في معية النبيِّ حاشية مسيحية ويهودية قد أسلمت أو سايرت الإسلام، نجد بلالاً الحبشي مؤذن النبي، وصهيباً الرومي المسيحي الثري، وسلمان الفارسي المسيحي الأصل، وعبد الله بن سلام اليهودي الوحيد الذي أسلم في المدينة مع كعب الأحبار، وهل كان

= وقد تصدى له وكشف عواره ورد عليه رداً مفحماً الأستاذ محمد دروزة في كتابه (القرآن والمبشرون)، طبعه المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م، وانظر: ترجمة الحداد في مقدمة الكتاب.

(١) انظر: «القرآن والمبشرون» (ص٩٤ ـ ٩٥).

حديث هذه الحاشية الكريمة سوى التوراة والإنجيل؟ إن ذلك حجة قاطعة على أن بيئة النبي والقرآن كانت كتابية من كل نواحيها، وأن ثقافة محمد والقرآن كتابية في كل مظاهرها، وذلك بمعزل عن الوحي والتنزيل)[١].

وقد ذهب إلى أبعد من ذلك المستشرق كليمان هواز[٢]، حيث كتب فصلاً زعم فيه أنه اكتشف مصدراً جديداً للقرآن، وهو شعر أمية بن أبي الصلت، ومن ذلك قوله:

وَيَوْمَ مَوْعِدِهِمْ أنْ يُحْشَرُوا زُمَراً ... يَوْمَ التَّغَابُنِ إذْ لا يَنفَعُ الحَذَرُ
مُتَوسِّقِينَ مَعَ الدَّاعِي كَأَنَّهُمُ ... رِجْلُ الجَرادِ زَفَتْهُ الرِّيحُ مُنْتشرُ
قد بُرِّزوا بصَعِيدٍ مستوٍ جَرِزٍ ... وأُنْزِلَ العَرْشُ والميزانُ والزُّبُرُ
تَقُولُ خُزَّانُها مَا كَانَ عِنْدَكُمُ ... أَلَمْ يَكُنْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ نُذُرُ
قالوا بَلَى فتبِعْنَا فِتْيةً بَطَرُوا ... وَغَرَّنَا طُولُ هذا العَيْشِ والعُمُرُ[٣]

وأورد توسدال[٤] شبهته السابقة وقال: إن من مصادره ـ أي القرآن ـ شعر امرئ القيس حيث قال:

دَنَتِ السَّاعَةُ وانشَقَّ القَمَرْ ... عَنْ غَزَالٍ صادَ قَلْبِي ونَفَرْ
أَحْوَرُ قَدْ حِرْتُ في أَوْصَافِهِ ... نَاعِسُ الطَّرْفِ بعَيْنَيهِ حَوَرْ
بِسِهَامٍ مِنْ لحاظٍ فَاتِكٍ ... تَرَكْتَنِي كَهَشِيمِ المُحْتَظِرْ[٥]

---

(١) «القرآن والمستشرقون» لنقرة، (ص٣٧ ـ ٣٨).
(٢) لم أجد له ترجمة.
(٣) «القرآن والمستشرقون» لنقرة (ص٣٤).
(٤) كلير توسدال: لم أجد له ترجمة، والظاهر أنه على قيد الحياة، له كتاب بعنوان «مصادر الإسلام» في ست عشرة ومائتي صفحة وستة فصول، وطبع في الهند. انظر: «آراء المستشرقين حول القرآن» عمر إبراهيم (١/ ١٢٥).
(٥) «القرآن والمستشرقون» (ص٣٤).

ولو أردنا أن نجمع أقوال كل من تكلم لطال بنا المقام[1].

ثانياً: الرد على من زعم أنه نقل من غيره:

١ ـ لقد تكفل الله تعالى بالرد على هذه الشبهة:

فبالسبر والتقسيم يمكن القول بأن القرآن يمكن أن يأتي إلى النبي ﷺ عن أربع طرق: من عند نفسه، من عند شخص، من كتاب، من الله تعالى.

أما من عند نفسه فقد تقدم معنا الرد على هذه الشبهة بأكثر من عشرة أوجه[2].

ـ أما من عند شخص؛ فمن هو هذا الشخص؟ أكثر الطاعنين على أنهم نصارى أو يهود، فرد الله تعالى عليهم أن لسان أولئك القوم ولغتهم أعجمية، ولكن لسان هذا القرآن عربي مبين، فكيف للأعجمي أن يأتي بأعلى الفصاحة وذروة البلاغة في اللغة العربية: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣].

ـ أما من كتاب، فالنبي ﷺ لا يقرأ ولا يكتب: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ

---

(١) وقد ألف د. إبراهيم عوض كتاباً بعنوان (مصدر القرآن: دراسة لشبهات المستشرقين المبشرين حول الوحي المحمدي)، طبعته مكتبة زهراء الشرق في القاهرة، ١٩٩٧م. وهو جيد في بابه، وانظر: «من أساليب الغزو الفكري الطعن في القرآن الكريم»، للأستاذ للدكتور نبيل غنايم، (ص٥٢٩ ـ ٥٣١)، وهو بحث نشر في مجلة مجمع الفقه الإسلامي (العدد السابع، الجزء الرابع) سنة ١٩٩٢م.

(٢) راجع (ص١٨٠) السابقة.

﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٩﴾ [العنكبوت: ٤٨، ٤٩]؛ **فلم يبق إلا أنه من الله تعالى.**

٢ ـ العهد القديم لم يكن مترجماً إلى اللغة العربية قبل الإسلام، وقد نص على ذلك المستشرقون أنفسهم، فهذا (جوتين) يقول عن صحائف اليهود التي كانت في زمن النبي ﷺ: (إن تلك الصحائف مكتوبة بلغة أجنبية)[١].

وقد أشارت الموسوعة البريطانية إلى عدم وجود ترجمة عربية لأسفار اليهود قبل الإسلام، وأن أول ترجمة كانت في أوائل العصر العباسي، وكانت بأحرف عبرية[٢].

كيف إذن أخذ النبي ﷺ منها، لا بد للمستشرقين أن يفتروا كذبة جديدة، وهي أن النبي ﷺ درس لغة التوراة فكان يترجمها للقرآن؟!!.

٣ ـ ومن لطائف الاستدلال على أنه لم ينقل من غيره: ما يذكره العلماء في فوائد أسباب النزول؛ حيث يذكرون أن من فوائد أسباب النزول دلالته على إعجاز القرآن، وأنه من الله تعالى من ناحية الارتجال، فنزوله بعد الحادثة مباشرة يقطع دعوى من ادعوا أنه أساطير الأولين، أو من كتب السابقين[٣]، فلو كان ينقل كتابه من كتب غيره، لكان إذا سأله سائل يتريث حتى يراجع الكتب التي عنده، وينظر ماذا تقول في هذه المسألة ثم يجيب، ولكن النبي ﷺ لم يكن يفعل، بل يسأله الرجل فيعطيه الجواب الموافق للصواب، الذي لم يكن قرأه ولا عرفه إلا في هذه اللحظة التي نزل عليه فيها.

---

(١) دراسات في تاريخ الإسلام ونظمه، س.د. جوتين، نقلاً عن كتاب «الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده»، لمحمود ماضي (ص١٤٧).

(٢) المرجع السابق (ص١٤٨).

(٣) ذكر هذه الفائدة الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير (١/ ٥٠).

٤ ـ من أوضح الأدلة على رد دعوى النقل من غيره؛ التحدي أن يأتي بمثله، كما تقدم تفصيل هذا في الردود العامة.

٥ ـ لو كان القرآن مأخوذاً من التوراة والإنجيل والكتب السابقة، لما استطاع محمد ﷺ أن يتحدى الناس ويقدم على هذا الخطأ الفادح؛ لأن هذه الأصول المنقول عنها موجودة في متناول أيدي الجميع، فلماذا يتحدى الناس بشيء موجود، ألا يخشى أن يقوم بعض الناس بالرجوع إلى مراجعه والعمل مثل عمله، فينكشف؟.

٦ ـ ثم هذه الأساطير والمراجع ليست خاصة بمحمد ﷺ، بل هي كتب متداولة بيد الجميع، فلماذا لا تحضرون لنا هذه الكتب التي نقل منها؟.

٧ ـ (افتراض تعلم النبي ﷺ من نصارى الشام ويهود المدينة وغيرهم، لا يتفق مع الحقيقة التاريخية التي تحدثنا عن الحيرة والتردد في موقف المشركين من رسول الله ﷺ في محاولتهم لتفسير ظاهرة الرسالة؛ لأن مثل هذه العلاقة مع النصارى أو اليهود لا يمكن التستر عليها أمام أعداء الدعوة من المشركين وغيرهم، الذين عاصروه وعرفوا أخباره وخبروا حياته العامة بما فيها من سفرات ورحلات)[١].

٨ ـ وجود بعض الشرائع في القرآن التي تتفق مع ما في التوراة والإنجيل، أو حتى ما عند العرب ليس في هذا دليل على أنه مأخوذ منها، فالقرآن لم يأت لهدم كل شيء، بل لتصحيح الخطأ وإقرار الحق، فالصدق والشجاعة والكرم والحلم والرحمة والعزة كل هذه المعاني موجودة عند كفار مكة ومع هذا جاء الإسلام ولم يغير منها شيئاً، بل

---

(١) «المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن»، لمحمد باقر الحكيم (ص٤٣).

باركها وحث عليها، لذلك قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ»[1]. ولم يقل: لأنشئها.

إذن ليس من الضروري لكتاب هداية من هذا القبيل، أن يشجب كل الوضع الذي كانت الإنسانية عليه قبله حتى يثبت صحة نفسه، فمن الطبيعي أن يقر القرآن بعض الشرائع، سواء في الكتب السابقة السماوية، أو في عادات الناس وأعرافهم، وأما الخطأ فإنه لا يقره[2]، وقد نص القرآن على هذا المعنى في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس: ٣٧].

٩ ـ (كيف يمكن اعتبار التوراة والإنجيل من أهم مصادر القرآن، مع أن القرآن خالفهما في كثير من الأشياء؛ ففي بعض الأحداث التاريخية نجد القرآن يذكرها بدقة متناهية، ويتمسك بها بإصرار، في الوقت الذي كان بإمكانه أن يتجاهل بعضها، على الأقل تفادياً للاصطدام بالتوراة والإنجيل)[3].

(ففي قصة موسى يشير القرآن إلى أن التي كفلت موسى هي امرأة فرعون، مع أن سفر الخروج يؤكد أنها كانت ابنته، كما أن القرآن يذكر غرق فرعون بشكل دقيق، لا يتجاهل حتى مسألة نجاة بدن فرعون من الغرق مع موته وهلاكه، في الوقت الذي نجد التوراة تشير إلى غرق

---

(١) أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة (٨٧٢٩)، ورواه الإمام مالك في الموطأ بلاغاً من غير إسناد، كتاب الجامع، باب ما جاء في حسن الخلق بلفظ: (بعثت لأتمم حسن الخلق)، وأخرجه البزار بلفظ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). انظر: «فتح الباري» (٦/ ٦٦٥).

(٢) «المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن»، للحكيم (ص٦١).

(٣) «المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن» (ص٤٦).

فرعون بشكل مبهم. ويتكرر نفس الموقف في قضية العجل؛ حيث تذكر التوراة أن الذي صنعه هو هارون. وفي قصة ولادة مريم للمسيح عليه السلام وغيرها من القضايا)[1].

١٠ ـ من المعلوم أن في القرآن ما لا وجود له في كتب اليهود والنصارى، مثل: قصة هود وصالح وشعيب، فكيف أتى بها النبي ﷺ؟[2].

١١ ـ الاقتباس عملية فكرية لها ثلاثة أركانٍ: المُقتَبِس، والمقتَبَس منه، والمادة المقتبسة. والمقتبس له طريقتان في الاقتباس: إما أن يقتبس اللفظ والمعنى، أو المعنى فقط، والمقتبس في عملية الاقتباس أسير المقتبس منه ـ قطعاً ـ ودائر في فلكه؛ إذ لا طريق له إلى معرفة ما اقتبس إلا ما ذكره المقتبس منه، فهو أصل، والمقتبس فرع لا محالة.

وعلى هذا فإن المقتبس لا بد له ـ وهو يزاول عملية الاقتباس ـ أن يأخذ الفكرة كلها، ويمتنع على المقتبس أن يزيد في الفكرة المقتبسة أية زيادة غير موجودة في الأصل؛ لأننا قلنا: إن المقتبس لا طريق له لمعرفة ما اقتبس إلا ما ورد عند المقتبس منه، فكيف يزيد على الفكرة والحال أنه لا صلة له بمصادرها الأولى إلا عن طريق المقتبس منه؟!

إذا جرى الاقتباس على هذا النهج صدقت دعوى من يقول: إن فلاناً اقتبس مني كذا، أما إذا تشابه ما كتبه اثنان، واختلف ما كتبه اللاحق عما كتبه السابق مثل:

---

(١) المرجع السابق (ص٤٧).

(٢) انظر: «الوحي القرآني من المنظور الاستشراقي ونقده»، لماضي (ص١٤٨)، و«الجواب الصحيح» لابن تيمية (٣/ ٢٥)، (٤/ ٥٧).

أ ـ أن تكون الفكرة عند الثاني أبسط وأحكم ووجدنا فيها ما لم نجده عند الأول.

ب ـ أو أن يصحح الثاني أخطاء وردت عند الأول، أو يعرض الوقائع عرضاً يختلف عن سابقه.

في هذه الحال لا تصدق دعوى من يقول: إن فلاناً قد اقتبس مني كذا. ورد هذه الدعوى مقبول من المدعى عليه؛ لأن المقتبس (اتهاماً) لما لم يَدُرْ في فلك المقتبس منه (فرضاً)، بل زاد عليه وخالفه فيما ذكر من وقائع، فإن معنى ذلك أن الثاني تخطى ما كتبه الأول حتى وصل إلى مصدر الوقائع نفسها واستقى منها ما استقى. فهو إذن مؤسس حقائق وليس مقتبساً، وهذا الواقع منطبق على القرآن، فهو يعرض الحقائق عرضاً يختلف عن عرض الكتابين السابقين (التوراة والإنجيل)، ويضيف عليهما جديداً، ويصحح أخطاء فيهما، وينفرد بذكر مادةٍ خاصةٍ به... كما تقدم التمثيل لذلك[1].

١٢ ـ وإذا كان النبي ﷺ أخذ من النصارى الذين خالطهم؛ من أمثال سلمان وصهيب وورقة، فلِمَ لم يفضحوه عندما سبَّ النصارى وكفرهم في كتابه في عدة آيات، حتى إن سورة المائدة، وهي من آخر السور نزولاً، كانت من أكثر السور تكفيراً للنصارى[2]؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ...﴾ [المائدة: ١٧]، ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

١٣ ـ من تناقضهم: زعمهم أن النبي ﷺ أخذ القرآن من سلمان وصهيب النصرانيين وابن سلام اليهودي وغيرهم ممن أسلم من أهل

---

(١) «حقائق الإسلام»: (ص١٣٩، ١٤٠). بتصرف يسير.

(٢) «الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده»، لماضي (ص١٤٨).

الكتاب[1]، وحقيقة الأمر أن إسلام هؤلاء حجة عليهم، إذ لو كان النبي ﷺ أخذ القرآن والشريعة من أهل الكتاب، فلماذا يتركون الأصل ويذهبون إلى الفرع؟

١٤ ـ إذا كان النبي ﷺ أخذ دينه من اليهود والنصارى (والقرآن نسخة عربية من الكتب السماوية السابقة المنزلة على الأنبياء السابقين ومقتبس منها، والقرآن كتاب توراتي إنجيلي في موضوعه ومصادره وقصصه وجدله)، كما يقول الخوري الحداد، فلماذا إذن هذه الحرب الشعواء عليه؟ ولماذا هذا الطعن في كتاب مأخوذ من الإنجيل والتوراة؟ أليس حقيقة هذا الأمر أنه طعن في الأصل المأخوذ منه؟

أم أن هؤلاء الطاعنين علموا في قراره أنفسهم أنه كتاب عظيم منزل من الله تعالى، وأنه ناسخ للشرائع السابقة؛ فهالهم هذا الأمر وحاولوا تنفير الناس منه بأي طريق، فأخذوا يتكلمون بأي كلام، لا لشيء إلا بغضاً لهذا الكتاب، فجرفهم الحماس حتى قالوا كلاماً طعنوا به في التوراة والإنجيل ـ التي يدينون بها ـ وهم لا يشعرون.

١٥ ـ لقد شهد المنصفون من المستشرقين بضد ذلك:

يقول المستشرق الإنجليزي لايتنر[2]: (بقدر ما أعرف من دِينَي اليهود والنصارى، أقول: بأن ما علمه محمد ليس اقتباساً، بل قد أوحى إليه ربه، ولا ريب بذلك)[3].

ويقول هنري دي كاستري[4]: (ثبت إذن أن محمداً لم يقرأ كتاباً

---

(١) انظر: «القرآن والمستشرقون»، لنقرة، (ص٣٥).

(٢) تقدمت ترجمته (ص١٩٣).

(٣) «الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده»، لماضي (ص١٤٩).

(٤) مقدم في الجيش الفرنسي، ولد سنة ١٨٥٠م، وتوفي ١٩٢٧م، قضى في=

مقدساً، ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه)[1].

١٦ ـ وأما قول طه حسين: (وأما القِسْم المدني فهو هادئ لين وديع مسالم، يقابل السوء بالحسن، ويناقش الخصوم بالحجة الهادئة والبرهان الساكن الرزين فيقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ويهجر مع أعدائه الترهيب، والقسوة، ويسلك سبيل الترغيب والتطميع في المكافأة).

فنقول: إن غيرك ممن يوافقك أو توافقهم من النصارى المبشرين والمستشرقين يخالفونك هنا، فهذا الخوري الحداد يقول: (حين استقر محمد في المدينة انقلب انقلاباً شاملاً كاملاً، انقلاباً في الدعوة، فقد دخلت السياسة الدين، وانقلاباً في الداعية الذي أصبح رجل دولة وحرب، وانقلاباً في طريق الدعوة لقتال المشركين إلى أن يؤمنوا، والكتابيين حتى يخضعوا للجزية، انقلاباً في الأسلوب؛ حيث كان بالحكمة والموعظة الحسنة، فصار بالقتال والجهاد)[2]، فمن نصدق؟ والحق أن أسلوب القرآن واحد، ولكنه يشتد مع الكافرين، ويتلطف مع المؤمنين[3].

١٧ ـ وأما الحداد فقد حشى كتبه بالتناقض المضحك، ونقول له:

= الشمال الإفريقي ردحاً من الزمن. من آثاره: «مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب»، و«الأشراف السعديون»، و«رحلة هولندي إلى المغرب»، وغيرها. انظر: «قالوا عن الإسلام» (ص٦١).

(١) «الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده»، لماضي (ص١٤٩).

(٢) انظر: «القرآن والمبشرون»، لدروزة (ص٩٥) بتصرف يسير.

(٣) وانظر كتاب: «نقض مطاعن في القرآن الكريم»، لمحمد عرفة، فقد رد على هذه الفقرة رداً مطولاً مفصلاً، مبيناً فيها أن القرآن يتميز بوحدة الأسلوب في المكي والمدني، من (ص١٥ ـ ٥٦)، و«المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن»، لمحمد باقر الحكيم، (من ص٦٤ ـ ٧٠).

﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [الإسراء: ١٤]. فإليك هذه الطامة: إنه يقرر في كتابه بكل وضوح وقوة أن القرآن (نسخة عربية من الكتب السماوية السابقة المنزلة على الأنبياء السابقين ومقتبس منها، والقرآن كتاب توراتي إنجيلي في موضوعه ومصادره وقصصه وجدله)، ويدلل على هذا بأن النبي ﷺ أخذه من ورقة، وغير ذلك من الأدلة الكثيرة التي ساقها.

ويقول: (إن ذلك حجة قاطعة على أن بيئة النبي والقرآن كانت كتابية من كل نواحيها، وأن ثقافة محمد والقرآن كتابية في كل مظاهرها، وذلك بمعزل عن الوحي والتنزيل).

ثم يعقد فصلاً بعنوان (هل للقرآن من مصدر) فيجيب: (المصدر الأول للقرآن هو الله؛ وهذه قضية إيمانية لا تُمس)[1]، وإن تعجب فعجب تناقضه واضطرابه وحيرته، وهذه كافية في نسف كل ما قال.

ولكن مع هذا سنكمل قراءة نص كلامه، ومع قلَّته إلا أنه حوى من المغالطات الشيء الكثير، فهو تارة يكذب كذباً صريحاً، مثل قوله: (وهو ـ يعني ورقة ـ الذي زوجه ابنة عمه)، مع أن كتب السيرة تذكر أن خديجة هي التي كانت راغبة في النبي ﷺ، وأرسلت له تعرض في زواجها، وأن الذي خطبها له هو عمه أبو طالب من عمها عمرو بن أسد[2]، وكيف لورقة أن يزوجها ـ وهو ابن عمها ـ مع وجود أعمامها الذين هم أقرب منه وأحق في الولاية؟!.

---

(١) انظر: «القرآن والمستشرقون»، لنقرة (ص٣٩)، نقلاً عن كتاب الحداد «القرآن والكتاب» (ص٢٩٨).

(٢) انظر: فصل من الذي زوج خديجة، من كتاب «الروض الأنف شرح السيرة النبوية» لابن هشام، للإمام السهيلي (٢/٢٣٨)، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، الناشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٩٣م.

ـ ويقول: (وقد عاش محمد في جواره خمسة عشر عاماً قبل مبعثه)؛

لم تذكر كتب السيرة أن النبي ﷺ التقى بورقة إلا تلك المرة، فكيف يزعم أنه لازمه خمس عشرة سنة؟

ثم لو كان النبي ﷺ يعرفه هذه المعرفة لما احتاج إلى خديجة لتوصله إليه.

ويكفي في الرد على هذا الكلام أنها دعوى لا دليل عليها.

ـ (وينص صحيح البخاري على أن ورقة هو الذي ثَبَّتَ محمداً في دعوته وبعثته، لما عاد خائفاً من غار حراء).

وانظر إلى هذه المكابرة، فقد نص الحديث أن التي ثبتته هي خديجة رضي الله عنها وأما ورقة فقد خوفه فقال: (ليتني فيها جَذَعاً، يا ليتني أكونُ فيها حيًّا حين يخرج قومك، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟»، قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إلا أُوذِيَ. وفي رواية: عُودِيَ).

وإليك نص الحديث كما في «الصحيحين»:

عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ فَكَانَ يَلْحَقُ بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ ـ قَالَ: وَالتَّحَنُّثُ التَّعَبُّدُ ـ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ بِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ.

فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ». قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي». فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى

بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي. فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١ ـ ٥]».

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي». فَزَمَّلُوهُ، حَتى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ قَالَ لِخَدِيجَةَ: «أَيْ خَدِيجَةُ مَا لِي؟! لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». فَأَخْبرهَا الْخَبَرَ، قَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً، فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتُقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ ـ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ ـ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: يَا بْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ.

قَالَ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعاً لَيْتَنِي أَكُوْن حَيًّا حين يخرجك قومك. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟» قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا أُوذِيَ ـ وفي رواية: عودي، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ حَيًّا أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً.

ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[1].

---

(١) متفق عليه. البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى=

وإذا كان ورقة يعرف حال النبي ﷺ، وأنه لازمه خمس عشرة سنة، وأخذ منه القرآن، فلماذا يقول: (هذا الناموس ـ يعني الوحي ـ الذي أنزل على موسى) ويقول: (وإن يدركني يومك حياً أنصرك نصراً مؤزراً) أليس في هذا تصديق له وإثبات صحة نبوته، أم أن الحدادي يأخذ من الحديث ما يوافق هواه ويعرض عن غيره.

ـ وقوله: (ونجد في المدينة في معية النبيِّ حاشية مسيحية ويهودية قد أسلمت أو سايرت الإسلام، نجد بلالاً الحبشي مؤذن النبي، وصهيباً الرومي المسيحي الثري، وسلمان الفارسي المسيحي الأصل، وعبد الله بن سلام اليهودي الوحيد الذي أسلم في المدينة مع كعب الأحبار):

فانظر كم حوى هذا النص من المغالطات، فصهيب لم يكن من الأثرياء، بل كان فقيراً معدماً مستضعفاً[1]، وسلمان لم يكن مسيحي الأصل، بل كان مجوسياً ثم تنصَّر، ثم أسلم بعد وصيّة الراهب النصراني له بذلك[2]، وعبد الله بن سلام لم يكن الوحيد الذي أسلم من اليهود، فهناك الغلام اليهودي جار النبي ﷺ الذي عاده من مرضه فأسلم،

= رسول الله ﷺ رقم (٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله رقم (١٦٠).

(١) انظر ترجمته في: «الإصابة» في «تمييز الصحابة» لابن حجر (٣/ ٤٤٩)، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
نعم ذكروا أنه ترك ماله ليهاجر، وأن أهل مكة لم يسمحوا له حتى ترك كل ماله، ولكن لم يذكروا أن هذا المال كان كثيراً بحيث كان من الأثرياء، وحتى لو كان فلماذا ترك هذا الثراء وتبع النبي ﷺ، ألا يدل هذا على أن صهيباً عرف صحة نبوة محمد ﷺ؟.

(٢) انظر حديثه الطويل في قصة إسلامه في مسند الإمام أحمد رقم (٢٣٢٢٥)، وإسناده صحيح.



وصفية بنت حيي بن أخطب وغيرهم[1]، وكعب الأحبار لم يدرك النبي ﷺ، بل هو من التابعين[2].

فيا الله؛ كيف يلقي الهوى صاحبه في مهاوٍ ومزالق.

١٨ ـ وأما زعمهم أن من مصادر القرآن شعر أمية بن أبي الصلت؛ (فإن الغريب في الأمر أن المستشرقين يشكون في صحة السيرة النبوية نفسها، ويتجاوز بعضهم الشك إلى الجحود، فلا يرونها مصدراً تاريخياً صحيحاً، فهم يقفون هذا الموقف العلمي من السيرة ويغلون في هذا الموقف، ولكنهم يقفون من أمية وشعره موقف المتيقن المطمئن، مع أن أخبار أمية ليست أدنى إلى الصدق ولا أبلغ في الصحة من السيرة، فما سرّ هذا الاطمئنان الغريب إلى نحو هذه الأخبار دون الأخرى)[3].

الأمر الآخر كذبهم في هذه الدعوى؛ فشعر أمية بن أبي الصلت، وشعر امرئ القيس محفوظ معروف لا يحتاج الأمر إلى كثير عناء لإثبات بطلان دعواهم؛ يقول العقاد: (وأيسر ما يبدو من جهل هؤلاء المخاطبين في أمر اللغة قبل الإسلام، وعلاقتها بلغة القرآن الكريم، أنهم يحسبون أن العلماء المسلمين يجدون في بحث تلك الأبيات وصباً واصباً لينكروا

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٧/ ٣٢٢)، في شرح الحديث المتفق عليه «لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي يهود» حيث قال: «الْمُرَاد عَشَرَة مُخْتَصَّةً وَإِلَّا فَقَدْ آمَنَ بِهِ أَكْثَر مِنْ عَشَرَةَ». وَوَقَعَ عِنْد ابْن حِبَّان قِصَّة إِسْلَام جَمَاعَة مِنْ الْأَحْبَار كَزَيْد بْن سَعَفَةَ مُطَوَّلاً. وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ أَنَّ يَهُودِيًّا سَمِعَ النَّبِي ﷺ قرأ سُورَة يُوسُف فَجَاءَ وَمَعَهُ نَفَر مِنَ الْيَهُود فَأَسْلَمُوا كُلّهمْ). انتهى بتصرف واختصار.

(٢) انظر كتاب «الأعلام» للزركلي ٥/ ٢٨٨.

(٣) «القرآن والمستشرقون»، لنقرة (ص٣٣).

نسبتها إلى الجاهلية، ولا يلهمهم الذوق الأدبي أن نظرة واحدة كافية لليقين بإدحاض نسبتها إلى امرئ القيس أو غيره من شعراء الجاهلية)[1].

ولقد بحثت في ديوان امرئ القيس فلم أجد هذه الأبيات.

وأما أمية بن أبي الصلت، فإن بعض العلماء نسبوا هذه الأبيات له، ولكن أمية أدرك الإسلام ورأى الرسول ﷺ، وسمع القرآن من النبي ﷺ في مكة، وانصرف عنه، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه، فقال: أشهد أنه حق، قالوا: هل تتبعه؟ قال: حتى أنظر في أمره. وخرج إلى الشام وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وحدثت وقعة بدر، وعاد أمية من الشام يريد الإسلام، فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له، فامتنع وأقام في الطائف حتى مات[2]، فهو الذي تأثر بالقرآن ولم يتأثر القرآن به، وشهد على صحة القرآن.

هذا وقد ذكر في ترجمته أنه كان مطلعاً على الكتب القديمة، ويلبس المسوح تعبداً، وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر، ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية[3]؛ فهو إنما أخذ معنى هذا الشعر من الكتب السماوية السابقة التي كان يطلع عليها.

ولو سلمنا جدلاً بأن النبي ﷺ أخذ هذا الموضع من أمية، فما هو المانع أن يجري الله الحق على ألسنة بعض الناس، وينزل القرآن موافقاً لما قالوا، كما حصل هذا مع عمر رضي الله عنه كثيراً.

---

(١) «إسلاميات»، لعباس محمود العقاد (ص٥١ ـ ٥٣)، دار الشعب، القاهرة، وانظر كتاب قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية «نقد مطاعن، ورد شبهات»، د. فضل حسن عباس، (ص٤٦)، دار البشير، الأردن، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

(٢) «الأعلام» للزركلي (٢/ ٢٣).

(٣) المرجع السابق.

فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاثٍ؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وَآيَةُ الْحِجَابِ؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ. وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥] فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ(١).

وقد قررنا أن القرآن جاء ليقر الحق ويصحح الخطأ.

ثم نقول لهم: إن العرب ـ الذين بعث فيهم النبي ﷺ ـ كانوا أعرف الناس بالشعر، وأحرص الناس على الطعن في القرآن؛ ومع هذا لم يورد أحد منهم هذا الطعن الساذج.

المطلب الثالث

جواز نقده ومخالفته، والرد عليهم(٢)

أولاً: هذا لون آخر من ألوان المواجهة البغيضة ضد القرآن، وهو

---

(١) متفق عليه. البخاري: كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة ومن لم ير الإعادة، رقم (٣٩٤)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر، رقم (٢٣٩٩).

(٢) وفي مجلة البيان ـ العدد ١٥٩، لشهر فبراير/ شباط ٢٠٠١ ـ مقال بعنوان الليبرالية العربية وهدم النص والسقوط في التبعية لمحمود سلطان، أصَّل هذا المنهج وعرف بأشهر رموزه؛ أمثال شبلي شميل وفرح أنطون وسلامة موسى وأحمد لطفي السيد وإسماعيل مظهر وأدونيس وفرج فودة وهشام الترابي، وعلي عبد الرازق في كتابه الإسلام وأصول الحكم وطه حسين.

ليس موجهاً ضد النص القرآني في مصدره الإلهي، ولكنه يستهدف أثر القرآن في الحركة الفكرية والتقدم العلمي.

فهو قد يقر بأن القرآن من عند الله، ولكن هذا الأمر لا يجعله يسلم من النقد والمخالفة، وحقيقة هذا الطعن أنه إنكار لقدسيته، وأنه من عند الله تعالى ولكن بأسلوب ذكي؛ لأنه يعلم أنه لو صرح بإنكار القرآن وأنه ليس من عند الله تعالى، فسوف يلقى طوفاناً من المواجهة والتهم التي قد تصل إلى تكفيره؛ فلجأ إلى هذه الشبهة. ومؤداها هو نفس مؤدى إنكار القرآن، فأهم قضية عند المسلمين ـ وهي التي تؤرق الكافرين وأذنابهم ـ أن القرآن قدسي لا يقبل النقد، وحاكم واجب الاتباع.

و(يتزعم هذه النزعة ضد الإسلام: الفيلسوفان الألمانيان: تنمان المتوفى ١٨٢٩م، وبروكر المتوفى ١٧٧٠م، والفيلسوف الفرنسي فيكتور كوزان المتوفى ١٩٤٧م. ويرى هؤلاء أن أهم عوامل الركود في العقلية العربية وضآلة الفكر الإسلامي ترجع إلى القرآن أولاً، فهو كتاب المسلمين المقدس الذي يعوق النظر العقلي الحر)[1].

وبما أنه يعوق النظر العقلي الحر فيجب هجره وعدم التعويل عليه أو التحاكم له.

ويقول طه حسين: (لا شك أن الباحث الناقد، والمفكر الجريء لا يفرق في نقده بين القرآن وبين أي كتاب أدبي آخر)[2].

---

(١) «القرآن الكريم في مواجهة الماديين الملحدين»، للدكتور أحمد الشاعر (ص٩٦ ـ ٩٧)، وانظر: «التمهيد في تاريخ الفلسفة» للشيخ مصطفى عبد الرازق (ص٥).

(٢) «نقض مطاعن في القرآن الكريم»، لمحمد أحمد عرفة، (ص٤).

ويقول: (إن الدين الإسلامي يجب أن يعلم فقط كجزء من التاريخ القومي لا كدين إلهي منزل بين الشرائع للبشر، فالقوانين الدينية لم تعد تصلح في الحضارة الحديثة كأساس للأخلاق والأحكام، ولذلك لا يجوز أن يبقى الإسلام في صميم الحياة السياسية، أو أن يتخذ كمنطلق لتجديد الأمة، فالأمة تتجدد بمعزل عن الدين)[1].

ويقول نصر حامد أبو زيد: (آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر، لا من سلطة النصوص وحدها، بل من كل ما يعوق مسيرة الإنسان في عالمنا، علينا أن نقوم بهذا الآن وفوراً قبل أن يجرفنا الطوفان)[2].

وكتبُ نصر أبو زيد ومحمد أركون الجزائري[3] تدور حول هذه القضية وأن القرآن لو سلمنا بسلامة نصه وأنه من الله؛ فإن مفهومه ليس إلهياً ولا مقدساً، بل هو إنساني[4].

ولنضرب بعض الأمثلة لكلامهم في هذا الباب:

يقول نصر أبو زيد: (إن القرآن نص ديني ثابت من حيث منطوقه، لكنه من حيث مفهومه يتعرض له العقل الإنساني ويصبح مفهوماً يفقد

---

(١) «طه حسين حياته وفكره» لأنور الجندي، (ص١٤٤)، نقلاً عن كتاب مستقبل الثقافة في مصر.

(٢) انظر كتابه: «الإمام الشافعي وتأسيس الأيدلوجية الوسطية»، (ص١١٢)، نشرته شركة سينا للنشر سنة: ١٩٩١م.

(٣) انظر كتاب: تهافت الاستشراق العربي، بحث نقدي في فكر وإنتاج محمد أركون، لمحمد بريش؛ رئيس تحرير مجلة الهدى المغربية، وهي عبارة عن مقالات له في المجلة في الأعداد (١٣ ـ ١٩).

(٤) انظر كتبه: «الإمام الشافعي وتأسيس الأيدلوجية الوسطية»، «ونقد الخطاب الديني»، و«مفهوم النص»، وغيره من الكتب والمقالات.

صفة الثبات، ومن الضروري هنا أن نؤكد أن حالة النص الخام المقدس حالة ميتافيزيقية[1] لا ندري عنها شيئاً، والنص منذ لحظة نزوله الأولى، تحول من كونه (نصاً إلهياً) وصار فهماً (نصاً إنسانياً)؛ لأنه تحول من التنزيل إلى التأويل، إن فهم النبي ﷺ[2] للنص يمثل أولى مراحل حركة النص في تفاعله بالعقل البشري، ولا التفات لمزاعم الخطاب الديني بمطابقة فهم الرسول للدلالة الذاتية للنص، على فرض وجود مثل هذه الدلالة الذاتية...)[3].

ويقول عن القرآن: (كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الخالد دون نظر إلى اعتبار ديني)[4].

ويقول: (إن النص في حقيقته وجوهره منتج ثقافي)[5]. ويقول: (منذ نزل القرآن في كلمات عربية أصبح بشرياً يجوز الطعن فيه وعليه، وتجوز مناقشته ويجوز فيه ما يجوز على الكلام البشري من خطأ وصواب)[6].

---

(١) يعني الأمور الغيبية غير المحسوسة، وهذه العبارات يكثر منها أبو زيد في كتبه ـ مع أن أكثر الناس لا يفهمها ـ لإعطاء القارئ انطباعاً بعمق المؤلف، ومدى اتساع علمه وثقافته، فيكسب نفسه هالة من قوة الطرح التي تنطلي على ضعاف الشخصيات والمتأثرين به، وهذا من أساليب الإرهاب الفكري الخفي، فهو يستطيع أن يقول حالة غيبية لا ندري عنها شيئاً، وتكون أسهل في الفهم، ولكنه يريد أن يتعالم أمام القارئ.

(٢) لم يذكر في كتابه الصلاة على النبي ﷺ بل هي مني.

(٣) «نقد الخطاب الديني» (ص١٢٦)، مطبعة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة.

(٤) «مفهوم النص»، لنصر أبو زيد (ص١٢).

(٥) المرجع السابق (ص٢٧).

(٦) انظر: قصة أبو زيد وانحسار العلمانية في جامعة القاهرة، د. عبد الصبور شاهين (ص٨٦).

وهذا هو أساس المذهب العلماني الذي ينطلق من مبدأ عزل الدين عن السياسة، وينتهي بعزل الدين عن الحياة[1].

ثانياً: الرد عليهم:

يحسن في بداية هذا الرد أن أقرر أن ثمة فِرَقاً كثيرة من الفرق المنحرفة، فتحت هذا الباب للطاعنين؛ منها المعتزلة في دعواهم تقديم العقل على النقل[2]، ومنها الصوفية: في دعواهم أن للقرآن معنى ظاهراً وباطناً، وأن الباطن لا يفهمه إلا كبار مشايخ الصوفية، وأن الكشف والرؤى والمنامات أهم مصدار التلقي عندهم[3]، ومنها: الشيعة الذين يقدمون قول الأئمة على القرآن[4].

لذلك كان من أهمِّ ما يميز عقيدة أهل السنة والجماعة ما يسمى بمنهج التلقي[5]، فهم يعتمدون في تلقي الأحكام الشرعية على القرآن

---

(١) انظر: كتاب العلمانية، نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، مصر، مكتب الطيب، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (ص٥٦)، بيروت، دار المعرفة، الطبعة السابعة، ١٩٩٨م، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/ ٧٣، نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

(٣) انظر كتاب: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، القاهرة، دار الحرمين، الطبعة الرابعة، ١٩٨٩م.

(٤) انظر كتاب: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، عرض ونقد، د. ناصر بن عبد الله القفاري، القاهرة، دار الحرمين للطباعة، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

(٥) انظر: «رسائل في العقيدة» لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص١٥)، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، والموسوعة الميسرة (١/ ٤٠)، وغيره من كتب العقيدة وأصول الفقه.

والسنة والإجماع والقياس، وغيرها من الأدلة التي يذكرها كل من تكلم في علم أصول الفقه، ويعتمدون في الفهم على فهم السلف الصالح للنصوص.

والرد على هؤلاء وأولئك على النحو التالي:

١ ـ إذا ثبت أن القرآن ليس من عند النبي ﷺ، وأنه من الله تعالى بكل ما فيه من كلمات وحروف ـ كما أثبتنا هذا في المباحث السابقة ـ فهو إذن مقدس لا يمكن الاعتراض عليه ولا نقده، فقد أمر الله الناس باتباع الشرع، والأمر يدل على الوجوب؛ فقال سبحانه: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يونس: ١٠٩]، فكيف نخالف أمر الله تعالى بأن نتبع غير الوحي؟.

٢ ـ من أعظم معاني العبادة الرضا به حَكَماً سبحانه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، فالدين القيم أن تجعل تحاكمك لله، والتحليل والتحريم والتشريع من خصائص الربوبية، ومن جعلها لغير الله فقد اتخذه ندًّا له سبحانه: ﴿... إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، والحصر يدل على انفراد الله تعالى بالحكم.

وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].

وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ اطْرَح عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ». وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾. قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئاً

اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئاً حَرَّمُوهُ»[1]؛ يعني أنهم لم يتخذوهم أرباباً لأنهم عبدوهم، بل لكونهم أطاعوهم في التلحيل والتحريم. وقال سبحانه: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، فسمى التحاكم لغيره شِركاً[2].

٣ ـ وقال سبحانه: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ [الشورى: ١٠]، وكلمة (شيء) نكرة في سياق النفي، وهذا من صيغ العموم؛ فكل شيء نختلف فيه فالحكم فيه لله سبحانه. ثم أكد على إرادة العموم بـ (من) التي تفيد التأكيد[3].

٤ ـ والله سبحانه لا يحكم ولا يقضي إلا بالحق، فمن رد حكم الله وشرعه فإنما رد الحق؛ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ...﴾ [يونس: ٣٢].

قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ...﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال سبحانه: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ...﴾ [الإسراء: ١٠٥]، فهو متلبس بلبوس الحق على كل أحواله[4].

٥ ـ إن الله تعالى لا يظلم ولا يحيف في الحكم[5]: ﴿أَمْ يَخَافُونَ

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب التفسير: باب سورة التوبة، رقم (٣٠٩٥)، وحسنه الألباني صحيح الترمذي (٣/ ٥٦) رقم (٢٤٧١).
(٢) انظر: «أضواء البيان» للشنقيطي (٣/ ٩١)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٨٨م.
(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (١٦/ ٧).
(٤) انظر: «تفسير القاسمي» (٤/ ٦٣٦).
(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٩٨).

أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون﴾ [النور: ٥٠]، فلماذا إذاً لا نأخذ حكمه؟.

٦ ـ وقال تعالى: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين ۝٨﴾ [التين: ٨] ﴿وهو خير الحاكمين﴾ [الأعراف: ٨٧]، ﴿... ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ [المائدة: ٥٠].

فإن كان الله ﷻ أحسن الحاكمين وخيرهم وأحكمهم، فكيف يعرض المسلم عنه إلى غيره؟ لذلك قال النبي ﷺ كما ذكر الله تعالى عنه: ﴿أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ۝١١٤﴾ [الأنعام: ١١٤]، يعني: وأهل الكتاب يشهدون بفضله ومنزلته وأنه حق.

٧ ـ إن اتباع الرسالة هو ينبوع السعادة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إنّ السعادة والهدى في متابعة الرسول، وإنّ الضلال والشقاء في مخالفته. وإنّ كلَّ خير في الوجود ـ إما عام وإما خاص ـ فمنشأه من جهة الرسول. وإنّ كلَّ شرّ في العالم مختص بالعبد فسببه مخالفة الرسول أو الجهل بما جاء به، وإن سعادة العباد في معاشهم ومعادهم باتباع الرسالة، والرسالة ضرورية للعباد لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور، والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة[1].

---

(١) يشير ابن تيمية إلى ما أخرجه الترمذي (في كتاب الزهد، باب منه، رقم ٢٣٢٢)، وابن ماجه (كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، رقم (٤١١٢)، عن أبي هريرة مرفوعاً: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إلا ذِكْرَ اللهِ وَمَا وَالاه أَوْ عَالِماً أَوْ مُتَعَلِّماً)، وهو حسن، حسنه الترمذي والألباني في صحيح سنن الترمذي=

وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها، فهو في ظلمة وهو من الأموات، قال الله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فهذا وصف المؤمن، كان ميتاً في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب (في الظلمات).

وسمى الله تعالى رسالته روحاً، والروح إذا عدم، فقد فقدت الحياة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢] فذكر هنا الأصلين وهما الروح والنور، فالروح الحياة، والنور النور.

وحاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب، فإن آخر ما يقدَّر بعدم الطبيب موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتاً لا ترجى الحياة معه أبداً، أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبداً، فلا فلاح إلا باتباع الرسول، فإن الله خص بالفلاح أتباعه المؤمنين وأنصاره، كما قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، أي لا مفلح إلا هم، فعلم بذلك أن الهدى والفلاح دائر حول ربع الرسالة وجوداً وعدماً، وهذا مما اتفقت عليه الكتب المنزلة من السماء، وبعث به جميع الرسل.

ولهذا قص الله علينا أخبار الأمم المكذبة للرسل، وما صارت إليه عاقبتهم، وأبقى آثارهم وديارهم عبرة لمن بعدهم وموعظة،

= (٢/٢٦٩). وحسنه الأرنؤوط في جامع الأصول (٤/٥٠٥).

وكذلك مسخ من مسخ قردة وخنازير لمخالفتهم لأنبيائهم، وكذلك من خسف به وأرسل عليه الحجارة من السماء، وأغرقه في اليم، وأرسل عليه الصيحة وأخذه بأنواع العقوبات، وإنما ذلك بسبب مخالفتهم للرسل وإعراضهم عما جاءوا به واتخاذهم أولياء من دونه، وهذه سنته سبحانه فيمن خالف رسله وأعرض عما جاءوا به، واتبع غير سبيلهم، ولهذا أبقى الله سبحانه آثار المكذبين لنعتبر بها ونتعظ؛ لئلا نفعل كما فعلوا فيصيبنا ما أصابهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [العنكبوت: ٣٤ ـ ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الصافات: ١٣٦ ـ ١٣٨]؛ أي: تمرون عليهم نهاراً بالصباح وبالليل.

والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة؛ فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة؛ فإن الإنسان مضطر إلى الشرع، فإنه بين حركتين حركة يجلب بها ما ينفعه، وحركة يدفع بها ما يضره، والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره، والشرع نور الله في أرضه، وعدله بين عباده وحصنه الذي مَنْ دخَله كان آمناً.

وليس المراد بالشرع التمييز بين الضار والنافع بالحس، فإن ذلك يحصل للحيوانات العجم، فإن الحمار والجمل يميز بين الشعير والتراب، بل التمييز بين الأفعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده، كنفع الإيمان، والتوحيد، والعدل، والبر، والتصدق، والإحسان، والأمانة، والعفة، والشجاعة، والحلم، والصبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى

المماليك، والجار، وأداء الحقوق، وإخلاص العمل لله، والتوكل عليه، والاستعانة به، والرضا بمواقع القدر به، والتسليم لحكمه، والانقياد لأمره، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، وخشيته في الغيب والشهادة، والتقوى إليه بأداء فرائضه واجتناب محارمه، واحتساب الثواب عنده، وتصديقه وتصديق رسله في كل ما أخبروا به، وطاعته في كل ما أمروا به مما هو نفع وصلاح للعبد في دنياه وآخرته وفي ضد ذلك شقاوته ومضرته في دنياه وآخرته.

ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد، فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف مِنَّة عليهم، أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبين لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم، بل أشر حالاً منها.

فمَنْ قَبِلَ رسالة الله واستقام عليها؛ فهو من خير البرية؛ ومَنْ رَدَّها وخرج عنها؛ فهو من شر البرية، وأسوأ حالاً من الكلب والخنزير والحيوان البهيم. وفي «الصحيح» من حديث أبي موسى ﵁ عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى والعِلْم، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضاً فَكَانَتْ مِنهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتْ الماءَ فأَنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكان منها أجادِبُ أَمْسَكَتِ الماءَ فَنَفَعَ اللهُ بها النَّاسَ، فشربوا منها وانتفعوا وزرعوا، وأصابَ طائفةً منها أخرى إنما هي قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً، فذلك مثل من فَقِهَ في دِينِ اللهِ تعالى ونَفَعَه ما بعثني اللهُ به، فعَلِمَ وعَلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يَقْبَل هُدَى الله الذي أُرْسِلْتُ به». متفق على صحته[1].

---

(١) متفق عليه. البخاري: كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، رقم (٧٧)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب ما بعث به النبي ﷺ. رقم (٤٢٣٢)).

ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسل موجودة فيهم، فإذا دَرَسَتْ آثار الرسل من الأرض، وانمحت بالكلية، خرب الله العالم العلوي والسفلي، وأقام القيامة، وليست حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر والرياح والمطر، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته، ولا كحاجة العين إلى ضوئها، والجسم إلى الطعام والشراب؛ بل أعظم من ذلك وأشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر بالبال، فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه في أمره ونهيه، وهم السفراء بينه وبين عباده، كان خاتمهم وسيدهم وأكرمهم على ربه محمد بن عبد الله، يقول: «يا أيها الناس إنما أنا رحمةٌ مهداة»[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقال صلوات الله وسلامه عليه: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»[2]، وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسل). اهـ[3].

٨ ـ لذلك كان من يعرض عن دين الله ويحكّم أيَّ شيءٍ آخر، فإنما هو متبع لهواه:

قال سبحانه: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠]؛ يعني لا أحد أضل ممن اتبع هواه.

وقال ﷻ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم

---

(١) أخرجه الدارمي عن أبي صالح مرسلاً (المقدمة: باب كيف كان أول شأن النبي ﷺ. رقم (١٥٠).

(٢) أخرجه مسلم عن عياض بن حمار: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم (٥١٠٩).

(٣) فتاوى ابن تيمية (١٩/ ٩٣ ـ ١٠١) بتصرف يسير.

بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٩ ـ ٥٠]، فكل حكم غير حكم الله تعالى، فهو حكم الجاهلية، وليس الحضارة والتقدم كما يزعم الطاعنون.

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧]، وهذا وعيد شديد للنبي ﷺ لو خالف كتاب الله؛ فما بالك بغيره.

٩ ـ بل هذا التولي عن دين الله يعدُّ من نواقض الإسلام، يقول تعالى:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، فنفى الله تعالى الإيمان عن من لم يُحَكِّم النبيَّ ﷺ، وأقسم على ذلك بأعظم قسم ـ أقسم بنفسه العلية ـ وأكد هذا بالنفي مرتين (لا... لا)، (وفي هذا الوعيد الشديد ما تقشعر له الجلود وترجف له الأفئدة فإنه أولاً أقسم سبحانه بنفسه مؤكداً لهذا القسم بحرف النفي بأنهم لا يؤمنون، فنفى عنهم الإيمان الذي هو رأس مال صالحي عباد الله، حتى تحصل لهم غاية هي تحكيم رسول الله ﷺ.

ثم لم يكتف سبحانه بذلك حتى قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾، فضم إلى التحكيم أمراً آخر هو عدم وجود حرج ـ أي حرج ـ في صدورهم، فلا يكون مجرد التحكيم والإذعان كافياً حتى

يكون من صميم القلب عن رضا واطمئنان، وانثلاج قلب، وطيب نفس. ثم لم يكتف بهذا كله بالضم إليه قوله: ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾، أي: يذعنوا وينقادوا ظاهراً وباطناً. ثم لم يكتف بذلك بل ضم إليه المصدر المؤكد فقال: ﴿تَسْلِيمًا﴾. فلا يثبت الإيمان لعبد حتى يقع منه هذا التحكيم، ولا يجد الحرج في صدره بما قضى عليه ويسلم لحكم الله وشرعه تسليماً لا يخالطه رد ولا تشوبه مخالفة)[1].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٤٧ ـ ٥٤].

١٠ ـ لذلك كله فلا يجوز لأحد كائناً من كان أن ينتقد كتاب الله

---

(١) فتح القدير للشوكاني (١/ ٥٧٣).

أو يخالف مقتضاه، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

نعم لا يجوز لأحد أن يعقب على أحكام الله، وذلك أن الانتقاد والتعقيب إنما يكون بسبب أمور؛ إما أن المعقب والمنتقد أعلم من المنتقَد، سواء كان أعلم على العموم أو بهذه المسألة بالذات التي انتقد فيها، أو لا يكون أعلم ولكن المنتقَد غفل عن نقطة معينة في حكمه جانب فيها الصواب، فينبهه المنتقد عليها.

وكل هذا منتفٍ بحق الله سبحانه، فلا أحد أعلم منه في كل الأمور جملة وتفصيلاً.

والله ﷻ لا تأخذه سنة ولا نسيان ولا غفلة: ﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه: ٥٢].

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

١١ ـ وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ . . .﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ٦٤].

إذن فالغاية من إنزال الكتب أن يُتحاكم إليها، والغاية من إرسال الرسل طاعتها، فمن لم يحقق هذه الغايات فهو لم يؤمن أصلاً بدين الإسلام، بل بكل الأديان، فما الدين إلا طاعة الله تعالى بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وما الإسلام إلا استسلام لله في تطبيق شرعه على نفسه ومجتمعه.

ـ **الرد التفصيلي:**

وأما زعم المستشرقين ـ تنمان وبروكر وفيكتور ـ أن القرآن يعوق النظر العقلي الحر، فهذا باطل لوجوه:

١ ـ القرآن أمر في كثير من الآيات بالنظر والتفكر والبحث[١]:

فقد أمرهم الله تعالى بالنظر إلى كل العلوم، فأمر بالنظر إلى عالم النبات في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقال سبحانه: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم: ٥٠].

وأمرهم بالنظر إلى علم الفلك في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١]، ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ [ق: ٦].

وفي علم الطب والتشريح قال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾ [الطارق: ٥].

وأمرهم بالنظر إلى علم التاريخ فقال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: ٢٠].

---

(١) انظر: «فهم القرآن ومعانيه»، للحارث المحاسبي (ص٢٦٦)، تحقيق حسين القوتلي، دار الكندي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ، و«حقائق الإسلام» (ص٤٠٠).

وفي علم الطبيعة والجغرافيا قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد: ٣].

وأثنى الله تعالى على المفكرين والمتأملين لهذا الكون فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩١].

وأمر بالتفكر فقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الروم: ٨]، وقال: ﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: ٤٦].

فالزعم أن القرآن يعوق النظر العقلي الحر هو غاية في المناقضة لصريح القرآن.

٢ ـ الذي يعوق أتباعه عن النظر العقلي الحر هو من كان يظن أن في كتابه شيئاً من الخطأ يتعارض مع العقل، أما والحال أن القرآن ليس فيه شيء من الخطأ أو الخلل فإنه أَمَرَ بل تحدى أن يجد الناس في القرآن شيئاً يخالف ما عليه النظر العقلي الحر: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقد ألف الإمام ابن تيمية رحمه الله كتاب (درء تعارض العقل والنقل)[١]، قرر فيه أنه لا يمكن أن يتعارض نقل صحيح مع عقل صريح، وأن الشرع لا يأتي بشيء تحيله العقول، ثم فند فيه كل زعم المعارضة بينهما.

---

(١) طبعته دار الكنوز الأدبية، الرياض، ١٣٩١هـ، تحقيق محمد رشاد سالم.

ـ وقول طه حسين (الباحث الناقد والمفكر الجريء لا يفرق في نقده بين القرآن وبين أي كتاب أدبي آخر) ومثله قول نصر أبو زيد: (منذ نزل القرآن في كلمات عربية أصبح بشرياً يجوز الطعن فيه وعليه، وتجوز مناقشته ويجوز فيه ما يجوز على الكلام البشري من خطأ وصواب):

فهذا الكلام في غاية من الخطورة مخالف لما عليه إجماع المسلمين، وكيف لا يفرق الناقد بين كتاب الله المنزه سبحانه عن كل خطأ ونقص وكتاب إنسان مجبول على الخطأ والنقص، وما الطعن في كتاب الله إلا طعناً في الله سبحانه؛ إذ القرآن من كلام الله الذي هو صفة من صفاته، فهل يجوز الطعن في الله؟ تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوا كبيراً.

لقد اتفقت الملل والأديان والشعوب والمذاهب أن الإله المستحق للعبادة هو الذي بلغ الكمال المطلق في كل شيء، فإن كان الإله كاملاً فما يقوله كامل أيضاً، وما هذه الدعوى إلا تمهيد لتجريئ الناس على كتاب الله؛ فإذا كان يمكن نقده إذن يمكن مخالفته وعدم اتباعه، بل هذا ما صرح به طه حسين نفسه عندما قال ـ كما تقدم: (إن الدين الإسلامي يجب أن يعلم فقط كجزء من التاريخ القومي لا كدين إلهي منزل بين الشرائع للبشر، فالقوانين الدينية لم تعد تصلح في الحضارة الحديثة كأساس للأخلاق والأحكام، ولذلك لا يجوز أن يبقى الإسلام في صميم الحياة السياسية أو أن يتخذ كمنطلق لتجديد الأمة فالأمة تتجدد بمعزل عن الدين) وكذا صرح بهذا نصر أبو زيد عندما قال: (آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر، لا من سلطة النصوص وحدها، بل من كل ما يعوق مسيرة الإنسان في عالمنا، علينا أن نقوم بهذا الآن وفوراً قبل أن يجرفنا الطوفان).

ونحن نسأل هؤلاء الذين يرون وجوب التحرر من سلطة النصوص



ويرون أن القوانين الدينية لم تعد تصلح كأساس للأخلاق والأحكام، ما هو الذي يصلح إذن كأساس للأخلاق والأحكام؟ هل هي شريعة الغاب في أفريقيا، أم شريعة الإباحية في أوروبا التي تبيح للرجل فعل الفاحشة حتى مع أرحامه وعائلته، وتبيح زواج المثلين والشذوذ الجنسي مع الحيوانات، فما هي القوانين الوضعية التي تصلح الآن كأساس للأخلاق والأحكام؟.

وقد علم الله تعالى أن كثيراً من الناس سوف يعارض حكم الله بعقله القاصر، فأمر بالصبر على حكمه وعدم التنازل لأي بشر في هذه القضية:

قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ...﴾ [الإنسان: ٢٤]، وهذه الآية ذُكِرَتْ كثيراً في كتاب الله، مما يدل على تأكيد الله تعالى على هذه القضية.

وقام بعض الطاعنين من المعاصرين بحيلة جديدة لإبطال النصوص، فأخذوا يبحثون في كتب أهل العلم عن مدخل يلجوا منه إلى إسقاط العمل بكتاب الله وإبطال النصوص، فوجدوا قاعدة من قواعد التفسير للعلماء فيها قولان، فأخذوا القول الضعيف منهما والمخالف لما عليه الجمهور؛ لأنهم ظنوا أنه يخدم أغراضهم، وهذه القاعدة هي: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، فأخذوا بالرأي الآخر وهو أن: (العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ)، وفهموا من هذه القاعدة فهماً خاطئاً؛ وهو أن كل نص يُخص الحكم بسببه ولا يتعدى فيه الحكم إلى غيره.

مع أن أصحاب القول المرجوح لم يقولوا هذا، بل رأوا أنه ما كان فيه نفس علة سبب النزول فله نفس الحكم من باب القياس الجلي، فالخلاف بين العلماء هو في الوقائع التي بمثل علة النص، هل تدخل

في النص بعمومه أم بالقياس، فهم لم يختلفوا في دخولها، وإنما اختلفوا في كيفية دخولها، فبعضهم قال: النص يشملها بعمومه. وبعضهم قال: لا يشملها النص، ولكن يقاس على المنصوص عليه.

أما هؤلاء فقالوا: إن الحكم مقصور على سبب نزوله لا يتعداه إلى غيره بحال من الأحوال، لا نصاً ولا قياساً، وشنوا حرباً على قاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) حتى قال المستشار العشماوي: (إن قاعدة «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» قد حدثت في فترات الظلام الحضاري والانحطاط العقلي)، وهذا ما يدندن عليه نصر أبو زيد في كتابه (مفهوم النص) كثيراً، ثم زادوا الطين بلة، فقالوا: النصوص لا تفهم إلا بأسباب نزولها، فما لم يكن له سبب نزول معروف، فلا يجوز تطبيقه ولا العمل به، وبما أن أكثر النصوص من هذا الباب؛ إذن فيجب على الناس أن يجتهدوا في كل زمان في تشريع الأحكام التي تناسب عصرهم بقطع النظر عن القرآن.

فهم يريدون تفريغ القرآن من محتواه وجعله أوعية فارغة، وقوالب لا معنى لها، أو لها معنى مقصور على عصر التنزيل فقط[1].

ـ ومِثْل هذا أيضاً جارودي[2] الذي يرى أن القرآن موجّه إلى

---

(١) انظر: في دراسة هذا الموضوع والرد على المخالفين فيه كتاب أسباب النزول بين الفكر الإسلامي والفكر العلماني، للدكتور محمد سالم محمد، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، وهو يريد بهذا الرد على نصر أبو زيد ومحمد سعيد العشماوي ومحمد أركون الجزائري الذين تبنوا هذا الرأي ودافعوا عنه في مؤلفاتهم، وقد لخصته في هذه الصفحات السابقة.

(٢) روجيه جارودي [١٩١٣م ـ على قيد الحياة]: مفكر فرنسي معروف، كان أحد كبار زعماء (الحزب الشيوعي الفرنسي سابقاً، اعتنق النصرانية في مرحلة الشباب، وفي عام ١٩٣٣م انضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، وفصل عنه عام ١٩٧٠م، وفي جنيف تسمى بـ رجاء جارودي، وكتب العديد من=

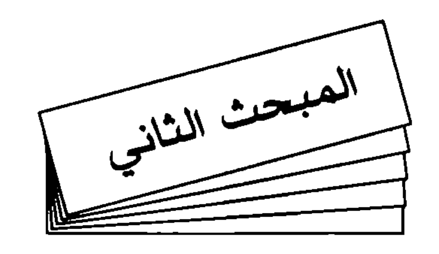
شعب معين في تاريخ محدد[1].

ويكفيك من شرٍّ سماعه، وحكاية كلام هؤلاء يكفي في بطلانه، وبيان بشاعته وخطورته على الدين، وقد تقدم في النصوص السابقة من الكتاب والسنة الرد عليهم، فيغني عن إعادته.



= المؤلفات، ولكن كان لثقافته الشيوعية بقية آثار على فكره، فكان أحياناً يتخبط في كتبه. [انظر: «فكر جارودي بين المادية والإسلام»، لعادل التل، ص٢٥، و«قالوا عن الإسلام» ص(٢١٤)].

(١) فكر جارودي بين المادية والإسلام، نقد كتابات روجيه جارودي في ضوء الكتاب والسنة، عادل التل، (ص١٣١)، دار البينة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.



زعم عدم حفظه (النص القرآن)

ومن الدعاوى الباطلة التي أثارها المبطلون للنيل من القرآن، ذلك الزعم الباطل بأن القرآن قد امتدت إليه يد التغيير والتبديل ـ كما هو الحال في الكتب السماوية السابقة ـ محاولين بذلك إبطال قدسية القرآن العظيم وبالتالي إبعاد المسلمين عنه؛ وهو الهدف الأسمى لهم، منذ نزول القرآن إلى يومنا هذا.

وفي المطالب التالية تفصيل لتلك الطعون والرد عليها:

المطلب الأول

شبهة أنه ليس هو القرآن الذي أنزل وأنه زِيدَ(١) فيه ونُقِصَ

جاء في دائرة المعارف الإسلامية(٢): (الوحي الذي كان

(١) وقد ألف الدكتور فضل حسن عباس ـ الأستاذ المشارك في الجامعة الأردنية، كلية الشريعة ـ كتاباً بعنوان لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، تكلم فيه كلاماً جيداً عن قضية أن القرآن قد زيد فيه، ولكنه لم يتكلم عن موضوع النقص. والكتاب طبعته دار النور للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

(٢) أصدر المستشرقون هذا الكتاب منذ بضع عشرات من الأعوام بعدة لغات ـ الإنجليزية والفرنسية والألمانية ـ كموسوعة كاملة عن الإسلام ديناً وتاريخاً=

الرسول ﷺ يتلقاه ليس هو القرآن الذي نقرؤه الآن، ذلك أن هذا الوحي قد أعيدت صياغته بحيث أخذ الشكل الحالي)[1]، ثم ذكر الدليل على ذلك وهو أنه (لا يمكن التوفيق بين فكرة وجود أصل للقرآن محفوظ في السماء وما وقع في القرآن من نسخ)[2].

ويقول صاحب كتاب الوحي الجديد: (إنه من المستحيل أن يكون القرآن الحالي حاوياً لجميع ما أنزل، بل إنه من المؤكد تاريخياً أنه قد ذهب جانب ليس بالقليل، ومن المستحيل إقامة البرهان على أنه طِبْقَ ما نطقت به شفتا محمد تماماً، بل إنه في آيات عديدة منه اختلافات مدهشة، ولا يعرف إلا الله ما هو النص الصحيح)[3].

ويقول: (إننا نعلم تماماً بشهادة زيد بن ثابت، التي لا ريب فيها

= وحضارة وآداباً وعلوماً واقتصاداً وسياسة وأعلاماً، وهي تقع في أربعة مجلدات ضخام، وبعد صدورها بفترة بدا لهم أن ينتزعوا من بين مواد المواد الخاصة بالدين وعلومه وأعلامه، ثم أصدروا ذلك في مجلد واحد بعنوان (مختصر دائرة المعارف الإسلامية)، وفي هذا المجلد يجد القارئ خلاصة الفكر الاستشراقي فيما يخص ديننا ورجاله. انظر: «دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية»، «أضاليل وأباطيل» للدكتور إبراهيم عوض، (ص٥) مكتبة البلد الأمين، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ومن منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بحث بعنوان (دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية)، وللدكتور فضل حسن عباس رسالة بعنوان (قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية؛ نقد مطاعن ورد شبهات)، دار البشير، الأردن، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

(١) «دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية»، لإبراهيم عوض (ص٧).

(٢) المرجع السابق (ص٩).

(٣) «الوحي الجديد» (ص٤٤)، نقلاً عن كتاب «مناقشات وردود»، لمحمد فريد وجدي (ص٣٧٠). وواضح من اسم الكتاب (الوحي الجديد) أنه ينكر وجود الوحي القديم.

أنه لم تدون جميع السور والآيات التي سمعت من فم محمد، بل إن كثيراً منها حفظ في صدور الناس، ومرت سنون عديدة قبل أن يؤمر زيد بتدوينها، نقلاً عن ذاكرة أولئك القراء، فكيف تأمن على الحقيقة من ذاكرتهم؟)[١].

وتقول دائرة المعارف الإسلامية: (القرآن لم يسجل كله عند نزوله، بل كثير من الوحي المتقدم النزول لم يسجل؛ لأن المسلمين لم يكونوا منتبهين لأهمية ما يتلوه الرسول ﷺ، فضاع كثير من القرآن)[٢].

وتشير دائرة المعارف أيضاً إلى سقوط سورتين كاملتين من القرآن، وهما (سورة النورين) و(سورة الولاية)[٣]؛ آخذين هذا الرأي من مذهب الشيعة الغلاة.

وفيها أيضاً: (البعض ينكر الآيات التي يلعن فيها خصوم محمد)[٤].

وقال رحمانوف: (إن الخوارج قد ألغت سورة يوسف، بينما زادت الشيعة سورة أخرى)[٥].

ويقول جولدتسيهر[٦]: (لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنه نص منزل أو موحى به، يقدم نصه في أقدم

---

(١) المرجع السابق (ص٣٧١).
(٢) «دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية» (ص١٤).
(٣) «دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية» (ص١٨).
(٤) المرجع السابق.
(٥) انظر كتاب: الرد القرآني على كتيب «هل يمكن الاعتقاد بالقرآن» للسفير الروسي م. رحمانوف، لعبد الله كنون، (ص٢٢) دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
(٦) تقدمت ترجمته (ص٢١٦).

عصور تداوله، مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات، كما نجد في النص القرآني)[1].

ونفى نولدكه الألماني[2] في كتابه (تاريخ القرآن) أن تكون فواتح السور من القرآن، مدعياً أنها رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الأولين قبل أن يوجد المصحف العثماني، فمثلاً حرف الميم كان رمزاً لصحف المغيرة، والهاء لصحف أبي هريرة، والصاد لصحف سعد بن أبي وقاص، والنون عثمان؛ فهي ـ كما يزعم ـ إشارات لملكية الصحف، وقد تركت في مواضعها سهواً، ثم ألحقها طول الزمن بالقرآن فصارت قرآناً[3].

وقال طه حسين ـ مقلداً المستشرقين ـ: (هناك موضوع آخر يجب أن أنبهكم إليه، وهو مسألة هذه الحروف العربية غير المفهومة التي تبتدئ بها بعض السور، مثل ألم، ألر، طس، كهيعص، حم، عسق... إلخ، فهذه كلمات ربما قصد منها التعمية أو التهويل، أو إظهار القرآن في مظهر عميق مخيف، أو هي رموز وضعت للتمييز بين المصاحف المختلفة التي كانت موضوعة عند العرب، فمثلاً (كهيعص) رمزاً لمصحف ابن مسعود، (حم عسق) رمزاً لمصحف ابن عباس (طس) رمزاً لمصحف ابن عمر، وهلم جرًّا، ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآناً)[4]!!.

---

(١) انظر كتاب: «القرآن والمستشرقون، لنقرة» (ص٤٠، عن كتاب «القرآن والكتاب».

(٢) تقدمت ترجمته (ص١٨٢).

(٣) انظر: «بحث القرآن والمستشرقون»، للدكتور التهامي نقرة (١/ ٢٣)، ضمن كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، طبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج.

(٤) «نقض مطاعن في القرآن الكريم»، لمحمد أحمد عرفة، (ص ٧ ـ ٨).

ويقول نصر أبو زيد: (لم ينج القرآن من عمليات المحو والإثبات)[1].

الرد على هذه الشبهة:

لقد فتح هذا الباب على مصراعيه الرافضة الاثنا عشرية، حيث نقلوا عن أئمتهم أن القرآن محرف وناقص ومبدل، وإنما فعلوا هذا حتى يثبتوا خلافة علي رضي الله عنه وآل بيته؛ فإذا اعترض عليهم معترض بأن هذه الولاية لم تذكر في القرآن، لا تصريحاً ولا تلميحاً ولا إشارة، كان الجواب: إن القرآن محرف ناقص[2].

والجواب على هذه الشبهة على النحو التالي:

١ ـ دعوى أن القرآن تغير دعوى باطلة؛ بدليل مخالفة الإجماع التاريخي على حفظ القرآن منذ عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا[3].

وإليك بعض النصوص من منصفيهم ـ لا من كتبنا ـ على أن

---

(١) قصة أبو زيد وانحسار العلمانية في جامعة القاهرة، لعبد الصبور شاهين (ص٢٠٢).

(٢) انظر: كتاب الشيعة الاثنا عشرية وتحريف القرآن، لمحمد عبد الرحمن السيف، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، لم يذكر عليه اسم الدار التي طبعته ولا مكان الطبع. وكتاب الشيعة والقرآن، لإحسان إلهي ظهير، مكتبة إدارة ترجمات السنة، لاهور باكستان. وكتاب (أيلتقي النقيضان) لمحمد مال الله، دار النفير، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ. وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية. د. ناصر بن عبد الله القفاري، الفصل الأول من الباب الأول بعنوان (اعتقادهم في القرآن) (١/ ١٢٣). وانظر من كتب الشيعة كتاب: (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) للنوري الطبرسي، وقد طبع عدة طبعات، وكتاب: لله ثم للتاريخ، لحسين الموسوي، وقد طبع عدة طبعات من غير ذكر للدار التي طبعته.

(٣) انظر: «من أساليب الغزو الفكري»، لأستاذنا الدكتور نبيل غنايم (ص٥٦٧).

القرآن الموجود بين أيدينا هو نفس القرآن الذي أنزل على النبي ﷺ؛ ولم يتغير منه حرف لا زيادة ولا نقصاً:

يقول لوبلوا[١]: (إن القرآن هو اليوم الكتاب الرباني الوحيد الذي ليس فيه أي تغيير يذكر)[٢].

ويقول موير[٣]: (إن المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل إلينا بدون أي تحريف، ولقد حُفِظَ بعناية شديدة بحيث لم يطرأ عليه أي تغيير يذكر، بل نستطيع أن نقول: إنه لم يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق في النُسَخ التي لا حصر لها، والمتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة؛ فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة، وهذا الاستعمال الإجماعي لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم، يعد أكبر حجة ودليل على صحة النص المنزل

---

(١) لوبلوا: لم أجد له ترجمة، وإن كان واضحاً من اسمه أنه فرنسي، وقد يكون هناك خطأ مطبعي في كتابة اسمه، فقد وجدت رجلاً فرنسياً اسمه (ماري لوبان) وهو زعيم حزب الجبهة الوطنية، كان ضابطاً في الجيش الفرنسي بالجزائر، وله عضوية بالبرلمان الأوروبي بمدينة سترازبورغ، حزبه ينمو لمطالبته بإخراج العرب من فرنسا، يتراوح عدد المصوتين له بين ٨ و١١٪، فلعله يكون هو مقصود الدكتور دراز لا سيما أن دراز أقام في فرنسا طويلاً. (انظر: مجلة الهدى التونسية، العدد ١٣).

(٢) انظر: كتاب «مدخل إلى القرآن الكريم»، للدكتور محمد عبد الله دراز، (ص٤٠)، دار القلم، الكويت، ١٩٩٣م.

(٣) ليو أري موير (١٨٩٥م ـ ١٩٥٩م): ولد في بولندا، علامة بولندا، عالم بالآثار الإسلامية، يهودي، هاجر إلى فلسطين عام (١٩٢١م) ومات فيها، وتقلب في الجامعة العبرية بين مناصب كثيرة من مدرس في معهد الدراسات الشرقية إلى عميد للمعهد، ثم مديراً للجامعة، وله مؤلفات كثيرة، انظر: «موسوعة المستشرقين»: (ص٥٣٩).

الموجود معنا، والذي يرجع إلى الخليفة المكروب عثمان)[1].

ويقول بلاشير[2]: (إن الفضل بعد الله يعود إلى الخليفة عثمان بن عفان؛ لإسهامه قبل سنة ٦٥٥م في إبعاد المخاطر الناشئة عن وجود نسخ عديدة من القرآن، وإليه وحده يدين المسلمون بفضل تثبيت نص كتابهم المنزل، على مدى الأجيال القادمة)[3].

٢ ـ هذه الشبهة، الرد عليها متفرع من الرد على الشبه السابقة، فإن كان المخالف قد أقر بأن هذا القرآن ليس من النبي ﷺ ولا نقله من غيره، بل هو من الله تعالى؛ فإن الله قال في هذا الكتاب: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، فبما أن الله تكفل بحفظه، إذن لا يوجد مجال للطعن في بقائه؛ لأن هذا تكذيب لله تعالى.

٣ ـ يكفي في الرد على هذه الدعوى العارية عن مستند أن نطالبهم بالدليل، ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

فالدعاوى إن لم تقم عليها ... بينـاتٌ أصحابُها أدعياء

٤ ـ نرد عليهم بالواقع؛ فإن الواقع يُثْبِتُ أن القرآن لم يتغير منه شيء، فالتفاسير القديمة والكتب المؤلفة في الصدر الأول، والآثار المنقولة عن التابعين والصحابة، والأحاديث المرفوعة للنبي ﷺ لم نجد فيها حرفاً يغاير ما هو بين أيدينا الآن، بل يذكر فيها القرآن بنصه وحروفه وترتيبه، وكل من قام بمحاولة لتحريفه أو تغييره فُضِحَ وكُشِفَ وباءت حيلُه بالفشل.

---

(١) «مدخل إلى القرآن الكريم»، للدكتور محمد عبد الله دراز، (ص٤٠)، دار القلم، الكويت، ١٩٩٣م.

(٢) تقدمت ترجمته (ص١٦ ـ ١٧).

(٣) «تاريخ الأدب العربي» لبلاشير (٢/ ٢٢) عن كتاب: «قالوا عن الإسلام» (ص٥٢).

٥ ـ أجمع العلماء على أن ما بين دفتي المصحف هو كتاب الله الذي أنزل، وليس فيه نقص ولا زيادة[١]، ولم تعتن أمة من الأمم بكتاب كاعتناء أمة الإسلام بكتاب الله (القرآن)، فقد ألفت حوله من الكتب ما لا يحصى كثرة؛ في تفسيره وضبط حروفه وعلومه، وتفنيد الشبهات حوله، وقراءاته، وتجويده، وإعجازه، وبلاغته، وإعرابه، ورسمه، وأعداد كلماته، وحروفه، وغير ذلك[٢].

٦ ـ من الأدلة على سلامة نقله وحفظه من النقص، أن النبي ﷺ لم يكتم أي شيء حتى ما كان فيها معاتبة شديدة له؛ مثل قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

عن مَسْرُوقٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئاً عِنْدَ عَائِشَةَ، فَسَأَلْتُ عَائِشَةَ: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللهِ لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي لِمَا قُلْتَ يَا أَبَا عَائِشَةَ؛ ثَلاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّداً رَأَى رَبَّه، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ.

قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئاً فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي وَلا تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النجم: ١٣]؟

فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ:

---

(١) انظر: «شبهات حول القرآن» (ص٤٩).

(٢) انظر: «مدخل إلى علم التفسير»، للدكتور محمد بلتاجي (ص٧).

«إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطاً مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»، فَقَالَتْ: أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣]. أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١].

قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئاً مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ...﴾ [المائدة: ٦٧]. وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِماً شَيْئاً مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ﴾ [الأحزاب: ٣٧] قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ، الْفِرْيَةَ وَاللهُ يَقُولُ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل: ٦٥][(١)].

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقِ اللهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ». قَالَ أَنَسٌ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَاتِماً شَيْئاً لَكَتَمَ هَذِهِ، قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ[(٢)].

---

(١) متفق عليه. البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب: تفسير سورة النجم، رقم (٤٥٧٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ولقد رآه نزلة أخرى، رقم (١٧٧) واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم، رقم (٦٩٨٤).



٧ ـ أما كلام جولدتسيهر؛ فإننا نتساءل هل رأى جولدتسيهر كتب الشرائع السابقة في نصوصها الأصلية حتى تصح المقارنة والحكم؟.

وقد قال هو حين عرض للكلام عن حديث نزول القرآن على سبعة أحرف: (إن التلمود يقول بنزول التوراة بلغات كثيرة في وقت واحد)[١].

هذا وقال آرثر جفري[٢] في تقديمه لكتاب المصاحف لأبي داود: (إن تاريخ التوراة والإنجيل، وصحة نسبتهما وحرفيتهما، أبعد ما يكون عن الصحة والوثوق)[٣].

٨ ـ وأما كلام طه حسين (فهي دعوى قد كفانا هو إبطالها لأنه يشك فيها ويردد وبين أمرين متناقضين، ثبوت أحدهما ينفي الآخر؛ فكونها قصد بها التهويل وإظهار القرآن في مظهر عميق مخيف يقتضي أنه نطق بها الرسول وأنها كانت في عهده، وكونها رموزاً وضعت لتميز بين المصاحف المختلفة ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن يقتضي أنه لم ينطق بها الرسول ولا كانت في زمنه.

ونقض القرآن لا يكون بهذا الشك والاضطراب والترديد بين أمور متناقضة، ولو علم الناقد أن الصحابة والتابعين كانوا يتشددون في تجريد المصحف من كل ما ليس قرآناً حتى إنهم امتنعوا من العجم والشكل وكتابة أسماء السور لاستحيا من أن يقول مثل هذا القول، ولعمري ـ إذا

---

(١) «القرآن والمستشرقون»، لنقرة (ص٤٠).

(٢) آرثر جفري: مستشرق أُسترالي عُين أستاذاً في الجامعة الأمريكية في بيروت، ثم أستاذاً في جامعة كولومبيا، ثم أستاذاً للغات السامية في مدرسة اللغات الشرقية في القاهرة، له عدة مؤلفات: تحقيق كتاب المصاحف لأبي داود، المفردات الأجنبية في القرآن، وغيرها. «آراء المستشرق حول القرآن»، د. نمر رضوان (١/ ١٤٣).

(٣) المرجع السابق.

كان شاكاً أو مضطرباً ـ فلم لا يأتي إلا بما هو طعن في القرآن، ولم لم يذكر ـ ولو على سبيل الشك والترديد ـ ما قاله المفسرون من أنها أسماء للسور أو جيء بها هكذا مسرودة ليعلمهم أن القرآن منظوم من هذه الحروف التي ينظمون منها كلامهم، فهو إذن من جنس ما ينطقون، فليأتوا بمثله إن كانوا صادقين، ذلك لأن مواده ليست أعجمية بل هي من المواد التي ينظمون منها كلامهم وليست غريبة عنهم، فإذا عجزوا بعد فيعلموا أنه ليس من كلام البشر، بل هو من عند خالق القوى والقدر، وأنى لهذا الناقد أن يقول خيراً في الكتاب الكريم ولو على سبيل الشك وهو يريد نقضه وإبطاله)[1].

المطلب الثاني

النسخ في القرآن

النسخ: رفع حكم شرعي بحكم شرعي آخر متراخياً عنه[2].

موضوع النسخ في القرآن هذا من علوم القرآن الكبيرة التي أفردت بمؤلفات كثيرة، واستيعاب جميع أطراف هذا العلم يأخذ وقتاً وجهداً وصفحات كثيرة، ولكني أردت في هذا المبحث أن أتكلم عن جانب واحد فقط من جوانبه وهو الطعن في القرآن من باب النسخ ـ الذي له اتصال وثيق بموضوع الرسالة ـ؛ وذلك أن النسخ في القرآن من الأبواب التي ولج منها الطاعنون للطعن في كتاب الله، ولو عرفوا حقيقته لعلموا أنه من محاسن القرآن لا من المطاعن فيه.

---

(١) نقض مطاعن في القرآن، لمحمد عرفة (ص٧٩ ـ ٨١).

(٢) انظر: «مناهل العرفان» (٢/ ١٣٢)، ومباحث في علوم القرآن للقطان (ص٢٤٥).

حكم النسخ:

فالنسخ له حِكَم كثيرة منها[1]:

١ ـ التدرج في الأحكام على الأمة حتى لا تنفر ويسهل عليها تقبله، كما حصل في الخمر.

فقد تدرج القرآن فيه على مراحل؛ أولاها: الإشارة إلى أنه ليس من الرزق الحسن، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ...﴾ [النحل: ٦٧]، والواو تقتضي المغايرة، ثم بيان أن فيه ضرراً وشراً كبيراً من غير التعرض لمنعه كما في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ثم تحريمه في أوقات الصلاة كما في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]. ثم تحريمه تحريماً تاماً في كل الأوقات في سورة المائدة ـ التي هي من أواخر السور نزولاً ـ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠].

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ. فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ. فنزلَتْ الَّتِي فِي النِّسَاءِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنَ

---

(١) انظر: آراء المستشرقين حول القرآن، لرضوان، (٢/ ٦٣٠)، و«مناهل العرفان في علوم القرآن» للزرقاني (٢/ ١٥٢)، ومباحث في علوم القرآن للقطان (ص٢٤٦)، وغير ذلك.

لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ. فَنزلَتْ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا(١).

ومثل الخمر في هذا: الميسر والفاحشة.

عن يُوسُفَ بْنِ مَاهَكٍ قَالَ: إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ فَقَالَ: أَيُّ الْكَفَنِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ: وَيْحَكَ وَمَا يَضُرُّكَ؟ قَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَرِينِي مُصْحَفَكِ. قَالَتْ: لِمَ؟ قَالَ: لَعَلِّي أُوَلِّفُ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ يُقْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفٍ. قَالَتْ: وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ، إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلامِ نَزَلَ الْحَلالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ، لَقَالُوا: لا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَداً. وَلَوْ نَزَلَ لا تَزْنُوا؛ لَقَالُوا: لا نَدَعُ الزِّنَا أَبَداً. لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: ٤٦]، وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلا وَأَنَا عِنْدَهُ. قَالَ: فَأَخْرَجَتْ لَهُ الْمُصْحَفَ فَأَمْلَتْ عَلَيْهِ آيَ السُّوَرِ(٢).

٢ ـ استخدام هذا الأسلوب في الدعوة، فالداعي يبدأ مع المدعو بالتدرج وتعليقه بالدار الآخرة وزرع الإيمان في قلبه، ثم يخبره بأحكام الإسلام شيئاً فشيئاً.

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب من سورة المائدة، رقم (٣٠٤٩)، والنسائي (كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، رقم (٥٥٤٠)، وأبو داود: كتاب الأشربة، باب في تحريم الخمر، رقم (٣٦٧٠) وصحح إسناده الألباني؛ انظر: صحيح سنن النسائي (٣/١١٢٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، رقم (٤٧٠٧).

٣ ـ **بيان رحمة الله بهذه الأمة**؛ فهو سبحانه يراعي أحوال الناس وعاداتهم ويتدرج معهم رحمة بهم حتى لا ينفروا من الإسلام، بل يحببهم به حتى يكونوا من أهله.

٤ ـ **فيه دلالة على بعض صفات الله كالعلم**؛ فهو سبحانه عالم بأحوال الناس جملة وتفصيلاً، وعالم بما يصلحهم وينفعهم والطريقة التي تصلح لهم، وفيه دلالة على صفة الحكمة والرحمة كما تقدم.

٥ ـ **من الحكم التذكير بنعمة الله**، لا سيما في بعض أنواع النسخ الذي يكون فيها النسخ من أثقل إلى أسهل كما هو الحال في عدة المتوفاة عنها زوجها وغير ذلك.

٦ ـ **ابتلاء المكلف واختباره بالامتثال وعدمه.**

٧ ـ **إرادة الخير بهذه الأمة**، فإن النسخ إن كان إلى ما هو أخف ففيه سهولة ويسر، وإن كان إلى ما هو أثقل ففيه زيادة الثواب والأجر.

لهذا كان النسخ من محاسن القرآن لا من مطاعنه.

قواعد مهمة في النسخ:

وقبل أن ندخل في الرد على الطعون التفصيلية لا بد من ذكر بعض القواعد المهمة في هذا الباب، فمن ذلك:

١ ـ النسخ يكون في الأحكام ولا يكون في الأخبار ـ كما توهم بعض المستشرقين[١] ـ فجميع أخبار القرآن؛ من قصص السابقين، وأمور الغيب، وأحوال البرزخ، وما يحصل في اليوم الآخر، لا يدخله النسخ

---

(١) انظر: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره لرضوان (٢/ ٦٣٠).

أبداً؛ لأن نسخ الخبر يلزم تكذيب أحدهما، وهذا لا يكون في كتاب الله[1].

٢ ـ النسخ إنما كان في زمن النبي ﷺ، وأما بعد وفاة النبي ﷺ فإن القرآن لا ينسخ ولا يتغير ولا يتبدل، بل هو محفوظ بحفظ الله تعالى له ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، فلا يرجع في النسخ إلا لنقل صريح عن رسول الله ﷺ أو عن صحابي يقول: آية كذا نسخت كذا، مما له حكم الرفع[2].

٣ ـ أقوال الأديان الثلاثة في النسخ:

أ ـ جائز عقلاً وواقع سمعاً، وعليه إجماع المسلمين، من قبل أن يظهر أبو مسلم الأصفهاني ومن شايعه. وعليه أيضاً إجماع النصارى، ولكن من قبل هذا العصر الذي خرقوا فيه إجماعهم، وركبوا رؤوسهم. وهو كذلك رأي العيسوية، وهو طائفة من طوائف اليهود الثلاث.

ب ـ أن النسخ ممتنع عقلاً وسمعاً، وإليه جنح النصارى جميعاً في هذا العصر، وتشيعوا له تشيعاً ظهر في حملاتهم المتكررة على الإسلام، وفي طعنهم على هذا الدين القويم من هذا الطريق ـ طريق النسخ ـ، وبهذه الفرية ـ أيضاً ـ يقول الشمعونية، وهم الطائفة الثانية من اليهود.

ج ـ أن النسخ جائز عقلاً ممتنع سمعاً، وبه تقول العنانية وهي الطائفة الثالثة من اليهود، ويعزى هذا الرأي إلى أبي مسلم الأصفهاني من المسلمين، ولكن على اضطراب في النقل عنه، وعلى تأويل يجعل خلافه لجمهرة المسلمين شبيهاً بالخلاف اللفظي إلا يكنه)[3].

---

(١) «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (٣/ ٦١).

(٢) انظر: «الإتقان للسيوطي» (٣/ ٧١).

(٣) «مناهل العرفان في علوم القرآن» للزرقاني (٢/ ١٤٧)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

الطعون في النسخ:

وأما الطعون في هذا الباب فهي كالتالي:

- ذهب بعض المستشرقين إلى أن النسخ يدل على وجود التحريف والتبديل في القرآن وأنه لم يحفظ[1]، بل حصل فيه كثير من التغيير، فقد ثبت أن كثيراً من الآيات المنسوخة كانت تتلى بعد الرسول ﷺ، مثل حديث عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ)[2].

- وبعضهم يرى أن النسخ حيلة ابتدعها المسلمون للخروج من مأزق التناقض بين الآيات[3] مثل آيات عدة المتوفاة وآيات المصابرة وآيات القبلة.

الردود:

أولاً: النسخ موجود في الشرائع السابقة؛ فمن طعن في القرآن من هذا الباب فهو يطعن في جميع الشرائع المنزلة.

(فقد نسخت التوراة إباحة تزوج الإخوة والأخوات كما كان في عهد آدم عليه السلام، ونصها في سفر اللاويين الإصحاح الثامن عشر: «عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة في البيت أو المولودة خارجاً لا تكشف عورتها». ونسخ إباحة الجمع بين الأختين كما كان ذلك في عهد

---

(١) انظر: «مناهل العرفان» للزرقاني (٢/ ١٣٦)، والرد الجميل على المشككين في الإسلام»، عبد المجيد صبح، (ص٨٠)، دار المنارة للنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى ٢٠٠١.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الرضاع، باب التحريم بخمس رضعات، رقم (١٤٥٢).

(٣) انظر: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، لعمر رضوان (ص٦٢٨).

يعقوب عليه السلام فإنه كان يجمع بين ليا وراحيل ابنتي خاله، وقصته مذكورة في سفر التكوين الإصحاح التساع والعشرين، ودليل النسخ ما جاء في سفر اللاويين الإصحاح الثامن عشر: «ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها في حياتها». ونسخت إباحة أكل جميع الحيوانات، كما كان في عهد نوح عليه السلام، ففي سفر التكوين الإصحاح التاسع خطاباً لنوح ونبيه: «كل دابة حية تكون لكم طعاماً كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع»، ودليل النسخ ما جاء في سفر اللاويين، الإصحاح الحادي عشر من تحريم الجمل والأرنب والخنزير وغير ذلك، فهذا قليل من كثير مما نسخته التوراة من أحكام الشرائع السابقة.

وأما الإنجيل فقد نسخ إباحة الطلاق كما كان ذلك في الشريعة الموسوية بأي سبب كان زنا أو غيره، وإباحة تزوج المطلقة، ففي سفر التثنية الإصحاح الرابع والعشرين: «إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء كتب لها كتاب الطلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته، ومتى خرجت ذهبت وصارت لرجل آخر»؛ فحرم الإنجيل الطلاق إلا بعلة الزنا، وحرم تزوج المطلقة، ونص متى في ذلك الإصحاح الخامس: «وقيل: من طلق امرأته فليعطها كتاب الطلاق، وأما أنا فأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزني، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني»، ونسخ حرمة أكل الحيوانات التي كانت محرمة في شريعة موسى، وتقدمت الإشارة إلى بعضها...)[1] إلى آخر تلك النصوص.

٢ ـ أن النسخ من محاسن القرآن لا من المطاعن فيه، كما تقدم

---

(١) فضيحة المبشرين في احتجاجهم بالقرآن المبين، لعبد الله كنون الحسني، (ص٥ ـ ٦)، مطبعة رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٨٢م، وانظر: «مناهل العرفان» (٢/ ١٥٠).

في ذكر طرف من هذه الحكم. وأكثر ما يدندن عليه الطاعنون هو نسخ الحكم وبقاء التلاوة أو العكس وهي قضية نسخ التلاوة وبقاء الحكم، فيقولون: ما فائدة بقاء الآية إذا ذهب حكمها ونسخ، وكيف يقال إن هذه الآية نسخت وحكمها باق؟

ولم يعلموا أن لهذا حِكَماً كثيرة.

حكم النسخ:

فمن حكم نسخ الحكم وبقاء التلاوة:

أ ـ التذكير بنعمة الله تعالى؛ حيث إن غالب الآيات المنسوخة الحكم لا التلاوة فيها تخفيف على الأمة[1]، مثل نسخ عدة المتوفاة من سنة إلى أربعة أشهر وعشراً.

وفي الصحيحين: (قَالَتْ زَيْنَبُ: سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ تَقُولُ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ ابْنَتِي تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَقَدْ اشْتَكَتْ عَيْنَهَا أَفَتَكْحُلُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا»، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثاً، كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ: «لا»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْراً وَقَدْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ».

قَالَ حُمَيْدٌ: فَقُلْتُ لِزَيْنَبَ: وَمَا تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ؟ فَقَالَتْ زَيْنَبُ: كَانَتْ الْمَرْأَةُ إِذَا تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا دَخَلَتْ حِفْشاً وَلَبِسَتْ شَرَّ ثِيَابِهَا، وَلَمْ تَمَسَّ طِيباً حَتَّى تَمُرَّ بِهَا سَنَةٌ ثُمَّ تُؤْتَى بِدَابَّةٍ: حِمَارٍ أَوْ شَاةٍ أَوْ طَائِرٍ فَتَفْتَضُّ بِهِ فَقَلَّمَا تَفْتَضُّ بِشَيْءٍ إِلا مَاتَ، ثُمَّ تَخْرُجُ فَتُعْطَى بَعَرَةً فَتَرْمِي بِهَا ثُمَّ تُرَاجِعُ بَعْدُ مَا شَاءَتْ مِنْ طِيبٍ أَوْ غَيْرِهِ.

---

(١) «الإتقان» للسيوطي (٣/ ٦٩).

سُئِلَ مَالِكٌ مَا تَفْتَضُّ بِهِ؟ قَالَ: تَمْسَحُ بِهِ جِلْدَهَا)[1].

ب ـ أن نسخ حكم الآية التكليفي لا يبطل كل الأحكام المتعلقة بالآية مثل الأجر لمن قرأها، فقارئها له ثواب التلاوة، وكذلك الاستفادة من الآية في الأحكام البلاغية والنحوية والتجويدية، ومن قيام معجزات بيانية أو علمية أو سياسية فيها[2].

٣ ـ أن العقل لا يمنع أن يقول الملك لرعيته: افعلوا كذا، وهو يقصد أن يهيئهم لأمر آخر، فإذا تهيئوا قال: افعلوا كذا، وكما يقول الطبيب لمدمن التدخين مثلاً: قلل من شرب الدخان، فإذا تجاوز هذه المرحلة قال له: اقطع التدخين.

٤ ـ وأما حديث عائشة في مسلم: (كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات يحرمن...)؛ **فأجيب بعدة أجوبة:**

أ ـ أن المقصود: قارب الوفاة ولم يتوفَّ بعد[3].

ب ـ أن مقصود عائشة هو تأخر النسخ قبيل وفاة النبي ﷺ حتى إن بعض الصحابة لم يعلم بالنسخ فكان يقرأ بها بعد وفاة النبي ﷺ[4]. وهذا هو المتبادر للذهن.

قال النووي ﷺ: (وَقَوْلَها: «فَتُوُفِّيَ رَسُول الله ﷺ وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ»

---

(١) متفق عليه. البخاري: كتاب الطلاق، باب تحد المتوفى عنها زوجها أربعة أشهراً وعشراً، رقم (٥٠٢٤)، ومسلم: كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة، رقم (١٤٨٩).

(٢) انظر: «مناهل العرفان» (٢/ ١٥٣).

(٣) «نفحات من علوم القرآن»، محمد أحمد معبد (ص٨٢)، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

(٤) «الإتقان» للسيوطي (٣/ ٦٣).

هُوَ بِضَمِّ الْيَاء مِنْ (يَقْرَأ) وَمَعْنَاهُ أَنَّ النَّسْخ بِخَمْس رَضَعَاتٍ تَأَخَّر إِنزالُهُ جِداً حَتَى إِنَّهُ ﷺ تُوفِي وَبَعْض النَّاس يَقرأ خَمْس رَضَعَات وَيَجْعَلَهَا قُرْآناً مَتْلُوًّا؛ لِكَوْنه لَمْ يَبْلُغهُ النَّسْخ لِقُرْبِ عَهْده، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ النَّسْخ بَعْد ذَلِكَ رَجَعُوا عَنْ ذَلِكَ وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ هَذَا لا يُتْلَى.

وَالنَّسْخ ثَلاثَة أَنْوَاع: أَحَدُهَا مَا نُسِخَ حُكْمه وَتِلاوَته كَعَشْرِ رَضَعَات. وَالثَّانِي: مَا نُسِخَتْ تِلاوَته دُون حُكْمه، كَخَمْسِ رَضَعَات، وَالشَّيْخ وَالشَّيْخَة إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا. وَالثَّالِث: مَا نُسِخَ حُكْمه وَبَقِيَتْ تِلاوَته، وَهَذَا هُوَ الأَكْثَر، وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم ...﴾ الْآيَة [البقرة: ٢٤٠] وَالله أَعْلَم)[١].

وأما نسخ التلاوة وبقاء الحكم فله حكم كثيرة منها[٢]:

١ ـ **الابتلاء**؛ لمعرفة كمال اتباع الناس للنصوص، فالمؤمن كامل الإيمان يسلم، والمنافق يجادل؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: جَلَسَ عُمَرُ عَلَى الْمِنْبَرِ يوم الجمعة، فَلَمَّا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُونَ قَامَ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَائِلٌ لَكُمْ مَقَالَةً قَدْ قُدِّرَ لِي أَنْ أَقُولَهَا، لا أَدْرِي لَعَلَّهَا بَيْنَ يَدَيْ أَجَلِي، فَمَنْ عَقَلَهَا وَوَعَاهَا فَلْيُحَدِّثْ بِهَا حَيْثُ انْتَهَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لا يَعْقِلَهَا فَلا أُحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ؛ إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ بِالحَقِّ وَأَنزلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أَنزلَ اللهُ آيَةَ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا؛ رَجَمَ رَسُولُ الله ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: وَاللهِ مَا نَجِدُ

---

(١) شرح مسلم للنووي (١٠/ ٢٩)، دار الفكر.

(٢) انظر: «مباحث في علوم القرآن» (ص٢٤٦)، و«الإتقان في علوم القرآن» (٣/ ٧٢)، و«مناهل العرفان في علوم القرآن» للزرقاني (٢/ ١٥٢).

آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللهِ. فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنزلَهَا اللهُ، وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أُحْصِنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ إِذَا قَامَتْ الْبَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ الْحَبَلُ أَوْ الاعْتِرَافُ. . . . إلخ)[1].

٢ ـ **بيان فضل هذه الأمة؛** إذ بلغ من كمال اتباعها أنها تتبع حتى ما نسخ لفظه ولا تجده في المصحف؛ قال السيوطي: (يظهر به مقدار طاعة هذه الأمة في المسارعة إلى بذل النفوس بطريق الظن، من غير استفصال لطلب طريق مقطوع به، فيسرعون بأيسر شيء، كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام)[2].

٣ ـ لنفرض جدلاً أن هذه الأحكام التي نسخ لفظها لا يجوز العمل بها لأن ما نسخ لفظه فقد نسخ حكمه، **فإن ثبوتها في السنة يكفي للعمل بها.**

ثانياً: وأما دعوى أن النسخ ابتدعه المسلمون للخروج من مأزق التناقض في الآيات فهذا كلام باطل لوجوه:

١ ـ النسخ كان في زمن النبي ﷺ وليس مبتدعاً بعده، وكان الصحابة رضي الله عنهم لا يأذنون لأحد بالفتوى حتى يتعلم الناسخ والمنسوخ[3].

٢ ـ بل إن النسخ موجود في كل الشرائع كما تقدم.

٣ ـ أن بعض الآيات تدل هي ذاتها على النسخ من غير تدخل من أحد، مثل قوله تعالى في آيات المصابرة: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، رقم (٦٤٤٢).

(٢) «الإتقان» (٣/ ٧٢).

(٣) انظر: «مناهل العرفان» (٢/ ١٣٦)، «الإتقان في علوم القرآن» (٣/ ٥٨).

٤ ـ أن الآيات المنسوخة قد تم الإجماع على نسخها والأمة لا تجتمع على ضلالة.

٥ ـ أن الحكم على آية أو حديث بالنسخ له شروط شديدة لا بد أن تتوفر حتى يحكم على هذا النص بالنسخ، فلا يمكن لأي أحد التلاعب في النصوص بحجة النسخ.

فمن هذه الشروط[١]:

أ ـ أن يكون النسخ حكماً شرعياً.

ب ـ أن يكون الناسخ دليلاً شرعياً.

ج ـ أن يكون الناسخ متراخياً عن المنسوخ.

د ـ أن يكون بين النصين تعارض حقيقي، فلا يصار إلى النسخ مع إمكان الجمع بينهما.

هـ ـ أن النسخ لا يكون في الأخبار كما تقدم.

وبهذا يتضح مدى كون النسخ من محاسن القرآن، ومفاخره، بل لعلنا لا نبالغ إن قلنا إنه من إعجازه في أحيان كثيرة.

وقد جازف عبد المجيد صبحي صاحب كتاب: «الرد الجميل على المشككين في الإسلام» بإنكار النسخ في القرآن[٢] محاولاً بهذا الرد على من طعن في القرآن بسبب وجود النسخ.

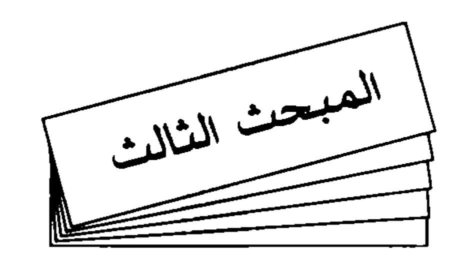
---

(١) انظر: «مناهل العرفان» (٢/ ١٤١).

(٢) انظر: الكتاب (ص١١٨)، وفي كتاب «حقائق الإسلام» (ص١٢٢) أن هذه القضية يتبناها كثير من المعاصرين ومنهم: عبد المتعال الجبري، ود. محمد البهي، والشيخ محمد الغزالي وغيرهم.

وهذا خطأ، بل النسخ موجود، والرد على من طعن في القرآن بسبب النسخ واضح، وقد تقدم، وفيه مقنع لطالب الحق، وأما صاحب الهوى فإنه لا يقتنع ولو جئت له بأوضح الواضحات.





اتهام القرآن بالتناقض

من المطاعن التي كثر ورودها اتهام القرآن بالتناقض؛ لأن التناقض علامة بطلان كل مذهب، لذلك أردت في هذا المبحث الرد على مزاعم التناقض في القرآن.

وجاء هذا المبحث في عدة مطالب:

المطلب الأول

هل في القرآن تناقض حقيقي؟

- أسباب وقوع التناقض من الشخص الواحد هي: إما لقلة العلم، أو بسبب النسيان، أو اختلاف النفسية، والطباع، أو اختلاف الاجتهاد، أو الابتعاد عن الحق، أو للمصلحة الشخصية[1].

وكل هذه الأسباب منتفية عنه تعالى فهو سبحانه عالم السرّ والنجوى، ولا يضل ولا ينسى، ولا يبدو له شيء لم يكن يعرفه حتى يغير اجتهاده، وهو الحق ولا يصدر منه إلا الحق، ولا يبلغ أحد من خلقه ضره فيضره ولا نفعه فينفعه.

---

(١) انظر: أصول الجدل والمناظرة، د. حمد العثمان (ص٣٧٧) في مبحث (تناقض النظار) مكتبة ابن القيم، الكويت، طبعة ٢٠٠١.

(وسئل الغزالي عن معنى قوله تعالى: ﴿...وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢]؟

فأجاب بما صورته: الاختلاف لفظ مشترك بين معان، وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه، بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن؛ يقال: هذا كلام مختلف؛ أي لا يشبه أوله آخره في الفصاحة إذ هو مختلف؛ أي بعضه يدعو إلى الدين وبعضه يدعو إلى الدنيا، أو هو مختلف النظم؛ فبعضه على وزن الشعر وبعضه منزحف، وبعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة وبعضه على أسلوب يخالفه.

وكلام الله تعالى منزه عن هذه الاختلافات؛ فإنه على منهاج واحد في النظم، مناسب أوله آخره، وعل مرتبة واحدة، في غاية الفصاحة، فليس يشتمل على الغث والسمين، ومسوق لمعنى واحد وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى وصرفهم عن الدنيا إلى الدين، وكلام الآدميين يتطرق إليه هذه الاختلافات؛ إذ كلام الشعراء والمترسلين إذا قيس عليه وجِد فيه اختلاف في منهاج النظم، ثم اختلاف في درجات الفصاحة، بل في أصل الفصاحة حتى يشتمل على الغث والسمين، فلا تتساوى رسالتان ولا قصيدتان، بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة وأبيات سخيفة وكذلك تشتمل القصائد والأشعار على أغراض مختلفة؛ لأن الشعراء والفصحاء ﴿فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٥]؛ فتارة يمدحون الدنيا وتارة يذمونها، وتارة يمدحون الجبن فيسمونه حزماً وتارة يذمونه ويسمونه ضعفاً، وتارة يمدحون الشجاعة ويسمونها صراحة وتارة يذمونها ويسمونها تهوراً، ولا ينفك كلام آدمي عن هذه الاختلافات؛ لأن منشأ هذه الاختلافات اختلاف الأغراض واختلاف الأحوال، والإنسان تختلف أحواله، فتساعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه ويتعذر عليه عند الانقباض، ولذلك تختلف أغراضه، فيميل إلى الشيء مرة ويميل عنه أخرى، فيوجب اختلاف الأحوال والأغراض اختلافاً في كلامه

بالضرورة فلا تصادف اللسان يتكلم في ثلاث وعشرين سنة وهي مدة نزول القرآن، فيتكلم على غرض واحد، وعلى منهج واحد.

ولقد كان رسول الله ﷺ بشراً تختلف أحواله، فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوُجِدَ فيه اختلاف كثير. فأما اختلاف الناس فهو تباين في آراء اناس لا في نفس القرآن، وكيف يكون هذا المراد وقد قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ﴾ [البقرة: ٢٦]، فقد ذكر في القرآن أنه في نفسه غير مختلف وهو مع هذا سبب لاختلاف الخلق في الضلال والهدى، فلو لم يختلف فيه لكانت أمثال هذه الآيات خلفاً، وهي أشد أنواع الاختلاف، والله أعلم)[1].

ـ وأما ادعاء معارضة القرآن للحقائق سواء كانت، شرعية، أم طبيعية، أم تاريخية، فإن سبب هذا الزعم: وقوع هؤلاء على بعض الإشارات التي فهموا منها أن هناك تعارضاً، فتمسكوا بها وبدأوا يجمعون كلام كل متردية ونطيحة، للنفخ في هذه الشبهة حتى يتم لديهم هذا الاتهام للقرآن بالتعارض مع الحقائق، وما علم هؤلاء أن الذي خلق الطبيعة وأنزل القرآن واحد وهو الله تعالى، وأن منزل القرآن والشريعة واحد وهو الله تعالى، وأن كل الحقائق التاريخية التي حصلت لنا وعرفناها عن طريق الكتب المتوارثة غابراً عن غابر، قد رآها الله تعالى معاينة وشاهدها حقيقة، ولم تنقل له كما هو الحال فينا عن طريق كتب.

إذن فقضية التعارض سواء كانت في الحقائق الشرعية، أو الكونية، أو التاريخية أمر لا يمكن تصوره عقلاً، وغير واقع أصلاً، وكل ما ادعوا أنه متعارض قد تم الإجابة عليه.

---

(١) البرهان للزركشي (٢/ ٥٤ ـ ٥٦).

وقد تقدم معنا في مبحث أسباب وقوع الإشكال كلام نفيس للإمام الزركشي والإِمام الراغب الأصفهاني، في بيان وجه كل ما قيل أن فيه تناقضاً.

المطلب الثاني

زعم تناقض بعض الآيات مع بعض

وهذا الموضوع قد أكثر الطاعنون منه، بناء على القاعدة الجدلية: أن التناقض علامة بطلان المذهب[١].

ولكن كل ما زعموا فيه التناقض، فهو محض افتراء أو جهل، وقد تكلم العلماء قديماً على هذا النوع من الطعون، وجمعوا كل ما قيل في ذلك، ورتبوها على حسب ترتيب سور المصحف، وأجابوا على كل ما قيل في ذلك، بل وعلى ما لم يُقَلْ مما يُظن أن فيه إشكالاً أو تناقضاً، ومن هذه الكتب المؤلفة في هذا الفن:

١ ـ كتاب «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة الدينوري[٢]، وهو أقدم كتاب وصل إلينا.

٢ ـ كتاب «المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير» له أيضاً[٣].

٣ ـ «أضواء على متشابهات القرآن»، لخليل ياسين[٤]، في مجلدين.

---

(١) انظر: الكافية في الجدل، لإمام الحرمين الجويني (ص١٧٢)، تحقيق د. فوقية حسين محمود، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٧٩م، وانظر: آداب البحث والمناظرة، للأمين الشنقيطي (٦٤) مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

(٢) تحقيق السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية.

(٣) تحقيق مروان العطية، ومحسن خرابة، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

(٤) مكتبة الهلال، بيروت.

٤ ـ «باهر القرآن في معاني مشكل القرآن» لبيان الحق النيسابوري[١]، في أربعة مجلدات.

٥ ـ «وضح البرهان في مشكلات القرآن» له أيضاً[٢]، في مجلدين.

٦ ـ «تفسير آيات أُشْكِلَتْ» لابن تيمية[٣]، في جزأين.

٨ ـ «دفع إيهام الاضطراب»، لمحمد الأمين الشنقيطي[٤].

٩ ـ «مشكلات القرآن»، لمحمد أنور شاه الكشميري[٥].

١٠ ـ «الروض الريان في أسئلة القرآن»، لشرف الدين بن ريان[٦].

وغير ذلك من الكتب الكثيرة، التي لو جُمِعَ كل ما فيها لكان مجلدات كثيرة، وإنما قَصَدتُ بذكر هذه الكتب بيان أن هذا الطعن قد قُتلَ بحثاً، وأجيب عن كل ما قد قيل أو يمكن أن يقال فيه، ومع هذا لا زال أعداء الدين ينعقون بهذه الطعون ويرددونها، مما يدلك على عدم حرصهم على اتباع الحق، أو إنما القصد هو إضلال بسطاء المسلمين ممن لم يقرؤوا هذه الكتب، والله المستعان.

يقول جولدتسيهر[٧]: (من العسير أن نستخلص من القرآن نفسه

---

(١) تحقيق سعاد بابقي، من مطبوعات جامعة أم القرى، ١٩٩٧م.
(٢) تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
(٣) تحقيق عبد العزيز الخليفة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
(٤) مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
(٥) الناشر المجلس العلمي، في جوهانسبرج، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م.
(٦) تحقيق عبد الحليم السلفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
(٧) لاحظ أن هذا المستشرق اليهودي لا يكاد يمر طعن إلا ويسهم فيه، وللأسف يثني عليه الكثير من المعاصرين، وقد تقدمت ترجمته (ص٢١٦).

مذهباً عقيدياً[1] موحداً متجانساً وخالياً من المتناقضات، ولم يصلنا من المعارف الدينية الأكثر أهمية وخطراً، إلا آثار عامة نجد فيها ـ إذا بحثناها في تفاصيلها ـ أحياناً تعاليماً متناقضة)[2].

وسنذكر إن شاء الله في هذا المبحث بعض ما ذكر من شبهات في هذا العصر[3] والجواب عليها بإذن الله.

الطائفة الأولى:

طعون ذُكرت في كتاب «رد مفتريات على الإسلام»، لعبد الجليل شلبي، وردَّ فيه على رسالتين تطعنان في القرآن؛ الأولى رسالة في ست ورقات منسوبة إلى المجلس القبطي بالإسكندرية، وموقعة باسم الأسقف العام، ورئيس المجلس، والنائب العام البابوي تيموثاوس[4].

والطعون التي ذكروها كالتالي:

١ ـ في سورة يونس: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ

(١) هكذا، والفصيح: عقدياً.

(٢) نمو العقيدة الإسلامية وتطورها، لجولدتسيهر، عن كتاب الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، لشوقي أبو خليل (ص٦٤).

(٣) انظر: «رد مفتريات على الإسلام»، لعبد الجليل شلبي (ص٦٧ ـ ٧٧)، ورد فيه على رسالتين تطعنان في القرآن؛ الأولى: رسالة في ست ورقات منسوبة إلى المجلس القبطي بالإسكندرية، والرسالة الثانية جاءت بالبريد من استراليا في إحدى وعشرين صفحة، وموقعة باسم: المدعون العامون في محكمة الحقيقة. وانظر أيضاً: الرد على أسئلة (توني بولدروجوفاك) وتشكيكاته حول القرآن الكريم، والنبي العظيم، للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق. والملحدون الجدد لجمال عبد الرحيم، وغير ذلك من الكتب الكثيرة.

(٤) وقد ذكرت مع الطعن رد شلبي، وغالباً أزيد عليه ردوداً أخرى لم يذكرها، وأنبه على ذلك بكلمة (قلتُ).

﴿لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾ [يونس: ١٥]، **وفي سورة النحل:** ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢﴾ [النحل: ١٠١، ١٠٢]، **ففي الآية الأولى طُلب منه التبديل فرفض، والآية الثانية تم التبديل**[1].

والجواب[2]:

أن التبديل في الآية الأولى كان بطلبٍ من الكفار لرسوله ﷺ أن يأتي بقرآن جديد أو يبدل هذا القرآن، ورسول الله ﷺ يقول: لا أستطيع، فذلك كلام الله ينسخ منه سبحانه ما يشاء ويثبت ما يشاء، وأنا أتبع ما يوحى إليَّ نسخاً أو إثباتاً.

والآية الثانية تذكر أن الله سبحانه إذا نسخ حكماً بحكم قال الكفار لمحمد: أنت مفتر في هذا القرآن؛ لأنك غيرت حكماً قررته من قبل. ثم تقرر الآية التالية أن ذلك من الله تعالى، نزله الله بواسطة جبريل روح القدس، ومحمد لا يغير.

فأي تناقض بين الآيتين! كلتاهما تثبت أن القرآن من عند الله، وأن محمداً ﷺ لا يستطيع أن يغير منه شيئاً.

٢ ـ الآية ١٠٦ من سورة البقرة تُناقِضُ الآية ٢٧ من سورة الكهف، والآية في سورة البقرة هي: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ [البقرة: ١٠٦] والآية في سورة الكهف: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧].

---

(١) انظر: «رد مفتريات على الإسلام» (ص٣٧).

(٢) انظر: «رد مفتريات على الإسلام» (ص٦٧).

فالآية الثانية تخبر أن كلمات الله لا تبدل، والأولى تخبر أنها تنسخ وتنسى، والنسخ نوع تبديل[1].

الجواب[2]:

الآية الأولى تتحدث عن نسخ الأحكام وتغيير حكم بآخر، وهذا أمر لا بد منه في حال أمة جاهلية نقلها الإسلام تدريجياً إلى حال جديدة متكاملة.

والآية الثانية تذكر أنه لا أحد غير الله يستطيع أن يبدل كلماته، أو يرد حكماً أنزله سبحانه.

والطاعنون لم يفهموا النص فظنوه تناقضاً، وكلتا الآيتين توضح أن الله وحده يمحو ما يشاء ويثبت، تماماً كالآية السابقة.

قلتُ: التبديل يطلق على تبديل الأحكام، وهذا سائغ، ويطلق على تبديل الأخبار، وهذا الذي لا يمكن في القرآن، فكل آية لها مورد[3]، فالنسخ والتبديل يكونان في الأحكام لا الأخبار.

وقيل: (إن آية الكهف ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ معناها: لا مغير لسننه وقوانينه في الكائنات. وأما آية البقرة؛ فالمراد من الآية المعجزة التي يجريها الله على أيدي رسله، ونسخها رفعها بعد وقوعها)[4].

وحتى لو كان المقصود بالآية في سورة البقرة آيات القرآن، فإنه يكون المقصود بالآيات الشرعية والأحكام العملية التي تنسخ لحكم

---

(١) انظر: «رد مفتريات على الإسلام» (ص٣٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص٦٨) و«حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين» (ص٦٦).

(٣) «الرد على النصراني في مطاعنه على القرآن»، محمد رجب (ص٢٢).

(٤) «حقائق الإسلام» (ص٦٨).

كثيرة، فتكون الآية الأولى تتحدث عن الآيات الشرعية والثانية عن الآيات الكونية.

٣ ـ الآية ٩ من سورة الحجر تناقض الآية ٣٩ من سورة الرعد:

وآية الحجر هي: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وآية الرعد هي: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾ [الرعد: ٣٩]، **يعني كيف يجتمع الحفظ مع المحو**(١)؟.

الجواب(٢):

آية الحجر تصف القرآن أنه تنزيل من الله تعالى، وأن الله حافظه من الزوال والتحريف. وصدق الله وصدق قرآنه، فالمسلمون بعد أربعة عشر قرناً يقرأون القرآن غضاً طرياً صريحاً صحيحاً كما أنزله الله تعالى، وكما قرأه محمد ﷺ على أصحابه، فأين كتاب موسى وأين وصاياه، وأين إنجيل عيسى؟ هذه كتب لم يحفظها الله تعالى فذهبت مع الأيام، والقرآن لم يَضِعْ منه شيء ولن يضيع.

وأما آية الرعد فتذكر أن الله يمحو أحكاماً ويثبت أخرى، ويمحو مقادير ويثبت غيرها.

أفي هذا تضارب؟.

قلتُ: آية الرعد لا تتحدث عن القرآن، بل المراد منها الصحف التي بيد الملائكة التي فيها مقادير الخلق، فإن الله تعالى يغيرها حسب مشيئته وحكمته. واختلف العلماء في ذلك ولكن كل الخلاف دائر في باب القدر(٣)، ولو سلمنا أن آية الرعد في القرآن، فإن المقصود بالمحو

---

(١) انظر: «رد مفتريات على الإسلام» (ص٣٧).

(٢) المرجع السابق، (ص٦٨)، و«حقائق الإسلام» (ص٦٩).

(٣) انظر: «تفسير فتح القدير» الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، =

والإثبات هو في وقت حياة النبي ﷺ، وأما بعد اكتمال القرآن وموت النبي ﷺ، فإن الله يحفظ القرآن ويصونه.

٤ ـ السجدة آية (٥) ـ تناقض المعارج آية (٤):

وآية السجدة هي: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: ٥]، وآية المعارج هي: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤﴾ [المعارج: ٤]، يعني أن ألف سنة في الآية تناقض خمسين ألف سنة في الآية الأخرى[(١)].

الجواب[(٢)]:

إن الآية تصف يوم القيامة بالطول، وأنه في طوله يعْدُل ألف سنة مما يعد الناس، ولا يراد منها إفادة التكثير، كما تقول لصاحبك: كتبت لك خمسين خطاباً، وترددت على بيتك عشرين مرة. واللغويون يقولون دائماً: العدد لا مفهوم له.

فإذا وَصَفَت الآية الثانية هذا اليوم بأن مقداره خمسون ألف سنة، فلا تناقض؛ لأن كلًّا منهما تصفه بالطول.

وقيل: وهذا اليوم يختلف مع الناس باختلاف مواقفهم، وما يعانيه كل منهم، فقد يطول اليوم على شخص لشدة مشقته، ويقصر على آخر لعدم المشقة.

قلت: إن الآيتين ليستا على مورد واحد، بل الأولى تتحدث عن أمر لا تتحدث عنه الأخرى.

= للإمام الشوكاني (٣/٨٩)، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، وقد ذكر فيه ثلاثة عشر قولاً، ليس فيها أن المقصود به محو القرآن.

(١) انظر: «رد مفتريات على الإسلام» (ص٣٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص٦٩)، و«حقائق الإسلام» (ص٧٠).

فالآية الأولى تتحدث عن مدة يوم معراج الأوامر ومدته ألف سنة، حيث يقول سبحانه: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: ٥][1].

والثانية تتحدث عن يوم القيامة ومدته خمسون ألف سنة، كما هو ظاهر من السياق: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾ [المعارج: ١ ـ ١٠].

وهو القول الراجح، فقد ذكر ابن كثير أربعة أقوال في المراد من اليوم، ومال إلى أن المراد به يوم القيامة[2]، وهو الراجح بدليل ما أخرجه مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إلا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحميَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ. . . .»[3].

وقد ذكر العلماء أجوبة كثيرة وغالبها وجيه، وقد سُئل ابنُ عباس رضي الله عنه عن هذه الآية وأجاب عنها[4]، ومع هذا لا زال هذا الإشكال يكرر إلى يومنا هذا.

---

(١) فقد ذكر ابن كثير (٣/ ٤٥٧) عن كثير من السلف أنهم قالوا: إن بين السماء والأرض مسافة خمسمائة عام، فنزول الملك وعروجه بالأمر مجموعه ألف سنة.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤١٨ ـ ٤٢٠).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب م مانع الزكاة، رقم (٩٨٧).

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٢٠).

٥ ـ سورة البلد وسورة والتين:

سورة البلد جاء فيها: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ [البلد: ١ ـ ٢]، وسورة التين جاء فيها: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ [التين: ١ ـ ٣]؛ **فكيف قال: لا أقسم بهذا البلد ثم أقسم به[1]؟.**

الجواب[2]:

فَهِمَ القومُ ـ وهم كما يدل أسلوبهم وكتابتهم علماء جداً في اللغة ـ أن (لا) في (لا أقسم) نافية، وهذا جهل بلغة العرب، وإنما تأتي لا في القسم توكداً وهذا شائع في اللغة، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ۝٦٥﴾ [النساء: ٦٥]؛ أي أقسم بربك أنهم كذلك، وكما قال النابغة:

فَلَا وَحقِّ الَّذِي مَسَّحْتُ كَعْبَتَهُ ... وَمَا هُرِيقَ عَلَى الأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

وقول الآخر:

فَلَا وَاللهِ لَا يُلْقَى لِمَا بِي ... وَلَا لِمَا بِهِمْ أَبَداً دَواءُ

وقول طرفه:

فَلَا وَأَبِيكِ ابنةَ العامِرِي ... لا يَدَّعِي القومُ أَنِّي أَفِرُّ

وقال علماء اللغة: إن هذا القسم يفيد تعظيم المقسوم به، كما في سورة البلد، وكما في قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٧]، وكقوله:

---

(١) انظر: «رد مفتريات على الإسلام» (ص٣٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص٦٩).

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة: ١ ـ ٢]، فهذه كلها أقسام وليس هذا من دقائق اللغة، وإنما هو من أولياتها ولكن القوم لا يعلمون.

وإذا اعتبرت (لا) نافية والجملة خبرية فهي مقيدة؛ أي لا أقسم به وأنت حل به، ولكن أقسم به وأنت غير حل به، فلا تناقض أيضاً.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٤٤﴾ [الزمر: ٤٤]، **مع قوله: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾** [السجدة: ٤]، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ﴾ [يونس: ٣].

هذه الآيات متناقضة في رأي تيموثاوس(١).

الجواب(٢):

الآيات الثلاث تذكر أن الله وحده هو المتصرف في خلقه، ولا يشفع عنده إلا من أذن له، لله وحده الشفاعة، لا شفيع من دونه ولا بغير إذنه، فأي تناقض بين هذه الآيات؟ أليست الشفاعة في هذا كله لله وحده؟ أفلا تذكرون؟.

قلت: نفى الله تعالى الشفاعة الشركية التي يعتقدها المشركون في معبوداتهم، وأثبتها له وحده، ولمن يأذن له فيها، فهو سبحانه ينفيها في حال ويثبتها في حال أخرى.

٧ ـ في سورة الواقعة جاء مرة: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٤﴾ [الواقعة: ١٣، ١٤].

---

(١) انظر: «رد مفتريات على الإسلام» (ص٣٧).

(٢) انظر: السابق (ص٧١).

ثم جاء مرة أخرى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة: ٣٩، ٤٠].

فهذا تناقض عند تيموثاوس ومجلسه[1].

الجواب[2]:

والآية الأولى تتحدث عن السابقين المقربين، والثانية تتحدث عن أصحاب اليمين... استفيقوا أيها الناقدون.

٨ ـ الحجر: آية ٨٥: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر: ٨٥]، **تناقض ما في سورة التوبة آية ٧٣:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ...﴾ [التوبة: ٧٣].

ووجه التناقض فيما يرى القوم أن الآية **الأولى أمرت بالصفح، والثانية أمرت بالغلظة**[3].

الجواب[4]:

سورة الحجر مكية، وفي مكة لم يكن إذن بالقتال.

والله تعالى يقول في آية الحجر: إنه لم يخلق هذا الكون عبثاً يفسد فيه من يفسد ويصلح من يصلح، بل الله جامع الناس بعد ذلك وجازٍ كلا بما فعل، فلا تحزن يا محمد لمخالفة القوم إياك ومعارضتهم دعوتك، وغداً تقوم الساعة فيجزون بسوئهم وتجزى بإحسانك، فأعرض عنهم حتى يأتي أمر الله.

---

(١) انظر: «رد مفتريات على الإسلام» (ص٣٧).

(٢) انظر: السابق (ص٧١)، و«حقائق الإسلام» (ص٧١).

(٣) انظر: «رد مفتريات على الإسلام» (ص٣٧).

(٤) انظر: السابق (ص٧١).

وسورة التوبة مدنية، وتسمى الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين، قد نزلت في حج أبي بكر بالناس، وكان الجهاد قد شرع قبل ذلك، ويسمى هذا العام عام الوفود؛ إذ أخذت قبائل العرب تتوافد على المدينة يدخلون في دين الله أفواجاً، ولم يبق بعدُ مسوغ لبقاء الكفار الذين يعبدون من دون الله أوثاناً، ولا لبقاء المنافقين الذين يفشون أسرار المسلمين ويخدعونهم، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، فيجب جهادهم لقطع قوم عن الكفر وآخرين عن النفاق، كي يعيش الناس في جو نظيف، خال من فساد العقيدة وفساد الأخلاق!. فأين التناقض؟.

الناس جميعاً يفعلون هذا، يقول قائد الفرقة لجيشه: لا تضربوا. وبعد مدة يقول: اضربوا.

ويقول المهندس الزراعي لفلاحيه: لا تزرعوا الآن. بعد شهر يقول: ازرعوا، وكُلٌّ حِكْمَةٌ.

قلتُ: ومن الأجوبة أن الآية الأولى المقصود بها حال الدعوة، والثانية حال الجهاد، فاختلف مورد كل آية، كما أن الوالد في حال نجاح ابنه يفرح ويحسن إليه بهدية، وفي حال رسوبه يغضب ويعاقبه، ولا يقال: إن هذا الوالد متناقض؛ لأنه مرة يفرح ومرة يغضب، ففرحه في مجال وغضبه في مجال آخر.

٩ ـ الأعراف: آية ٣٨: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، **وفي الأعراف: آية ١٧ يقول الشيطان لله تعالى**: ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧]؛ هذا تناقض عظيم جداً عندهم، كبراء القوم أضلوهم، والشيطان قال إنه يضلهم. **فمن**

الذي يضل هل هو الشيطان أم الكبراء[1]؟.

الجواب[2]:

وهل من التناقض أن يُضَلَّلَ الشخص من كثيرين؟ وأنتم أعضاء المجلس الملي، وجماعة المدعين أضلكم الشيطان، وأضلكم رؤساؤكم وأضللتم أنفسكم، وأضلكم جهلكم، وأضلكم كتابكم، ولا تناقض في شيء من هذا.

١٠ ـ الآية ٢٧٥ من البقرة وهي: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. **والآية ٢٩ من التوبة وهي:** ﴿قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩]، هاتان الآيتان متناقضتان فيما يرى تيموثاوس ومجلسه، **يقصدون أن الجزية مثل الربا[3]**.

الجواب[4]:

ويبدو أنهم أرادوا تكثير عدد الآيات؛ لأنهم ذكروا سورة والتين وسورة البلد مرتين تكثيراً للعدد! وهل الجزية رِباً؟ هذا فهمهم ولا يفهمه سواهم.

قلت:: شتان بينهما؛ فالربا لا يجوز أبداً سواء مع المسلم أو الكافر، وأما الجزية فهي ضريبة تجعل على الكفار مقابل حمايتهم في

---

(١) انظر: «رد مفتريات على الإسلام» (ص٣٧).

(٢) انظر: «رد مفتريات على الإسلام» (ص٧٢).

(٣) انظر: «رد مفتريات على الإسلام» (ص٣٧).

(٤) انظر: «رد مفتريات على الإسلام» (ص٧٣).

ديار المسلمين، أو إبقائهم في الأرض التي يفتحها المسلمون مقابل هذا المال، ويراعى فيها سعة القوم وفقرهم، ولا يجوز فيها التضييق عليهم.

١١ - الآية ٦٥ من سورة الأنفال، وهي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنفال: ٦٥]، **تناقض الآية ٤٨ من سورة الأحزاب، وهي:** ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب: ٤٨].

فزعموا أن هناك تضارباً بين الآيتين؛ ٥ الآية الأولى تطلب من النبي ﷺ تحريض المؤمنين وحثهم على القتال، بل والتجلد لقتالهم فإن العشرين الصابرين منهم يقتلون مائتين، والمائة الصابرة يقتلون ألفاً من الذين كفروا، بينما الآية الثانية تطلب من النبي ﷺ ألا يطيع الكافرين والمنافقين، وأن يدع أذاهم لا يقابلهم بمثله ويكفيه التوكل على الله، فهو حسبه وكفى بالله وكيلاً، فكيف يأمره في الأولى بالتحريض على قتالهم بهذا الجَلَد، ويأمره في الثانية بترك أذاهم، فظنوا هذا تناقضاً، فطاروا به فرحاً، واتخذوه حجراً يقذفون به كتاب الله[(١)].

والجواب[(٢)]:

ليس هناك أي تضارب، فالكافرون والمنافقون كانوا يؤذون رسول الله ﷺ بألسنتهم وباختلاق أقوال عليه، فأمره الله بأن يدع أذاهم له، فهو ﷻ يتولى رد كيدهم في نحرهم، ودحض افتراءاتهم على رسوله، فكفى بالله وكيلاً، فأمره في آية الأحزاب أن لا يقابل اللسان بالسنان.

---

(١) انظر: «رد مفتريات على الإسلام» (ص٣٧).

(٢) انظر: السابق (ص٧٣).

بينما أَمَرَه في شأن الكفار المحاربين أن يحرض المؤمنين على قتالهم، والتجلد لهم، فأمره الله سبحانه في آية الأنفال بمقابلة السنان بالسنان. فالحكمة تقتضي وضع السيف في موضعه واللين في موضعه، فلا تعارض إذن بين الآيتين.

وحتى مع التسليم بأن الأمر في سورة الأنفال يقابل الأمر في سورة الأحزاب، فإن هذا يناسب التدرج في تشريع القتال، على حسب ما تقتضيه طبيعة كل مرحلة من مراحل الدعوة من قوة وضعف، فلا تناقض.

١٢ ـ الآية ٢٠ من سورة آل عمران وهي: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠]، **تناقض الآية ٨٩ من سورة النساء وهي:** ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾ [النساء: ٨٩].

ووجه التناقض ـ فيما يرون ـ أن الآية الأولى ذكرت أنه ليس على الرسول إلا البلاغ، والآية الثانية أمرته بقتال المنافقين وجهادهم، وبهذا نجد هؤلاء المساكين يدورون في حلقة مفرغة، يعيدون ما قالوا ثم يكررونه[١].

الجواب[٢]:

الآية الأولى ـ ومثلها كثير جداً ـ تقول لرسول الله ﷺ: إنك

---

(١) انظر: «رد مفتريات على الإسلام» (ص٣٧).
(٢) انظر: «رد مفتريات على الإسلام» (ص٧٥).

لست مطالباً بخلق الهداية في نفوسهم، ولكن الله يهدي من يشاء، وإنما عليك أن تبلغ رسالة الله، فمن آمن بها وأسلم فقد اهتدى، ومن تولى فحسابه على الله، وحسبك أنك بلغت الرسالة، ولست مكلفاً بخلق الهداية.

والآية الثانية تتحدث عن المنافقين - وموقفهم يشبه موقف (المدعين) والمجلس المِلّي المزعوم - يتمنون أن يكفر المسلمين ككفرهم، وقد نُهي المسلمون أن يتخذوا منهم أصدقاء حتى يهاجروا في سبيل الله، ولا تعني الهجرة في هذا المقام الانتقال من مكة إلى المدينة؛ إذ السورة مدنية والمنافقون كانوا بالمدينة، ولكن المراد بالهجرة طاعة الله تعالى وترك المحرمات، وهذا من معاني الهجرة، ومن معانيها أيضاً الجهاد، وكان جماعة من المنافقين بقيادة عبد الله بن أُبي رجعوا قبل المعركة يوم أحد.

والقرآن ينهى المسلمين عن اتخاذهم أصدقاء؛ لأن ذلك تكريم لهم وإطلاع لهم على أسرار المسلمين، ادّعوا الإسلام وأعرضوا عن الدفاع عنه، وعاونوا أعداءه.

وليس في هذا خَلْقُ هداية في أنفسهم، وإنما التخلص منهم ومن شرورهم، والناس في كل أمة وفي كل عصر يقتلون الخونة. فهل هذا تناقض؟.

قلتُ: إن البلاغ أنواع؛ فبلاغ الكلمة، وبلاغ المال، وبلاغ الجهاد، فالجهاد إنما شرع لتبليغ دعوة الله إلى مشارق الأرض ومغاربها، حتى يصل الإسلام إلى جميع نواحي المعمورة.

١٣ - الآية ١٠٨ من سورة الأنعام تناقض الآية ٤ من سورة محمد: وآية الأنعام هي: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟

ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ...﴾ [الأنعام: ١٠٨]، **وآية سورة محمد هي**: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾ [محمد: ٤، ٥].

ولعل وجه التناقض ـ فيما يرون ـ أن الآية الأولى نهت المسلمين عن سب الأصنام التي يعبدها المشركون، والآية الثانية حثتهم على الجهاد[(١)]!.

الجواب[(٢)]:

القوم واهمون ومتحاملون؛ فالآية الأولى مكية سَنَّتْ للمسلمين أدباً خُلقياً، فنهتهم عن شتم الأصنام وهم يعلمون أنها لا تضر ولا تنفع، ولكن لو سبوها لسب الكفار الإله الخالق سبحانه عدواناً وجهلاً؛ لأنهم لم يعرفوه ولم يعرفوا صفاته. هذا أدب أخلاقي رفيع، وها نحن نجري عليه، فالجماعة (المدعون) والمجلس الملي يسبون ويشتمون ويقذفون النبي الكريم بأشنع الألفاظ، ونحن نلتزم المنطق ونغضي عن شتائمهم، هذا لعلمنا أن الشَّتائم لا جدوى من ورائها، وأن الشَّتَّام يحط دائماً من قدر نفسه، ولا ينال من قدر من شتمه شيئاً.

والآية الرابعة من سورة محمد تبين جانباً من تعاليم الحرب، فتعلم المسلمين أنهم إذا قابلوا الكفار في المعركة فعليهم أن يوقعوا بهم الضرب، فإذا أثخنوهم قتالاً وهزموهم كان لهم بعد ذلك أن يمنوا على من يستحق المن، وأن يأخذوا الفدية ممن يستحق أن يفدى.

---

(١) انظر: «رد مفتريات على الإسلام» (ص٣٧).

(٢) انظر: السابق (ص٧٥).

فليس في الآية إباحة لسب الأصنام، والآيتان في وقتين مختلفين لِكُلٍّ حُكْمُها على ما قدمنا.

قلت: ظَنَّ هؤلاء الجهالُ أنه طالما جاء النهيُ في سورة الأنعام عن سَبِّ أصنام الكفار، فمن باب أولى يجب الكفّ عن قتالهم؛ إذ القتال وضرب الرقاب أعظم من السَّبِّ.

ولو كانت لهم عقول لأدركوا علة النهي عن سبِّ أصنام الكفار في نفس الآية، وهي أن سبَّ آلهتهم يُفضي إلى حَمْلِ المشركين على سبِّ الله تعالى، وهم أجهلُ الناسِ بقدر الله، وليس للنهي في الآية أي علاقة بمراعاة مشاعر المشركين. ولكِنْ لضآلة عقولهم وسوء طَوِيَّتِهم نظروا إلى صَدْرِ الآية فقط وتركوا باقيها، فزعموا أن في القرآن آية تنهى عن سبِّ أصنام المشركين لحفظ مشاعرهم، وآية أخرى تأمر بضرب رقابهم، ومن خلال هذا الزعم رموا القرآن بالتناقض، فسبحان الله أين عقول القوم؟!.

١٤ ـ الآية ١٢٧ من سورة النحل، وهي: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾ [النحل: ١٢٧].
تناقض الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ [الشورى: ٣٩، ٤٠].

يعني أن الآية الأولى تأمر بالصبر على الذي يصيبه من الناس، والآية الثانية تأمر بالانتصار من الذي يصيبه(١).

والجواب(٢):

الآية الأولى مسبوقة بقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا

---

(١) انظر: «رد مفتريات على الإسلام» (ص٣٧).
(٢) انظر: السابق (ص٧٦).

عُوقِبْتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ﴾ [النحل: ١٢٦ ـ ١٢٧].

وكان رسول الله ﷺ أراد أن يُمَثِّلَ بعدد من المشركين، جزاء ما مَثَّلُوا بعمه حمزة في يوم أحد، فنهته الآية أن يزيد عما فعل بعمه، وبينت أن العفو أفضل.

وآيات الشورى تصف المؤمنين بأنهم إذا بغى عليهم أحد انتصروا لأنفسهم، وبينت كما بينت الآية الأولى أن جزاء السيئة يكون بقصاص مماثل، وأن من عفا وأصلح فإن الله تعالى يثيبه.

فالآيتان في مجرى واحد، كلتاهما تفضل العفو وتقيد العقوبة بالمماثلة!.

ولا يتأتى للمسلمين أن يُقاتَلوا ويُبغىٰ عليهم ويقفوا مكتوفي الأيدي، بل عليهم أن ينتصروا لأنفسهم ممن بغى عليهم، ولكنهم مع هذا الانتصار لا يظلمون. فما أروعه أدباً وأسماه سلوكاً.

وأنت تجد في الأناجيل أن المسيح يقول لتلاميذه: أحسنوا إلى أعدائكم وباركوا لاعنيكم. ومع هذا تجده يقول لليهود: يا أولاد الأفاعي، ترون القذاة[1] في أعين الناس ولا ترون الخشبة في أعينكم!.

وليس في هذا الكلام بركة ولا إحسان، وإنما هو توبيخ وزجر، فلم لم يباركهم ويحسن إليهم؟. ثم نجد الذي يقول: أحسنوا إلى أعدائكم. والذي يقول: ما جئت لأنقض الناموس. يقول أيضاً: لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لأُلقي سلاماً بل سيفاً، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها، والكنة[2] ضد حماتها.

---

(١) القذاة: ما يسقط في العين والشراب. انظر: مختار الصحاح (١/ ٢٢٠).

(٢) زوجة الابن. مختار الصحاح (١/ ٢٤٢).

والعهد القديم، والعهد الجديد كلاهما مليء بالمناقضات والخرافات، وهي رسائل وكتب من صناعة قوم انتحلوا صفة القداسة.

ومثل هذا لا يوازن به كلام القرآن المحكم؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وصدق الله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢] ولكن يتدبره من يفهمه، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [آل عمران: ٧][1].

الطائفة الثانية:

ـ وهذه رسالة أخرى وزعت على المراكز الإسلامية في أمريكا، موقعة باسم (توني بولدروجوفاك)، وأجاب عنها الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق[2]؛ كما يلي:

١٥ ـ السؤال أو الاعتراض الأول:

يقول السائل: كيف يمكن اعتبار القرآن قد أوحي إلى محمد، وفي نفس الوقت نجد أن محمداً ﷺ هو المتكلم في آيات عديدة كما في

---

(١) انتهت إلى هنا الرسالتان اللتان تطعنان في القرآن؛ الأولى رسالة في ست ورقات منسوبة إلى مجلس القبطي بالإسكندرية، والرسالة الثانية جاءت بالبريد من استراليا في إحدى وعشرين صفحة، وموقعة باسم: المدعون العامون في محكمة الحقيقة، ورد عليهما عبد الجليل شلبي في كتاب «رد مفتريات على الإسلام»، (ص٦٧ ـ ٧٧).

(٢) وهي رسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة ولم تطبع وتباع في المكاتب مصورة، وفي موقع الشيخ عبد الرحمن على الإنترنت (Salafy.net) نسخة كاملة من هذه الرسالة، لذلك ذكرت كلامه من غير إحالة لعدم وجود النص مطبوعاً، ولكني اجتهدت أن أوثق كل جواب له بذكر المراجع التي ذكرت نحو ما قال، وقد حذفت منها ما كان مكرراً وموجوداً في الرسائل الأخرى.

سورة الفاتحة الآيات من ٥ ـ ٧، وهي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة].

وفي سورة البقرة الآيات ١٠٥، ١١٧، ١٦٣، وهي: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٠٥﴾ [البقرة: ١٠٥]، ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝١١٧﴾ [البقرة: ١١٧] ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣].

وكما في سورة ٣ الآية ٢: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢].

وفي سورة رقم ٤٠ الآية ٦٥: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

والسورة رقم ٤٣ الآيتان ٨٩، ٨٨؟: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٨٩﴾ [الزخرف: ٨٨، ٨٩].

والجواب[(١)]:

إن السائل لا يعرف أساليب اللغة العربية، ولا طرائق البلغاء في الكلام، ولا منهجهم في البيان، ومعلوم أن القرآن نزل بلغة العرب، وقد تحدى الله الأولين والآخرين أن يأتوا بسورة من مثله؛ بلاغة، وفصاحة، وبياناً، وحلاوة. وبناءٌ معجز يستحيل الإتيان بكلام مثله في الحلاوة والبيان.

---

(١) انظر: «معرفة تأويل المتشابه»، د. عبد الله أبو السعود (ص٩٣).

ومن أساليب العرب في البيان أن يتحدث المتكلم عن نفسه تارة بضمير المتكلم، وتارة بضمير الغائب، كأن يقول المتكلم: فعلت كذا وكذا، وذهبت، وآمرك يا فلان أن تفعل كذا، وتارة يقول عن نفسه أيضاً: إن فلاناً ـ يعني نفسه ـ يأمركم بكذا وكذا، وينهاكم عن كذا، ويحب منكم أن تفعلوا كذا. كأن يقول أمير أو ملك لشعبه وقومه وهو المتكلم: إن الأمير يطلب منكم كذا وكذا. وهو يشير بذلك أن أمره لهم من واقع أنه أمير أو ملك.

وهذا أبلغ وأكمل من أن يقول لهم: إنني الملك وآمركم بكذا وكذا.

فقوله: إن الملك يأمركم. أكثر بلاغة من قوله: إنني الملك وآمركم.

وقد جاء القرآن بهذا النوع من البيان، كما في الآيات التي اعترض بها السائل فظن أن ذا لا يمكن أن يكون من كلام الله ﷻ، نحو قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾، وقوله في سورة آل عمران: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عمران: ١ ـ ٣]، فظن هذا الذي لا يعرف العربية أن الله لا يمكن أن يتكلم عن نفسه بصيغة الغائب، وأنه كان لا بد وأن يقول: (نزلت عليك يا محمد الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه...) ونحو ذلك. وهذا جهل بأساليب اللغة العربية، وموقعها في البيان والبلاغة.

ولا شك أن خطاب الله هنا وكلامه عن نفسه بصيغة الغائب، أبلغ من لو قال سبحانه: ألم، أنا الله لا إله إلا أنا، الحي القيوم، نزلت عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الآيات.

وعلى كل حال فهذا أسلوب من أساليب البلاغة في اللغة، والظن أن هذا يطعن في القرآن، وأنه ليس من عند الله، وإنما من عند الرسول ظن تافه ساذج في منتهى الركاكة والجهل.

ـ وأما الالتفات[1] في الخطاب من الحضور إلى الغيبة والعكس، كأن يخاطب المخاطب بضميره فيقول: إنك فعلتَ كذا وكذا، ثم تخاطبه تارة أخرى بضمير الغائب، فتقول له: فعل فلان كذا وكذا وأنت تعنيه. فهذا كذلك أسلوب من أساليب البلاغة: كقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ① أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ②﴾ [عبس: ١، ٢]، ولا شك أن النبي هو المقصود، ثم حول الله الخطاب إليه قائلاً: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ③ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ④﴾ [عبس: ٣، ٤].

ـ وأما أن القرآن كتاب تعليم وتوجيه، فقد جاء ليعلم المسلمين ماذا يقولون في صلاتهم، وبماذا يدعون ربهم، فقد أنزل الله سورة (الفاتحة) لتكون دعاءً وصلاة للمسلمين يتلونها في كل ركعة، وفيها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ② ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ③ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ④﴾ [الفاتحة: ٢ ـ ٤]، وهذا كلام الله عن نفسه سبحانه، يصف نفسه بهذه الصفات الجليلة العظيمة، ثم يعلم المسلمين أن يقولوا في صلاتهم ودعائهم هذا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ⑦﴾ [الفاتحة: ٥ ـ ٧].

فهذه السورة تعليم وتوجيه من الرب ﷻ لعباده المؤمنين؛ ليصلوا ويدعوا بها في كل ركعة من ركعات صلاتهم، وفي هذه السورة من

---

(١) انظر: «المعجم المفصل في علوم البلاغة»، د. أحمد عكاوي (ص٢٠٨)، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

البلاغة والإعجاز والمعاني ما لا تسعه هذه الرسالة الموجزة، ولو أن عالماً بالعربية تدبرها كفته إعجازاً وشهادة أن هذا القرآن منزل من الله ﷻ وليس من كلام بشر.

والخلاصة من هذا السؤال أن صاحبه إنما أتى به من كونه لا يعلم العربية، ولا أساليب البيان والفصاحة، وما أظن إلا أن معظم اللغات تعرف هذا اللون من التعبير، والذي يسمى بـ (الالتفات) أي التحول من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، لمقاصد كثيرة؛ كتخفيف العتاب، أو توجيه النظر إلى البعيد، أو استحضار المشهد، أو التعظيم، أو التحقير، ونحو ذلك من مقاصد البلغاء.

ـ وكذلك قوله ﷻ في سورة غافر: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥]، فهو خطاب الله ﷻ عن نفسه بصيغة الغائب، وهو تعريف للعباد بذاته العلية جل وعلا. وقد قدمنا أن هذا أسلوب من أساليب العربية في الخطاب.

١٦ ـ ومثل هذا أيضاً ما اعترض به هذا الجاهل باللغة، وهو قوله تعالى في (سورة الزخرف: ٨٧، ٨٨، ٨٩): ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [الزخرف: ٨٧ ـ ٨٩]. فإن هذا جميعه من حديث الرب جل وعلا عن نفسه، وعن رسوله، وأن محمداً ﷺ كان إذا سأل المشركين عن خالق السماوات والأرض، يعترفون أنه الله ﷻ، فعَجَّبَ الله نبيه ﷺ من حال هؤلاء المشركين، الذين يعتقدون بأن الله خالق السماوات والأرض ثم لا يفردونه وحده بالعبادة، ولا يؤمنون بقدرته على إحيائهم بعد موتهم، ثم ذكر الله توجع رسوله محمد ﷺ وشكاته من قومه، ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ أي: وهذا قول الرسول لربه: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ وعندئذٍ يأتيه الجواب وهو بمكة: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ

سَلَٰمٌ﴾ أي: لا تعلن حرباً عليهم الآن ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ ما يكون مآلهم في الدنيا من القتل بأيدي المؤمنين، ومآلهم في الآخرة من الخلود في النار أبد الآبدين.

وهذا الجاهل باللغة يظن أن قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٌ لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٨٨﴾ الآية، أن هذا من كلام محمد ﷺ، وإذن فالقرآن لا يمكن أن يكون من كلام الله.

ومثل هذا السخف لا يحتاج إلى رد، ولكن ماذا نفعل إذا كان هذا هو مستوى هؤلاء من العلم؟ ومع ذلك يعارضون القرآن، ويشككون في رسالة الإسلام.

١٧ ـ السؤال الثاني ونصه كما يلي:

السورة ١٠ (الآية ٣) ذكر بها أن خلق السماوات والأرض تم في ستة أيام، وفي السورة ٤١ (الآيات من ٩ إلى ١٢) ذكر بها أن خلق الأرض تم في يومين، وخلق الله الأنهار والغابات... إلخ في الأرض (بعد خلقها) في أربعة أيام، وأنه قد خلق السماوات في يومين، فالسورة ١٠ ـ فيما زعموا ـ تتناقض مع السورة ٤١ حيث إن ناتج جمع (٢ + ٤ + ٢ = ٨ أيام).

الجواب[١]:

هذا السؤال يتعلق بقوله تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ

---

(١) انظر: «درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز»، للإمام الخطيب الإسكافي (ص٢٨٤)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، و«فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن»، لأبي يحيى الأنصاري (ص٥٠٤)، بيروت، دار القرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، و«الرد على ابن النغريلة اليهودي» لابن حزم (ص٥٣)، والانتصارات الإسلامية للطوفي (١/ ٥٠٤).

ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢].

نعم، بجمع هذه الأيام دون فهم وعلم يكون المجموع ثمانية، وقد ذكر الله في مواضع كثيرة من القرآن أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام.

وما ظنَّه السائل تناقضاً فليس بتناقض؛ فإن الأربعة أيام الأولى هي حصيلة جمع اثنين واثنين؛ فقد خلق الله الأرض خلقاً أوَّليّاً في يومين، ثم جعل فيها الرواسي وهي الجبال ووضع فيها بركتها من الماء، والزرع، وما ذخره فيها من الأرزاق في يومين آخرين، فكانت أربعة أيام، فقول الله ﷻ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾، هذه الأيام الأربعة هي حصيلة اليومين الأولين ويومين آخرين، فيكون المجموع أربعة، وليست هذه الأربعة هي أربعة أيام مستقلة أخرى زيادة على اليومين الأولين، ومن هنا جاء الخطأ عند السائل، ثم إن الله خلق السماوات في يومين، فيكون المجموع ستة أيام بجمع أربعة واثنين. ولا تناقض في القرآن بأي وجه من الوجوه.

ثم إن القرآن لو كان مفتريًا ـ كما يدعي السائل ـ فإن محمداً ﷺ لم يكن ليجهل مثلاً أن اثنين وأربعة واثنين تساوي ثمانية، وأنه قال في مكان آخر من القرآن: إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام. فهل يتصور عاقل أن من يقدم على تزييف رسالة بهذا الحجم، وكتاب بهذه الصورة يمكن أن يخطئ مثل هذا الخطأ، الذي لا يخطئه طفل في السنة الأولى الابتدائية؟!.

لا شك أن من ظن أن الرسول ﷺ افترى هذا القرآن العظيم، ثم وقع في مثل هذا الخطأ المزعوم، فهو من أحط الناس عقلاً وفهماً. والحال أن السائل لا يفهم لغة العرب، وأن عربياً فصيحاً يمكن أن يقول: زرت أمريكا فتجولت في ولاية جورجيا في يومين، وأنهيت جولتي في ولاية فلوريدا في أربعة أيام، ثم عدت إلى لندن. لا شك أن هذا لم يمكث في أمريكا إلا أربعة أيام فقط، وليس ستة أيام؛ لأنه قوله: في يومين في أربعة أيام. يعني يومين في جورجيا ويومين في فلوريدا.

فقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي بزيادة يومين عن اليومين الأولين.

قلتُ: وقد ذكر هذا الطعن ابن النغريلة اليهودي ورد عليه ابن حزم بنحوه[1].

١٨ ـ السؤال الثالث هو:

السورة ٢١: الآية ٧٦ ذكر بها أن نوحاً وأهل بيته قد نجوا من الفيضان، يعني قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنبياء: ٧٦]، ولكن السورة ١١: الآيتان ٤٢ ـ ٤٣، ذكر بهما أن أحد أولاد نوح قد غرق؟ يعني قوله سبحانه: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٢ ـ ٤٣].

---

(١) «الرد على ابن النغريلة» اليهودي (ص٥٢).

الجواب[1]:

إن الاستثناء أسلوب معروف في لغة العرب، فيذكر المتكلم المستثنى منه على وجه العموم، ثم يخرج منهم من أراد إخراجه. ويمكن أن يأتي الاستثناء منفصلاً، ويمكن أن يأتي متصلاً. وفي سورة الأنبياء قال الله تعالى عن نوح: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ وقد بين ﷻ المراد بأهله في آيات أخرى، وهو من آمن منهم فقط، حيث أخبر ﷻ في سورة هود أنه قال لنوح: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، فقد أمره الله ﷻ أن يحمل أهله معه إلا من سبق القول من الله بهلاكهم، وقد كان قد سبق في علم الله أن يهلك ابنه مع الهالكين؛ لأنه لم يكن مؤمناً، ولم يكتب الله لأحدٍ النجاة مع نوح إلا أهل الإيمان فقط، وابنه لم يكن مؤمناً.

وبالتالي فلا تناقض بين قوله تعالى في سورة الأنبياء أنه نجى نوحاً وأهله، وبين ما جاء في سورة هود أنه أغرق ابن نوح؛ لأن ابن نوح لم يكن من أهله، كما قال تعالى لنوح لما سأله عن ابنه: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦]. وبالتالي فلا تناقض بحمد الله في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

١٩ ـ السؤال الرابع هو:

هناك أخطاء نحوية في القرآن، فيوجد به جمل غير متكاملة، ولا تفهم تماماً بدون إدخال بعض الكلمات الأخرى عليها (٢: ٥)،

---

(١) انظر: «معرفة تأويل المتشابه»، د. عبد الله أبو السعود (ص٧٩)، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠، وتفسير ابن كثير (٣/ ١٨٥).



(٧: ١٦٠ ـ ١٦١... إلخ)، ـ يعني قوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ٥]، ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝١٦٠ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٦١﴾ [الأعراف: ١٦٠، ١٦١].

إن ترتيب السور بالقرآن غير متصل تاريخياً أو منطقياً، فلا تشعر بوقت أو مكان. هناك شك في موضوعية تكامل القرآن؛ لأننا نجد أن أناساً وأماكن غير محددة وأحداثاً وضعت معاً في رؤية واحدة، وكأنهم جميعاً كانوا يعيشون معاً في نفس الزمان. وهذا يسبب مشاكل عديدة، واختلاط الأمر لكل من يحاول فهم القرآن كقطعة أدبية، لإعادة بناء حياة وتعاليم محمد بوسيلة مرتبة، فلا بد للفرد أن يقفز من سورة إلى أخرى في القرآن كله، ويترك الفرد بإحساس عدم التكامل وعدم الرضا؛ لأنه لم يحصل على القصة الكاملة، وهذا مضاد تماماً للإنجيل الذي كتب فيما يزيد عن عدة آلاف السنين بما يزيد عن ٤٠ مؤلفاً مختلفاً.

الجواب[١]:

إن صياغة هذا السؤال على هذا النحو يدل على أن كاتبه إما أنه لا يدرك شيئاً من اللغات، عربية كانت أم غير عربية، أو أنه يعترض لمجرد الاعتراض.

وتفصيل ذلك على هذا النحو:

---

(١) انظر: «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب»، للشنقيطي (ص٥).

(أ) الآية الخامسة من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ يشير الله بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ على المذكورين قبل ذلك وهم المتقون الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة، وينفقون مما رزقهم الله، ويؤمنون بالقرآن، والكتب التي نزلت على الرسل قبل القرآن، ويؤمنون بالآخرة، وهؤلاء المذكورون قد عبر الله عنهم بـ ﴿أُولَٰئِكَ﴾ ـ وهي اسم إشارة للبعيد ـ تعظيماً لشأنهم ورفعاً لمنزلتهم ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

ويبدو أن السائل ظن أن إشارة الله لهؤلاء المذكورين بـ ﴿أُولَٰئِكَ﴾ ـ وهي صيغة إشارة للبعيد ـ أن هذا خطأ نحوي؛ إذ يعبر عن القريب بالبعيد، ولم يفهم أن هذا أسلوب بلاغي من أساليب العرب، وهي تعبيرهم بالإشارة بالبعيد للتعظيم والتهويل أحياناً، وللتقليل والتحقير أحياناً حسب السياق ومرامي الكلام، وهنا عبر الله عن هؤلاء المتقين، الذين يتصفون بهذه الصفات بصيغة البعيد، وهي ﴿أُولَٰئِكَ﴾ رفعاً لشأنهم وإعلاء لمنزلتهم، ولا شك أن هذا أمر عظيم؛ لأن فيه إشارة ورفعة لهؤلاء المذكورين.

(ب) وأما قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأعراف: ١٦٠ ـ ١٦١].

واعتراض السائل هو: كيف يقول تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ويتكلم بصيغة الخطاب وهو قبل ذلك قد تكلم عن بني

إسرائيل بصيغة الغائب، وأنه سبحانه قطعهم اثنتي عشرة أسباطاً، وأنه قال لموسى كذا وكذا.

ومرة **أخرى** لا يفهم السائل أسلوب العربية، ولا بلاغة الخطاب، ويظن أن الانتقال من الغيبة إلى الخطاب خلل في الأسلوب، وخطأ نحوي!! وهذا يدل على أنه لا يعرف نحواً، ولا بلاغة، ولا يدرك معنى للفصاحة ولا البيان؛ فهذه الآية في منتهى الإعجاز والبلاغة؛ فإن الله تحدث فيها عن بني إسرائيل وما صنع لهم من الخير والإحسان، وأنه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى، وبدلاً من أن يقول: وقلت لهم: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾، أو: وقال لهم موسى: إن الله يقول لكم: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾؛ فإن الله حذف هذا وانتقل رأساً إلى القول دون ذكر القائل؛ لأن القائل معروف من السياق، وهو الرب تبارك وتعالى، ولا يمكن أن يفُهم أن القائل هو غير الرب جل وعلا؛ لأن القول هو ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾، فمن سيقول هذا القول إلا الله؟

ومعلوم أن حذف ما يعلم جائز، بل ذكر المعلوم ضرورة حشو وزيادة لا داعي لها، والقرآن ينزه عن الحشو والزيادة.

ويفهم كل من يعلم العربية أن قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ أن معنى ذلك وأنزلنا عليهم المن والسلوى وقلنا لهم: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ فحذف (وقلنا لهم)، أو (أمرنا موسى أن يقول لهم)؛ لأن هذه زيادة لا داعي لها في السياق لأنها معلومة!!.

(ج) وأما قول السائل: إن ترتيب السور غير متصل تاريخياً أو منطقياً؛ حيث لا يفهم القارئ الوقت ولا المكان. فهذا كذلك من قصور علمه وفهمه، وبعده عن إدراك الإعجاز القرآني في ترتيب

المصحف، والوحدة الموضوعية في السورة، وهذا باب عظيم لا تسعه العجالةُ للرد على هذه الشبهات السخيفة، وقد كتب في هذا مجلدات ومجلدات قديماً وحديثاً، وأُحيل السائلَ على كتابٍ مختصرٍ حديثٍ، وهو كتاب «النبأ العظيم» للشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله، وأظنه مترجماً إلى الإنجليزية.

وهنا في هذه الآية من سورة الأعراف لا يسجل الله الأحداث التي وقعت لبني إسرائيل من حيث كونها تاريخاً، وإنما يذكر إنعامه عليهم، ويسجل مخازيهم، ونكثهم لعهودهم وكفرانهم لنعمة الله سبحانه وتعالى، فهذه الأحداث التي وقعت لبني إسرائيل وإن كانت متباعدة في الزمان، ولكنها ذُكِرتْ مجتمعة في الآية لتذكرهم بنعم الله على آبائهم، ثم جحودهم ونكرانهم.

(د) وأما قول السائل (توني بولدروجوفاك): إن الإنجيل أفضل من القرآن من حيث الوحدة الموضوعية، والترتيب الزمني، وتسلسل الأحداث، فإن هذا مما يدل حقيقة وللأسف على تدني عقل السائل، وعدم تمييزه بين الكتاب المعجز المتناهي في البلاغة والعصمة والإحكام، وبين كتاب لم يسلم من التحريف والتبديل والتناقض، وهو أشبه بمذكرات يومية كتبها تلاميذ أو تلاميذ تلاميذ المسيح عليه السلام من الذاكرة، معبرين فيها عن تصور شخصي لهم، وتفسير شخصي للأحداث التي نقلت أو رآها بعضهم، وقد اختلفوا في هذا النقل اختلافاً كبيراً، وجاءت عباراتهم في كثير من الأحيان ركيكة متهالكة. ولا شك أن الإنجيل الحقيقي لم يكن كذلك، وإنما أتكلم عن الأناجيل الموجودة الآن بين أيدي النصارى، وهي مختلفة فيما بينها.

ولا شك أن القرآن الكريم لم ينزل قط على طريقة الأناجيل المحرمة، التي لا تعدو أن تكون ـ كما ذكرنا ـ مذكرات ويوميات لحياة

السيد المسيح عليه السلام، فيها كثير من الاختلاف والتناقض والتضاد، ومن ذلك ما ذكرناه آنفاً، ومنها كذلك نسبة المسيح إلى عنصرية بغيضة تارة، كالزعم أنه قال: (إن خبز البنين لا يجوز أن يعطى للكلاب). وذلك عندما استغاثت به امرأة كنعانية أن يشفي ابنتها. وقوله في مقام آخر: (لا كرامة لنبي في بلده). وتفضيله الأجناس الأخرى على بني إسرائيل، وكذلك قوله: (لم أبعث إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة). وقوله في مقام آخر: (اذهبوا واكرزوا بالإنجيل في العالم أجمع)!! فتارة يدعي أنه مبعوث لبني إسرائيل، وتارة للعالم أجمع، وكذلك قوله بوجوب التزام الشريعة كلها، ثم الادعاء أنه نسخ الشريعة كلها، وأباح للحواريين أن يأكلوا كل النجاسات والخبائث، وأن كل ما يدل على الأرض حلال لهم. وهذا التناقض كثير في الإنجيل.

وليس في الإنجيل قط ما يدل على أن الله تعالى أوحى شيئاً، أو شرع شيئاً، أو تكلم بنفسه كلاماً مباشراً، بل هو رواية عن أعمال المسيح، أو خبر عن المسيح أنه يقول: قال أبي كذا أو كذا. وليس في الإنجيل ما يدل على أن الله هو الذي يتكلم أو يخاطب عباده.

ومعلوم أن القرآن غير هذا تماماً، فليس القرآن مذكرات ويوميات كتبها النبي ﷺ، أو كتبها الصحابة عن حياة النبي ﷺ، وإنما القرآن هو كلام الله المعجز الذي ليس للنبي فيه إلا التبليغ فقط ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِيَ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥]، ولا مجال بتاتاً للمقارنة بين القرآن الكريم الكتاب العظيم الذي نزل تبياناً لكل شيء، فجمع الدين كله أصولاً وفروعاً، عقيدة وشريعة، وأخلاقاً وأمثالاً ووعظاً، وبين الأناجيل المحرفة المتناقضة التي لم تزد على كونها يوميات للسيد المسيح عليه السلام، يظهر فيها لكل ذي بصيرة التناقض والتزيد والتقول على الله بغير علم.

٢١ ـ السؤال الخامس هو:

هناك وجهات نظر متضاربة في ادعاء محمد النبوة؛ فالسورة (٥٣: الآية ١٠)، يعني قوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠]، ذكر بها أن الله نفسه أوحى إلى محمد. والسورة (١٦: الآية ١٠٢)، والسورة (٢٦: الآيات من ١٩٢: ١٩٤)، يعني قوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢]، ونحوها من الآيات ـ ذكر بها أن ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ نزلت إلى محمد، والسورة (١٥: الآية ٨)، وهي قوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾﴾ [الحجر: ٨]. ذكر بها أن الملائكة ـ وهم أكثر من واحد ـ نزلوا إلى محمد، والسورة (٢: ٩٧) يعني قوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة: ٩٧]؛ ذكر بها أن الملاك جبريل واحد فقط، لم يذكر في القرآن ولا في الأناجيل ما يقول أن «روح القدس» هي جبريل.

الجواب:

قوله ﷻ في سورة النجم (٥٣: ٣ ـ ١٢) عن رسوله محمد ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: ٣ ـ ٩] الآيات.

فهذا وصف لجبريل الروح القدس الأمين، الذي نزل على محمد ﷺ بحراء، وجاءه بالوحي من ربه، ولقد رآه رسول الله ﷺ على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح مرتين: واحدة في مكة في بدء الوحي، وثانية عندما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء، كما جاء ذلك في حديث السيدة عائشة أم المؤمنين ﵂ في الصحيحين. وجبريل المذكور

في سورة النجم (٥٣)، هو نفسه الذي ذكره الله في سورة النحل (١٦)، حيث يقول ﷻ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢]، فقد سماه الله روحاً؛ لأنه ينزل بما يحيي موات القلوب، وهو وحي الله إلى رسله، ووصفه بروح (القدس) أي المقدس المنزه عن الكذب أو الغش، فهو الذي قدسه الله ورفعه، وأعلى من شأنه عليه السلام.

وأما ما ذكره الله في سورة الحجر الآية رقم ١٥، فإن الله لم يذكر فيها أن الملائكة نزلوا على النبي ﷺ بالوحي، كما فهم هذا الجاهل حيث يقول: (والسورة رقم (١٥ : ٨) ذكر فيها أن الملائكة، وهم أكثر من واحد نزلوا على محمد. وإنما الآيات هكذا ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي الكفار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾﴾ [الحجر: ٦ ـ ٧]، فرد الله مقالة هؤلاء الكفار، الذين استعجلوا نزول الملائكة بالعذاب عليهم، وهو ما هددهم الله به إن أصروا على التكذيب، فقال تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾﴾ [الحجر: ٨]؛ أي إن الله لا ينزل الملائكة إلا بالحق، وإنهم إذا نزلوا نزلوا بالعذاب عليهم.

فمعنى ذلك أنهم غير ممهلين، والحال أن الله أمهلهم ليقيم الحجة عليهم، ولم يشأ ﷻ أن يعجل العقوبة الماحية المستأصلة لهم كما حدث للأمم السابقة، بل شاء الله أن يعاقبهم بالعقوبات التي لا تستأصلهم، فقد أنزل الملائكة في بدر وغيرها من معارك الرسول خزياً للكفار، ونصراً للرسول والمؤمنين.

وأما الآية ٩٧ من سورة البقرة فهي نص صريح في أن جبريل عليه السلام هو الذي أنزل القرآن على رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٩٧﴾ [البقرة: ٩٧]. وهذا رد على اليهود الذين كرهوا جبريل، وأنه ينزل بحربهم وهلاكهم، فأخبرهم الله أن هذا الملاك هو ملاك الرب، وأنه هو الذي أنزل القرآن على قلب محمد ﷺ.

وقد وصف الله جبريل في القرآن بأنه روح القدس؛ أي الروح المقدسة، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ...﴾ [النحل: ١٠٢]. وقد قدمنا معنى روح القدس.

٢٢ ـ السؤال السادس هو:

هناك آراء متضاربة في كيفية خلق الإنسان؛ فالسورة (٢٥: ٥٤) ـ وهي: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝٥٤﴾ [الفرقان: ٥٤] ـ يذكر بها أن الإنسان خلق من ماء، والسورة (٣٦: ٧٧، ٧٨) ـ وهي قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧﴾ [يس: ٧٧]؛ ذكر بها أنه خلق من نطفة، والسورة (٣٧: ٧١، ٧٢) ـ يعني قوله: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١﴾ [ص: ٧١] ـ؛ ذكر بها أنه خلق من طين، على الرغم من أن سجلات الحفريات لا تساند نظرية التطور.

ـ والجواب[1]:

أن الله ﷻ ذكر في كتابه الكريم ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ أنه بدأ خلق الإنسان بخلق أبي البشر آدم الذي خلقه من التراب، الذي أصبح طيناً يعجنه بالماء، ثم حمأ مسنوناً، أي طيناً محمراً، ثم سوّاه الله بأن خلقه بيديه سبحانه، ثم أصبح آدم وهو في صورته الطينية صلصالاً كالفخار، وهو الطين إذا يبس وجف، ثم

---

(١) انظر: «معرفة تأويل المتشابه»، د. عبد الله أبو السعود (ص٨٨)، و«حقائق الإسلام في مواجهة المشككين»، (ص٢٦٣).

نفخ الله فيه الروح فأصبح بشراً حيًّا، ثم أمر الملائكة بالسجود له بعد أن أصبح كذلك، ثم خلق الله من أحد أضلاعه زوجته حواء ـ كما جاء ذلك في الحديث النبوي ـ فهي أنثى مخلوقة من عظام زوجها، والله يخلق ما يشاء مما يشاء كيف يشاء، ثم لما عصى آدم بأكله من الشجرة التي نهاه الله أن يأكل منها، أهبطه الله إلى الأرض، ثم جعل الله تناسل آدم من اجتماع ماء الرجل وماء المرأة، والعرب تسمي المني الذي يقذفه الرجل في رحم الأنثى ماء، سماه الله في القرآن ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾ [السجدة: ٨]، وكل ذلك موجود في القرآن الكريم.

وهذا المسكين ظن أن هذه آراء متعارضة، ولم يفهم أن خلق آدم لم يكن كخلق حواء فآدم خلق من الطين، وحواء خلقت من ضلع آدم، وأن كل إنسان خلق من أنثى وذكر من ماء مهين، وأن عيسى عليه السلام خلق من أنثى بلا ذكر، كما قال تعالى عن عيسى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩].

وكان تنوع خلق البشر على هذه الصور؛ ليبين الله لعباده قدرته الكاملة، فهو يخلق ما يشاء مما يشاء كيف يشاء، وقد خلق الإنسان الأول آدم من طين من غير أنثى أو ذكر، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق سائر الخلق من اجتماع الذكر والأنثى، فسبحان من له القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة.

وهذا كله يدل على الخلق المستقل للإنسان، وأنه لا ينتمي إلى حيوانات هذه الأرض، فالتطور ـ إن كان حقاً ـ فهو إنما يكون في حيوانات وأحياء هذه الأرض فقط، وأما الإنسان فإنه خلق خلقاً مستقلاً في السماء، وإن كان الله قد خلقه من طين هذه الأرض، وهذا هو

الذي يؤيده العلم والنظر في الكون[1].

الطائفة الثالثة:

محاضرة عن تناقض القرآن ألقاها نصراني، ولم يُذكر اسمه ولا مكان إلقائها، وسجلت على شريط صوتي، وكتب عليه: (تهادوا تحابوا) (الدال على الخير كفاعله) (الكلمة الطيبة صدقة). تلبيساً على عوام المسلمين حتى يروج بينهم، وذكر فيه سبع عشرة شبهة، ومعظمها ذكرت سابقاً.

وابتعاداً عن التكرار فسأذكر ما لم يقله أصحاب الرسائل السابقة:

٢٣ ـ الشبهة الأولى: قال:

(مرة يقول محمد إن الجنة لليهود والنصارى والصابئين والمسلمين، ومرة يقول للمسلمين فقط: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢]، ويقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

ـ الجواب[2]:

إن آية البقرة تتكلم عن اليهود والنصارى والصابئين قبل بعثة النبي ﷺ، فكل من آمن بنبيه وأطاعه فله الجنة، وأما بعد بعثة النبي ﷺ

---

(١) وإلى هنا انتهت الرسالة، ورد الشيخ عبد الرحمن عليها.

(٢) انظر: «الرد على النصراني في مطاعن على القرآن»، لمحمد عبد المنعم (ص٤٦)، دار الشاطبي، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.

فقد نسخت شريعته الشرائع ونسخ دينه الأديان، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فهذا معنى الآية الأخرى.

ويؤيد ذلك ما أخرجه (ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قال سلمان رضي الله عنه: سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم، فذكرت من صلاتهم وعبادتهم فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ...﴾ الآية [البقرة: ٦٢]، وقال السدي: إن ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ...﴾ الآية، نزلت في أصحاب سلمان الفارسي بينا هو يحدث النبي ﷺ إذ ذكر أصحابه فأخبره خبرهم، فقال: كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك، ويشهدون أنك ستبعث نبياً. فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبي الله ﷺ: «يا سلمان، من أهل النار». فاشتد ذلك على سلمان، فأنزل الله هذه الآية. فكان إيمان اليهود: أنه من تمسك بالتوراة، وسنة موسى عليه السلام حتى جاء عيسى. فلما جاء عيسى، كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها، ولم يتبع عيسى كان هالكاً. وإيمان النصارى: أن من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمناً مقبولاً منه حتى جاء محمد ﷺ، فمن لم يتبع محمداً ﷺ منهم - ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل - كان هالكاً.

قلت[1]: هذا لا ينافي ما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [البقرة: ٦٢]. قال: فأنزل الله بعد ذلك: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

---

(١) القائل ابن كثير رحمه الله.



فإن هذا الذي قاله ابن عباس إخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقة ولا عملاً، إلا ما كان موافقاً لشريعة محمد ﷺ بعد أن بعثه به، **فأما قبل ذلك** فكل من اتبع الرسول في زمانه، فهو على هدى وسبيل ونجاة؛ فاليهود أتباع موسى عليه السلام والذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم، فلما بعث عيسى عليه السلام وجب على بني إسرائيل اتباعه والانقياد له، فأصحابه وأهل دينه هم النصارى، فلما بعث الله محمداً ﷺ خاتماً للنبيين، ورسولاً إلى بني آدم على الإطلاق، وجب عليهم تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانكفاف عما عنه زجر، وهؤلاء هم المؤمنون حقاً)[1].

ومن النصوص الصريحة في هذا الباب حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذه الْأُمَّةِ، يَهُودِيٌّ وَلا نصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[2].

٢٤ ـ قال:

(مرة نهى عن الفحشاء ومرة أمر بها، تناقض فظيع جداً، قال في الأعراف: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف: ٢٨]، وقال في الإسراء: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا . . .﴾ [الإسراء: ١٦].

الجواب من عدة أوجه:

١ ـ الأمر يطلق في الشرع ويراد به الأمر الشرعي، والأمر

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٠٣) بتصرف.

(٢) أخرجه مسلم: (كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا، رقم (١٥٣).

الكوني. والفرق بينهما: أن الأمر الشرعي لا يكون إلا فيما يحب سبحانه لكنه لا يلزم أن يتحقق، فالله تعالى يأمر بتطبيق شرعه، وهو يحب ذلك، لكن الكثير من الدول لم تفعل، والأمر الكوني يكون فيما يحب وما لا يحب، ولكنه لازم الوقوع؛ فالشيطان مخلوق بأمر الله، لكن الله تعالى لا يحبه، فالله لا يأمر بالفحشاء شرعاً، لكنها تقع كوناً، فإنه لا يقع شيء في هذا الكون إلا بأمر الله ومشيئته، ومن هذا الباب معنى آية الإسراء، فإنما يقضي الله على قرية بالهلاك، لانتشار الفسق والفحشاء والفجور فيها.

٢ ـ ولو سلمنا أن المراد هو الأمر الشرعي، فيكون هناك محذوف، والتقدير: أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها، يعني فخرجوا عن طاعة الله.

٣ ـ القراءة الأخرى تبين معنى آخر وهي (أمَّرنا) أي جعلناهم أمراء، فأضلوا قومهم.

٤ ـ أَمِرَ في اللغة تأتي بمعنى كَثُرَ وظهر، ولقد أخرج البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَ: (كُنَّا نَقُولُ لِلْحَيِّ إِذَا كَثُرُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَمِرَ بَنُو فُلانٍ)[1]، ومنه حديث أبي سفيان الطويل مع هرقل وفيه قال أبو سفيان: (لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ؛ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ)[2].

إذن معنى الآية أن كثرة المترفين الفاسقين في بلد وظهورهم نذير عذاب.

قال ابن كثير رحمه الله: (اختلف القراء في قراءة قوله ﴿أَمَّرْنَا﴾

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها...)، رقم (٤٧١١).

(٢) متفق عليه، البخاري: كتاب بدء الوحي رقم (٧)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي إلى هرقل رقم (١٧٧٣).

فالمشهور قراءة التخفيف، واختلف المفسرون في معناها؛ فقيل: معناه: أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمراً قدرياً، كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٢٤]؛ لأن الله لا يأمر بالفحشاء. وقيل: معناه أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة. رواه ابن جريج عن ابن عباس، وقاله سعيد بن جبير أيضاً.

وقال ابن جرير: يحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء. قلت: إنما يجيء هذا على قراءة من قرأ (أمَّرْنا مترفيها) قال علي بن طلحة: عن ابن عباس قوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا ...﴾ [الإسراء: ١٦] يقول: سلَّطنا أشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكهم الله بالعذاب، وهو قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ الآية. [الأنعام: ١٢٣]. وكذا قال أبو العالية، ومجاهد، والربيع بن أنس.

وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا ...﴾ [الإسراء: ١٦]؛ يقول: أكثرنا عددهم. وكذا قال عكرمة، والحسن، والضحاك، وقتادة وعن مالك عن الزهري: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] أكثرنا)[1].

٢٥ ـ قال النصراني في الشريط المسجل:

(مرة ينهى عن النفاق ومرات أخرى يقر النفاق)، فنهى عن النفاق في سورة النساء يقول: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩]، وأقر النفاق في النحل بقوله: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل: ١٠٦]،

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٢).

يعني في تصريح لكل إنسان أن يكذب إذا وقع في الأسر أو في أي مأزق، هذه نزلت في عمار بن ياسر الذي اعترف بالأصنام وكفر بالله وبمحمد، وقال: إن الذي ينكر الله وينافق الكافرين، وهو تحت الإكراه محلل له وليس عليه أي ذنب أو عقوبة، حاشا لله أن ينكر الإنسان إيمانه تحت الضغط والإكراه) اهـ.

الجواب:

الذي يظهر أن هذا النصراني يريد الاعتراض لمجرد الاعتراض والطعن، وإلا فالآيتان مختلفتان تماماً، كل واحدة منهما تتكلم عن أمر مستقل.

فالآية الأولى تتكلم عن النفاق، وهو إبطان الكفر وإظهار الإسلام، والآية الثانية تتكلم عن المكره على الكفر، أي إبطان الإسلام وإظهار الكفر، وشتان بين المعنيين، فإبطان الكفر وإظهار الإيمان لا يجوز في ملة من الملل؛ لأنه كذب وتزوير وغش وهذا كله محرم عقلاً، وأما إبطان الإيمان وإظهار الكفر في حال الإكراه الملجئ، من باب الحفظ على نفس المسلم، فهذا من محاسن شريعة الإسلام.

ولا أدري هل يزعم هو أن دين النصارى لا يجوز فيه إظهار الكفر للضرورة؟ قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة: ١١٣]، والذي نراه الآن هو أن النصارى تؤيد اليهود تأييداً كاملاً وتبرئهم من دم المسيح، بل وغيروا اسم كتابهم ليوافق اسم كتاب اليهود، فسموا الإنجيل العهد الجديد، والتوراة العهد القديم، فهم ـ بالجملة ـ يظهرون لهم التأييد، ويبطنون لهم البغض، ويرون أنهم ليسوا على شيء.

٢٦ ـ وقال:

(مرة حرم الخمر في الدنيا ومرة حلل الخمر في الآخرة، قال في المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠﴾ [المائدة: ٩٠] ، وقال في المطففين: ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦﴾ [المطففين: ٢٥، ٢٦].

الجواب:

١ ـ أحوال الآخرة تختلف عن أحوال الدنيا، فقد يجوز هناك ما يحرم هنا، ثم إن في الآخرة لا يوجد تكاليف، بل تسقط كل التكاليف، فهو نعيم أبدي.

٢ ـ خمر الآخرة تختلف عن خمر الدنيا، فهي خالية من المنغصات والآفات التي في خمر الدنيا، فقال تعالى: ﴿بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩﴾ [الواقعة: ١٨ ـ ١٩]، وقال: ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ۝٢٢ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ۝٢٣﴾ [الطور: ٢٢، ٢٣]، وقال: ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [محمد: ١٥].

فخمر الدنيا: ١ ـ طعمه غير لذيذ ٢ ـ وتحدث لمن شربها الصداع ٣ ـ وتذهب بعقله ٤ ـ ويكثر عندها اللغو واللغط، بل لا تحلو إلا بكثرة اللغو ٥ ـ وتوقع الإنسان في الآثام العظام من دخول تحت اللعنة وارتكاب للمحظورات، فلا يمتنع عن شيء منها، وكيف يمتنع وهو لا عقل له.

فهذه خمسة منغصات لخمر الدنيا نفاها الله عن خمر الآخرة: فالطعم لذة للشاربين، وهم لا يصدعون عنها ولا ينزفون؛ أي لا تذهب

عقولهم ولا لغو عندها ولا إثم فيها. وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۝٤٧﴾ [الصافات: ٤٥ ـ ٤٧]، وهذا الكأس من خمر الجنة، والمعين: الجاري الكثير، ولون هذه الخمر بيضاء أي حسنة المنظر، وهي ذات (لذة)، والغول: صداع في الرأس وقيل وجع في البطن، وهي ليس فيها هذا ولا هذا، (ينزفون) أي لا يسكرون منها[١]، فلا تذهب عقولهم، وتبقى لذتها.

لذلك من آثر خمر الدنيا على خمر الآخرة، فحري أن يحرمه، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الآخِرَةِ إِلا أَنْ يَتُوبَ»[٢].

٢٧ ـ وقال:

مرة يقول: فرعون نجا، ومرة يقول: فرعون غرق:

قال في يونس: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢﴾ [يونس: ٩٢]، وقال في الإسراء: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ۝١٠٣﴾ [الإسراء: ١٠٣].

الجواب:

هذا ليس تناقضاً كما هو ظاهر، بل فرعون مات غرقاً، لكن الله تعالى أخرج جثته للناس لتكون لهم آية[٣]. وهذا مما لا يتوقع المرء أن يقع فيه أي لبس، ولكن هو الهوى الذي يلقي صاحبه في المهاوي.

---

(١) «التسهيل لابن جزيّ» (٢/ ٢٣٥).

(٢) متفق عليه. البخاري: كتاب الأشربة، باب قول الله (إنما الخمر والميسر...) رقم (٥٢٥٣)، ومسلم: كتاب الأشربة، باب عقوبة من شرب الخمر إذا لم يتب رقم (٢٠٠٣).

(٣) انظر: «حقائق الإسلام» (ص٤٧٢).

ولا بأس أن ننقل بعض النقول عن السلف حتى يطمأن القلب:

(قال ابن عباس وغيره من السلف: إن بعض بني إسرائيل شكُّوا في موت فرعون، فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده سويًّا بلا روح، وعليه درعه المعروفة على نجوة من الأرض ـ وهو المكان المرتفع ـ ليتحققوا موته وهلاكه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أي نرفعك على نشز من الأرض ﴿بِبَدَنِكَ﴾ قال مجاهد: بجسدك. وقال الحسن: بجسم لا روح فيه. وقال عبد الله بن شداد: سوياً صحيحاً؛ أي لم يتمزق ليتحققوه ويعرفوه. وقال أبو صخر: بدرعك. وكل هذه الأقوال لا منافاة بينها كما تقدم، والله أعلم.

وقوله: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ أي لتكون لبني إسرائيل دليلاً على موتك وهلاكك، وأن الله هو القادر الذي ناصية كل دابة بيده، وأنه لا يقوم لغضبه شيء)[1].

٢٨ ـ وقال:

مرة يقول: إن الأرض خلقت قبل السماء. ومرات يقول: إن السماء خلقت قبل الأرض؛ قال في البقرة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال في النازعات: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٣١].

الجواب:

هناك فرق بين الخلق والدحي، فخلق الأرض كان قبل السماء،

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٣١).

ثم خلقت السماء، ثم دحيت الأرض، والدحي ـ على رأي ابن عباس وجماعة من السلف ـ هو إخراج الماء والمرعى، يعني أن الله تعالى خلق الأرض ككوكب، ثم خلق السماء وبقيةِ الأجرام، فلما انتهى من ذلك، بدأ يهيئ الأرض لأن تكون دار حياة للناس، فجعل فيها الماء والطعام (المرعى)[1].

ومثل هذا كمثل رجل بنى بيتاً من طابقين، فبنى الطابق الأول ثم بنى الثاني، ثم رجع إلى الأول ليكمل مرافقه ويمدد أسلاك الكهرباء فيه، وغير ذلك من مستلزمات العيش، فهو بنى الدور الأول، ثم الدور الثاني، ثم رجع للأول ليهيئه للسكنى.

وقد سئل الإمام السيوطي عن هذه المسألة شعراً فقال السائل:

يا عالم العصر لا زالت أناملُكم	تهمي وجودُكم نامٍ مدى الزمن
لقد سمعتُ خصاماً بين طائفة	من الأفاضل أهل العِلم واللسن
في الأرض هل خُلِقَت قبْلَ السماء وهل	بالعكس جا أثرٌ يا نزهة الزمن
فمنهم قال إن الأرض منشأة	بالخلق قبل السما قد جاء في السنن
ومنهم من أتى بالعكس مستنداً	إلى كلام إمام ماهر فطن
أوضح لنا ما خفي من مشكل وأبِن	نجّاك ربك من وزر ومن محن
ثم الصلاة على المختار منْ مضرٍ	ماحي الضلالة هادي الخلق للسنن

فأجاب:

الحمد لله ذي الإفضال والمنن	ثم الصلاة على المبعوث بالسنن
الأرض قد خلقت قبل السماء كما	قد نصه الله في (حم) فاستبن
ولا ينافيه ما في النازعات أتى	فدحوها غير ذاك الخلق للفطن

(١) انظر: «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ٣٧٤).

فالحبر أعني ابن عباس أجاب بذا | لـمـا أتـاه بـه قـوم ذوو لـسـن
وابن السيوطي قد قال الجواب لكي | ينجو من النار والآثام والفتن)[1]

وهذا الاعتراض عرض على بعض الصحابة، كابن عباس وغيره، وأجاب عنه[2]، وذكره ابن النغريلة اليهودي، ورد عليه ابن حزم في القرن الرابع[3]، ومع هذا لا زال يردد إلى الآن.

٢٩ ـ وقال:

قال في سورة يونس: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [يونس: ٩٤].

إذن محمد كان شاكاً في الوحي الذي كان يأتيه وكان مرتاباً، وهذه دعوة له أن يرجع إلى الكتاب المقدس.

الجواب:

لا زالت سلسلة الجهل باللغة مستمرة، ويوضح ذلك ما يلي:

١ ـ أسلوب الشرط من أساليب اللغة العربية، وله أدوات كثيرة منها (إن)[4] وهي حرف وجود لوجود، فمثلاً لو قلت لك: إن كنت في البيت اتصل بي، أو إن كان عندك كتاب الألفية لابن مالك فأعطنيه، فهذا الأسلوب لا يستلزم أني في البيت أو أن الكتاب عندي.

---

(١) «الحاوي للفتاوي»، لجلال الدين السيوطي (٢/ ١٩)، مكتبة السلام العالمية، القاهرة.
(٢) انظر: «فتح القدير» (٥/ ٣٧٤).
(٣) انظر: «كتاب الرد على ابن النغريلة اليهودي»، لابن حزم (ص٥١).
(٤) «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب»، لابن هشام (١/ ٢٩)، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

فكذلك هنا، لا يستلزم من هذا الأسلوب أن الرسول ﷺ شاك، كما فهم النصراني، لذلك ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لا أشك ولا أسأل»[1].

٢ ـ وقيل: إن هذا الخطاب للأمة، كما ورد في مواضع من القرآن[2]، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]، وغيره كثير.

٣ ـ وذهب ابن حزم إلى أن (إن) هنا بمعنى (ما) أي: فما كنت في شك مما أنزلنا إليك، كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقوله: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١]، قال: (لأن من المحال العظيم الذي لا يتمثل في فهم من له مسكة، أن يكون إنسان يدعو إلى دين يقاتل عليه، وينازع فيه أهل الأرض، ويدين به أهل البلاد العظيمة، ثم يقول لهم: إني في شك مما أقاتلكم عليه أيها المخالفون، ولست على يقين مما أدعوكم إليه وأحققه لكم أيها التابعون. . إلى مثل هذا السخف الذي لا يتصور إلا في دماغ هذا المجنون الجاهل[3])[4].

ثم إن معنى الآية: إن من أدلة صدق نبوتك يا محمد أن أهل الكتاب يعرفون ذلك، فاسألهم حتى يطمأن قلبك. وليس معناها اترك دينك واتبع أهل الكتاب، كما زعم النصراني[5].

إلى غير ذلك من الطعون الباردة الساذجة، التي يوردها المغرضون، وما هي إلا كبيت العنكبوت، أو كالزبد الذي يعلو على الماء ثم يموت.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة مرسلاً. انظر: «فتح القدير» للشوكاني (٢/ ٤٨٩).

(٢) «فتح القدير» (٢/ ٤٨٧).

(٣) يعني ابن النغريلة اليهودي.

(٤) «الرد على ابن النغريلة اليهودي» (ص٦٠).

(٥) هذه آخر الاعتراضات التي ذكرها النصراني في شريطه.



اتهام القرآن بمعارضة الحقائق

هذا المبحث هو الأخير في سلسلة المطاعن على القرآن، وهو ادعاؤهم أن القرآن يعارض الحقائق الثابتة؛ سواء كانت شرعية أو تاريخية أو كونية.

ومن هنا جعلت هذا المبحث في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

دعوى تعارض القرآن مع الحقائق الشرعية

ـ الطعن الأول:

كيف تزعمون أن محمداً ﷺ اصطفاه الله للرسالة وهيئه، مع وصفه له بالضلال[1]، فهو كقومه كان وثنياً، ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]؟.

ـ الجواب:

١ ـ (قيل إن العرب كانت إذا وجدت شجرة منفردة في فلاة من

(١) انظر: كتاب: «رد مفتريات على الإسلام»، لشلبي (ص٣٨)، عن رسالة المجلس الملي القبطي الأرثوذكسي بالإسكندرية، دائرة المعارف البريطانية» (ص٢٢).

الأرض لا شجر معها سموها ضالة، فتهتدي بها على الطريق، فقال الله تعالى لنبيه: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ أي: وجدك لا أحد على دينك فهديت بك الخلق إلي)[1]، ومن هذا حديث: (الحكمة ضالة المؤمن)[2].

أي أن الضلال هنا المقصود به الحقيقة اللغوية لا الشرعية، إذ لم يكن في ذلك الوقت شرع، وبعض المعاني اللغوية معنى جميل كما رأيت.

٢ ـ وقيل: إنه من قولك: ضللت الطريق. أي: لم تعرفه[3]، ومنه قولهم: ضالة الإبل والغنم. يعني التي لم تهتد لقومها، فالنبي ﷺ كان موحداً عارفاً بالله بفطرته وعقله، ولكنه لم يعرف كيف يعبده؛ لأنه لم ينزل عليه شرع، فهو ضال بهذا المعنى، أي لم يعرف طريق العبادة الصحيحة.

قال الراغب: (الضلال ترك الطريق المستقيم؛ عمداً كان أو سهواً، قليلاً كان أو كثيراً، ويصح أن يستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأ ما، ولذلك نسب إلى الأنبياء، وإلى الكفار، وإن كان بين الضلالين بون بعيد، ألا ترى أنه قال في النبي ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٧]، أي: غير مهتد لما سبق إليك من النبوة، وقال في يعقوب: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ۝٩٥﴾ [يوسف: ٩٥]، وقال أولاده: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨]. إشارة إلى شغفه بيوسف وشوقه إليه، وكذلك: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٣٠]، وقال عن موسى ﵇: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠﴾ [الشعراء: ٢٠]، تنبيه أن ذلك منه سهو، وقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا . . .﴾ [البقرة: ٢٨٢]،

---

(١) «ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي» (ص٢٩٣)، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم (٢٦٨٧)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب الحكمة، رقم (٤١٦٩)، وفيه: إبراهيم بن الفضل وهو متروك.

(٣) انظر: «لسان العرب» (١١/ ٣٩١).

[البقرة: ٢٨٢]، أي تنسى وذلك من النسيان الموضوع على الإنسان.

والضلال من وجه آخر ضربان:

ضلال في العلوم النظرية، كالضلال في معرفة الله ووحدانيته، ومعرفة النبوة ونحوهما، المشار إليهما بقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وضلال في العلوم العملية، كمعرفة الأحكام الشرعية التي هي العبادات)[١].

وهذا النوع يعذر فيه الإنسان إذا لم يبلغه، ألا ترى أن زيد بن عمرو بن نفيل[٢] دخل الجنة مع أنه لم يعرف كيف يعبد الله تعالى.

فقد أخرج البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ زَيْدَ بنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَحٍ[٣]، قَبْلَ أَنْ يَنزلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْوَحْيُ، فَقُدِّمَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سُفْرَةٌ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ وَلا آكُلُ إلا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ، وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا اللهُ، وَأَنزلَ لَهَا مِنْ السَّمَاءِ الْمَاءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنْ الأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللهِ!! إِنْكَاراً لِذَلِكَ وَإِعْظَاماً لَهُ)[٤].

وأخرج البخاري أيضاً (عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ: أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ

---

(١) «المفردات» (ص٥١٠).

(٢) وهو أبو سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، التقى بالنبي ﷺ قبل أن يبعث، ومات قبل البعثة بخمس سنوات، وهو من الباحثين عن الدين الحق. انظر: «ترجمته في «الإصابة» لابن حجر (٢/ ٦١٣).

(٣) بلدح: مكان في طريق التنعيم (٧/ ١٤٣).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، رقم (٣٦١٤).

نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ يَسْأَلُ عَنْ الدِّينِ وَيَتْبَعُهُ، فَلَقِيَ عَالِماً مِنْ الْيَهُودِ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ فَأَخْبِرْنِي؟ فَقَالَ: لا تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ اللهِ. قَالَ زَيْدٌ: مَا أَفِرُّ إِلا مِنْ غَضَبِ اللهِ، وَلا أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللهِ شَيْئاً أَبَداً، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُهُ، فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلا أَنْ يَكُونَ حَنِيفاً. قَالَ زَيْدٌ: وَمَا الْحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ، لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلا يَعْبُدُ إلا اللهَ.

فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَ عَالِماً مِنْ النَّصَارَى فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ لَعْنَةِ اللهِ. قَالَ: مَا أَفِرُّ إِلا مِنْ لَعْنَةِ اللهِ، وَلا أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ اللهِ وَلا مِنْ غَضَبِهِ شَيْئاً أَبَداً، وأَنَّى أَسْتَطِيعُ، فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلا أَنْ يَكُونَ حَنِيفاً. قَالَ: وَمَا الْحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلا يَعْبُدُ إِلا اللَّهَ.

فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، خَرَجَ، فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ.

وَقَالَ اللَّيْثُ: كَتَبَ إِلَيَّ هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما، قَالَتْ: رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَائِماً مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ، يَقُولُ: يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، وَاللهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي. وَكَانَ يُحْيِي الْمَوْءُودَةَ، يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ: لا تَقْتُلْهَا أَنَا أَكْفِيكَهَا مَئُونَتَهَا. فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا تَرَعْرَعَتْ، قَالَ لأَبِيهَا: إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مَئُونَتَهَا)[1].

وأخرج الإمام أحمد (عَنْ نُفَيْلِ بْنِ هِشَامِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب حديث زيد بن عمرو، برقم (٣٦١٦).



نُفَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ هُوَ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَمَرَّ بِهِمَا زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، فَدَعَوَاهُ إِلَى سُفْرَةٍ لَهُمَا، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنِّي لا آكُلُ مِمَّا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ. قَالَ: فَمَا رُئِيَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ أَكَلَ شَيْئاً مِمَّا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبِي كَانَ كَمَا قَدْ رَأَيْتَ وَبَلَغَكَ، وَلَوْ أَدْرَكَكَ لآمَنَ بِكَ وَاتَّبَعَكَ، أَفَأَسْتَغْفِرُ لَهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَاسْتَغْفِرْ لَهُ؛ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَه»[1].

وذكر ابن حجر في الإصابة أن الواقدي والفاكهي أخرجا بإسنادهما عن عامر بن ربيعة في حديث طويل، وفيه أن النبي ﷺ قال: «قد رأيته في الجنة يسحب ذيولاً»[2].

فزيد بن عمرو مع جهله بطريق العبادة، إلا أن فطرته دلته على وجود الله، وعقله هداه إلى توحيد الله، فكان يعبد الله على حسب اجتهاده، فهو مع ضلاله عن طريق العبادة الصحيحة ـ إلا أنه كان معذوراً لذلك ـ أدخله الله الجنة، ومن هذا الباب معنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٧]. أي: ضالًّا عن طريق العبادة الصحيحة فدلك عليها، وإن كان عارفاً بالله موحداً له.

٣ ـ ثم إننا نلزمهم بأمر وهو: هل هم يقولون هذا أيضاً في موسى عندما قال عن نفسه: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠﴾ [الشعراء: ٢٠].

٤ ـ ثم إننا لو تنزلنا لهم وسلمنا لهم بالمعنى الذي يريدون، فإن هذا لا يضره؛ فهو معذور بعدم العلم، إذ لم يضل عن علم بل ضل بغير علم، وهذا لا حرج عليه ولا مؤاخذة فيه، قال شيخ الإسلام ابن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند رقم (١٦٥١) وإسناده حسن، قال الهيثمي: رواه أحمد وفيه المسعودي وقد اختلط وبقية رجاله ثقات. [مجمع الزوائد (٩/ ٤١٧)].

(٢) «الإصابة» (٢/ ٦١٦).

تيمية: (وأما وجوب كونه ﷺ قبل أن يبعث نبياً لم يخطئ أو لا يذنب، فليس في النبوة ما يستلزم هذا)[1].

ولكن الحرج كل الحرج فيمن يعرف العلم والهدى ثم يتركه، كما هو حال اليهود والنصارى الذين يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم.

ـ الطعن الثاني:

كيف سُحِرَ النبي ﷺ مع أن الله تعالى يذكر كلام الكفار، ووصفهم النبي بالمسحور في مقام الذم في قول الله على ألسنتهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨].

ـ الجواب:

هذه الشبهة تردد كثيراً، وللأسف يرددها كثير من المعاصرين من العلمانيين، ومن أصحاب المدرسة العقلية، وممن يعلم صلاحه ويظهر حبه للدين[2].

أولاً: لا بد أن نعرف أن حديث سحر النبي ﷺ ثابت في «الصحيحين»، وقد تقدم معنا النقل عن ابن الصلاح، وهو أن ما كان في «الصحيحين» قد تلقته الأمة بالقبول[3].

ونص الحديث عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ

---

(١) «منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة والقدرية»، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٢/٣٩٦)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

(٢) انظر: «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير»، للرومي، (ص٣٤٧).

(٣) وقال ابن القيم: وهو حديث ثابت عند أهل العلم بالحديث لا يختلفون في صحته، وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيحه، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله ﷺ وأيامه من المتكلمين. التفسير القيم لابن القيم (ص٥٦٦).

إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ ـ وفي رواية: وأنه يأتي أهله ولا يأتي ـ حَتى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدِي دَعَا اللهَ وَدَعَاهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟»، قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «جَاءَنِي رَجُلانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَم ـ الْيَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ ـ قَالَ: فِي مَاذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ. قَالَ: فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْبِئْرِ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا نَخْلٌ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَ: «وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَأَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: «لا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِيَ اللهُ وَشَفَانِي، وَخَشِيتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا». وَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ[(١)].

فظاهر من الحديث أن السحر كان في الأمور الدنيوية، فهو يخيل إليه أنه أتى أهله ولكنه لم يفعل، ويخيل إليه أنه فعل الشي ولم يفعله[(٢)].

وأما الأمور الشرعية والوحي، فإنه محفوظ من الخطأ فيها، كما ثبت في النصوص الكثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤]. وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ:

---

(١) متفق عليه: البخاري: كتاب الطب، باب السحر، رقم (٥٤٣٣)، ومسلم: كتاب السلام، باب السحر، رقم (٢١٨٩).

(٢) ويرى الشيخ رشيد رضا أن هذا كان خاصاً فقط في إتيانه أهله، وأنه معنى قول عائشة: كان يخيل إليه أنه يأتي الشيء ولا يأتيه. كناية عن الجماع، كما جاء في تفسيره في الرواية الثانية. انظر: «تفسير الفاتحة» و«ست سوره من خواتيم القرآن»، لمحمد رشيد رضا، (ص١٣٧).

كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ فَقَالَ: «اكْتُبْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلا حَقٌّ»[1]. وغير ذلك من النصوص المتكاثرة.

(قَالَ الْمَازِرِيّ: أَنْكَرَ الْمُبْتَدِعَة هَذَا الْحَدِيث وَزَعَمُوا أَنَّهُ يَحُطّ مَنْصِب النُّبُوَّة وَيُشَكِّك فِيهَا، قَالُوا: وَكُلّ مَا أَدَّى إِلَى ذَلِكَ فَهُوَ بَاطِل. وَزَعَمُوا أَنَّ تَجْوِيز هَذَا يَعْدِم الثِّقَة بِمَا شَرَعَهُ مِنْ الشَّرَائِع؛ إِذْ يُحْتَمَل عَلَى هَذَا أَنْ يُخَيَّل إِلَيْهِ أَنَّهُ يَرَى جِبْرِيل وَلَيْسَ هُوَ ثَمَّ، وَأَنَّهُ يُوحِي إِلَيْهِ بِشَيْءٍ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ.

قَالَ الْمَازِرِيّ: وَهَذَا كُلّه مَرْدُود؛ لأَنَّ الدَّلِيل قَدْ قَامَ عَلَى صِدْق النَّبِيّ ﷺ فِيمَا يُبَلِّغهُ عَنْ الله تَعَالَى وَعَلَى عِصْمَته فِي التَّبْلِيغ، وَالْمُعْجِزَاتُ شَاهِدَاتٌ بِتَصْدِيقِهِ، فَتَجْوِيز مَا قَامَ الدَّلِيل عَلَى خِلافه بَاطِل.

وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّق بِبَعْضِ الأُمُور الدُّنْيَا الَّتِي لَمْ يُبْعَث لأَجْلِهَا، وَلا كَانَتْ الرِّسَالَة مِنْ أَجْلِهَا، فَهُوَ فِي ذَلِكَ عُرْضَة لِمَا يَعْتَرِض الْبَشَر كَالأَمْرَاضِ، فَغَيْرِ بَعِيد أَنْ يُخَيَّل إِلَيْهِ فِي أَمْر مِنْ أُمُور الدُّنْيَا مَا لا حَقِيقَةَ لَهُ مَعَ عِصْمَته عَنْ مِثْل ذَلِكَ فِي أُمُور الدِّين.

قَالَ: وَقَدْ قَالَ بَعْض النَّاس: إِنَّ الْمُرَاد بِالْحَدِيثِ أَنَّهُ كَانَ ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب العلم، باب في كتاب العلم، رقم (٣٦٤٦)، والإمام أحمد في المسند رقم (٦٤٧٤) والدارمي (المقدمة، باب من رخص في كتاب العلم، رقم (٤٨٤)، وهو صحيح؛ انظر: «صحيح سنن أبي داود» للألباني (٢/ ٦٩٥) رقم (٣٠٩٩).





يُخَيَّل إِلَيْهِ أَنَّهُ وَطِئَ زَوْجَاته وَلَمْ يَكُنْ وَطأَهُنَّ، وَهَذَا كَثِيراً مَا يَقَع تَخَيُّله لِلْإِنْسَانِ فِي الْمَنَام، فَلا يَبْعُد أَنْ يخَيَّل إِلَيْهِ فِي الْيَقِظَة.

قُلْت[1]: وَهَذَا قَدْ وَرَدَ صَرِيحاً فِي رِوَايَة ابْنِ عُيَيْنَةَ فِي الْبَاب الَّذِي يَلِي هَذَا، وَلَفْظه: «حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاء وَلا يَأْتِيهِنَّ». وَفِي رِوَايَةَ الْحُمَيْدِيّ: «أَنَّهُ يَأْتِي أَهْله وَلا يَأْتِيهِمْ».

قُلْت: وَوَقَعَ فِي مُرْسَل عَبْد الرَّحْمَن بْن كَعْبٍ عِنْد ابْنِ سَعْد: «فَقَالَتْ أُخت لَبِيد بْن الْأَعْصَم: إِنْ يَكُنْ نَبِيًّا فَسَيُخْبَرُ، وَإِلا فَسَيُذْهِلُهُ هَذَا السِّحْر حَتَّى يَذْهَب عَقْله».

قُلْت: فَوقَعَ الشِّقّ الأَوَّل[2] كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيث الصَّحِيح. وَقَدْ قَالَ بَعْض الْعُلَمَاء: لا يَلْزَم مِنْ أَنَّهُ كَانَ يَظُنّ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْء وَلَم يَكُنْ فَعَلَهُ أَنْ يُجْزَم بِفِعْلِهِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يَكُون مِنْ جِنْس الْخَاطِر يَخْطِر وَلا يَثْبُت، فَلا يَبْقَى عَلَى هَذَا لِلْمُلْحِدِ حُجَّة.

وَقَالَ عِيَاض: وَيُؤَيِّد جَمِيع مَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ لَمْ يُنْقَل عَنْهُ فِي خَبَر مِنَ الأَخْبَار أَنَّهُ قَالَ قَوْلاً فَكَانَ بِخِلاف مَا أَخْبَرَ بِهِ.

وَقَالَ الْمُهَلَّب: صَوْن النَّبِيّ ﷺ مِنْ الشَّيَاطِين لا يَمْنَع إِرَادَتَهمْ كَيْدَهُ، فَقَدْ مَضَى فِي الصَّحِيح أَنَّ شَيْطَاناً أَرَادَ أَنْ يُفْسِد عَلَيْهِ صَلاته فَأَمْكَنَهُ الله مِنْهُ، فَكَذَلِكَ السِّحْر مَا نَالَهُ مِنْ ضَرَره مَا يُدْخِل نَقْصاً عَلَى مَا يَتَعَلَّق بِالتَّبْلِيغِ بَلْ هُوَ مِنْ جِنْس مَا كَانَ يَنَالهُ مِنْ ضَرَر سَائِر الْأَمْرَاضِ مِنْ ضَعْف عَنْ الْكَلام، أَوْ عَجْز عَنْ بَعْض الْفِعْل، أَوْ حُدُوث تَخَيُّل لا

---

(١) القائل ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) يعني أنه أُخبر.

يَسْتَمِرّ، بَلْ يَزُول وَيُبْطِل الله كَيْد الشَّيَاطِين)[1].

ومثل هذا قوله تعالى عن موسى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝٦٦﴾ [طه: ٦٦]، فسحر النبي ﷺ مثل سحر موسى عليه السلام وهو أن يخيل إليه الشيء، فمن أنكر الحديث ماذا يقول عن هذه الآية؟.

ونزيد الأمر توضيحاً فنقول: السحر الذي أراده المشركون غير السحر الذي حصل للنبي ﷺ، فهم أرادوا: المسحور، يعني الذي يصل إلى حد الجنون والافتراء، وقول ما لا يعقل ودخول الجن في المسحور، وهذا لا شك أنه باطل في حق النبي ﷺ، وأما سحر النبي ﷺ فهو من نوع التخيل الذي يحصل لأي إنسان يقظةً ومناماً، وهذا لا يضر في مقام النبوة.

ـ الطعن الثالث:

كيف يسحر النبي ﷺ مع أن الشياطين لا تسلط على عباد الله الصالحين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحجر: ٤٢]، ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ۝١٠٠﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠]، فسحر النبي دليل أنه من الغاوين وأنه من الذين يتولون الشيطان[2]؟.

الجواب:

السحر أنواع[3]:

١ ـ سحر بالأدوية.

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٢٣٧).

(٢) ذُكرت هذه الشبهة في غرفة النصارى في الباتوك على الإنترنت، للأسف ولم يجب عليها أحد من المسلمين.

(٣) انظر: «فتح الباري» (١٠/ ٢٣٩).

٢ ـ سحر لا حقيقة له بل هو خيال أو خفة يد.

٣ ـ سحر بالاستعانة بالشياطين.

إذن فليس كل أنواع السحر تسلط من الشياطين على المسحور، وذهب بعض العلماء إلى أن سحر النبي ﷺ من نوع الأدوية؛ قال ابن حجر: (وَاسْتَدَلَّ ابْن الْقَصَّار عَلَى أَنَّ الَّذِي أَصَابَهُ كَانَ مِنْ جِنْس الْمَرَض، بِقَوْلِهِ فِي آخِر الْحَدِيث: «فَأَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي الله».

وَفِي الاسْتِدْلال بِذَلِكَ نَظَرَ، لَكِنْ يُؤَيِّد الْمُدَّعَى أَنَّ فِي رِوَايَة عَمْرَة عَنْ عَائِشَةَ عِنْد الْبَيْهَقِيِّ فِي الدَّلائِل «فَكَانَ يَدُور وَلا يَدْرِي مَا وَجَعه». وَفِي حَدِيث ابْنِ عَبَّاس عِنْد ابْن سَعْد: مَرِضَ النَّبِيّ ﷺ وَأُخِذَ عَنِ النِّسَاء وَالطَّعَام وَالشَّرَاب، فَهَبَطَ عَلَيْهِ مَلَكَانِ... الْحَدِيث)[1].

ولو سلمنا أنه من النوع الشيطاني، فليس كل تعرض من الشيطان للإنسان معناه أنه ليس من عباد الله، وفرق كبير بين التعرض والمحارشة وبين التسلط، ويؤيد ذلك ما أخرجه مسلم عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»[2].

فكل صالح يتعرض له الشيطان، بل هذه وظيفته في الحياة، وهو أقسم على إغواء بني آدم.

ولو سلمنا أن هذا من التسلط فإنه لفترة محدودة، ثم بعد ذلك يذهبه الله تعالى، ويرجع المسلم إلى حاله الأولى؛ فهذا آدم عليه السلام أغواه

---

(١) «فتح الباري» (١٠/٢٣٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، رقم (٢٨١٢).

الشيطان حتى وقع في أكل الشجرة، وهذا موسى قتل نفساً بغير نفس فقال: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥].

ولا يقول أحد أن هذا من التسلط بمعنى التحكم والإغواء والتضليل، بل يبقى آدم وموسى من خير أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ـ الطعن الرابع:

(كيف يذكر في القرآن أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم ـ يعني من مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾ [البقرة: ٣٤] ـ مع أن هذا الدين اشتهر بالتشدد في إنكار الشرك وتكفير كل ساجد لغير الله)(١).

الجواب:

السجود نوعان؛ سجود تحية وإكرام، وسجود عبادة وإعظام، فسجود العبادة لا يجوز في جميع الملل وعند جميع الرسل، بل لا يسجد الإنسان إلا لله وحده، وأما سجود التحية فهذا كان جائزاً في شرع من قبلنا، كما حصل ليوسف عندما خرَّ له أبواه وإخوته سُجَّداً، فلم ينكر عليهم، ومن هذا الباب سجود الملائكة لآدم، وأما في شرعنا فقد نسخ سجود التحية، درأ للفتنة وسَدًّا لأبواب الشرك وطرائقه.

قال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠]: (وقد نسخ الله ذلك كله في شرعنا، وجعل الكلام بدلاً عن الانحناء. وأجمع المفسرون أن ذلك السجود على أي وجه كان، فإنما كان تحية لا عبادة، قال قتادة: هذه كانت تحية الملوك عندهم، وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة)(٢).

---

(١) «حقائق الإسلام» و«أباطيل خصومه»، للعقاد (ص٢٧٦)، المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي (٩/ ١٧٤).

على أن كثيراً من العلماء يقولون: إن السجود هنا المقصود به المعنى اللغوي للسجود، وهو عموم الانحناء، والميل والاحترام، ولا يلزم منه أن يخر على الأرض[1].

المطلب الثاني

دعوى تعارض القرآن مع الوقائع التاريخية

وقد أشعل أوار هذه الفتنة، وحمل رايتها: محمد خلف الله، في كتابه «الفن القصصي في القرآن الكريم»، وإن كان هو لم يبتدعها بل أخذها من المستشرقين، ومنهم:

(المستشرق الألماني هوروفيتش[2] (١٨٧٤ ـ ١٩٣١) الذي تحتوي بحوثه القرآنية على طائفة كبيرة من الملاحظات والمعلومات، والجزء الأول من كتابه «مباحث قرآنية» يعالج النصوص القصصية في القرآن. ويقسم كلامه إلى: عموميات وشكليات، أساطير رادعة... إلخ.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ومن وسائل الغزو الفكري، لأستاذنا الدكتور نبيل غنايم (ص٥٨٩).

(٢) هوروفتش (١٨٧٤م ـ ١٩٣١م) مستشرق ألماني يهودي، تعلم في جامعة برلين، وعين مدرساً فيها عام (١٩٠٢م)، واشتغل في الهند من ١٩٠٨م إلى ١٩١٤م مدرساً للغة العربية في كلية عليكرة الإسلامية، كما اشتغل أميناً للنقوش الإسلامية في الحكومة الهندية البريطانية، وعاد إلى ألمانيا عام ١٩١٤م، وعين مدرساً للغات السامية في جامعة فرانكفورت حتى وفاته، كانت رسالته للدكتوراه عن كتاب المغازي للواقدي، وتولى تحقيق جزأين من «طبقات ابن سعد» وألف كتاب «مباحث قرآنية» وغيرها من المؤلفات. انظر: «موسوعة المستشرقين» للدكتور عبد الرحمن بدوي (ص٦٢١) بتصرف واختصار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.

والأستاذ بروكلمان[1] الذي أورد بعض العناوين البارزة لموضوعات كتبت في قصص القرآن، وهي تاريخياً كما يلي:

١ ـ الهجادة في قصص القرآن، بقلم سجبار، ليبزيج ١٩٠٧م.

٢ ـ مصادر القصص الإسلامية في القرآن وقصص الأنبياء، بقلم سايدر سكاي، باريس، ١٩٣٢م.

٣ ـ القصص الكتابي في القرآن، بقلم سباير جريفنا ينخن، ١٩٣٩م.

وبعد هذا نجد المستشرق المجري بيرانت هيللر (١٨٥٧ ـ ١٩٤٣م) يتخصص تقريباً في جزء من قصص القرآن، فينشر بحوثاً في مجلة الفصول بعنوان:

١ ـ قصة أهل الكهف، عام ١٩٠٧.

٢ ـ عناصر يهودية في مصطلحات القرآنية الدينية، ١٩٢٨م.

٣ ـ قصص القرآن، عالم الإسلام، ١٩٣٤)[2].

* ثم جاء المعاصرون بعد ذلك ـ من بني جلدتنا ـ ليكملوا المشوار، ونفذوا تلك الأباطيل بأقوال تنبئ عن سوء طوية وفساد قصد، تلك هي أقوالهم:

---

(١) كارل بروكلمان (١٨٦٨م ـ ١٩٥٦م) مستشرق ألماني مشهور، التحق بجامعة روستوك في ١٨٨٦م، ودرس فيها العربية، وتتلمذ على نولدكة كثيراً، ونال الدكتوراه عام ١٨٩٣م في برسلاو برسالة عن ابن الجوزي وكتابة «تلقيح فهم أهل الآثار»، ومن مؤلفاته المشهورة: «تاريخ الأدب العربي» الذي ذكر فيه المخطوطات العربية وأماكن وجودها، وهو في خمسة مجلدات، وبذل فيه جهوداً كبيرةً، وكان يتقن إحدى عشرة لغة شرقية وست لغات غربية، وبلغت مؤلفاته (٥٥٥) مؤلفاً. انظر موسوعة المستشرقين (ص٩٨) باختصار.

(٢) انظر «المستشرقون والدراسات الإسلامية»، للدكتور محمد حسين الصغير (٧٤ ـ ٧٥)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.



يقول طه حسين: (للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة وبالقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي)[1].

ـ ثم قام محمد خلف الله بجمع كل هذه المغالطات، وما أوردوه من شبه على هذه القضية وسوَّد فيها كتاباً من خمسمائة صفحة وسمَّاه: «الفن القصصي في القرآن الكريم»[2]، ووافقه على هذا أمين الخولي وزوجته عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)[3].

قدم خلف الله مقدمة في بيان أن هناك فناً من الفنون، هو ما يسمى بالفن القصصي، وهذا الفن يُعتمد فيه على جمال الأسلوب، وترابط الفكرة مع الهدف النبيل من القصة، ولا يضير هذا الفن كون القصة ملفقة أو خيالية ما دام أن الهدف نبيل والغاية نافعة.

ثم بنى على هذه المقدمة أن قصص القرآن هي نوع من أنواع هذا

---

(١) في الشعر الجاهلي لطه حسين (ص٢٦) عن كتاب منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير (ص٤٤٧).

(٢) النسخة التي بين يدي من مطبوعات سينا للنشر، القاهرة، وهي الطبعة الرابعة، ١٩٩٩م، وأما الطبعة الأولى فقد طبعت عام ١٩٥١م. وقد أشرف على الرسالة أمين الخولي ـ زوج عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ـ مقرًّا له على كل ما قال. وقد أحدثت هذه الرسالة ضجة مدوية في وقتها حيث تقدم الطالب محمد أحمد خلف الله عام ١٩٤٧م في كلية الآداب بجامعة فؤاد رسالة للحصول على الدكتوراه عن «الفن القصصي في القرآن الكريم»، وقرر فيها أن القرآن يذكر أشياء لم تقع، وقد تم رفض الرسالة وفصل الطالب، انظر: «منهج المدرسة العقلية الحديثة للرومي» (ص٤٤٥). وقد حرصت على مقابلته، فسألت عنه فعلمت أنه توفي قبل ثلاثة أعوام تقريباً، والعجيب أنه كان من المدافعين عن د. نصر حامد أبو زيد عندما أقيمت عليه قضية الردة.

(٣) انظر: «مدخل إلى علم التفسير»، للدكتور محمد بلتاجي (ص١٧٠).

الفن في جميع صفاته، لذلك فلا يلزم أن تكون كل قصة يذكرها القرآن قصة واقعية.

ثم بعد ذلك أخذ يقرر هذه الدعوى بأن الكثير من القصص القرآنية ليست صحيحة تاريخاً، بل التاريخ يخالفها.

وقد طرح خلف الله كلامه بكل جرأة، حتى إنه لم يجد ضيراً أن يقول ما قال الكفار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]؛ قال خلف الله: (إنا لا نتحرج من القول بأن القرآن أساطير)[(١)].

وقال: (أصبح العقل الإسلامي غير ملزم بالإيمان برأي معين في هذه الأخبار الواردة في القصص القرآني؛ وذلك لأنها لم تُبلغ على أنها دين يتبع... ومن هنا يصبح من حق العقل البشري أن يهمل هذه الأخبار، أو يجهلها، أو يخالف فيها، أو ينكرها)[(٢)].

ثم لم يقتصر على ذلك حتى قال: (ومن هنا يصبح من حقنا، أو من حق القرآن علينا، أن نفسح المجال أمام العقل ليبحث ويدقق، وليس عليه من بأس في أن ينتهي من هذه البحوث إلى ما يخالف هذه المسائل، ولن تكون مخالفة لما أراده الله أو لما قصد إليه القرآن؛ لأن الله لم يرد تعليمنا التاريخ، ولأن القصص القرآني لم يقصد إلا إلى الموعظة والعبرة، وما شابهها من مقاصد وأغراض. إن المخالفة هنا لن تكون إلا مخالفة لما تتصوره البيئة ولما تعرفه عن التاريخ، ولم يقل قائل بأن ما تعرفه البيئة العربية عن التاريخ هو الحق والصدق، ولم يقل بأن المخالفة لما في أدمغة العرب من صور عن التاريخ هي الكفر

---

(١) «الفن القصص في القرآن الكريم»، لمحمد خلف الله (ص٢٠٩).

(٢) المرجع السابق (ص٧٤).

والإلحاد، بل لعل هذه **المخالفة واجبة** حتى يكون تصحيح التاريخ وخلوه من الخيالات والأوهام)[1].

فمخالفة القرآن عنده واجبة لأجل التاريخ، فتصحيح التاريخ عنده أهم من تصحيح القرآن.

فانظر إلى هذا الهذيان الذي تشمئز منه نفوس المسلمين وتقشعر منه جلودهم!!.

ولست في مقام الرد على هذا الكتاب وكل مغالطاته، بل إنما أريد الرد على هذه القضية وهي دعوى معارضة القرآن للحقائق التاريخية.

وسوف أقسم الرد على نوعين: ردود إجمالية، ثم الردود التفصيلية. وإليك البيان.

الردود الإجمالية:

١ ـ هذه الدعوى مخالفة لإجماع الأمة على أن كل قصص في القرآن إنما تحكي واقعاً حقيقياً[2].

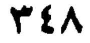
٢ ـ هناك نصوص ترد هذه الدعوى، بل هي في محل النزاع، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١]، قوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ﴾ [آل عمران: ٦٢]، وكقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥]، أي صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام[3].

---

(١) «الفن القصصي»، (ص٢٥٥).

(٢) انظر: «منهج المدرسة العقلية في التفسير»، للرومي (ص٤٤٢).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٦٧).



كل ما في القرآن إما أخبار أو أحكام، فكل أخباره صدق وكل أحكامه عدل، ومن الأخبار قصص الأمم السابقة مع أنبيائها.

٣ ـ لا شك أن القصة من أهدافها العبرة، وأحياناً قد يختلق القاص القصة وينسخها من وحي خياله، لكن هذا ليس هو الكمال؛ فكون الراوي يأخذ العبرة من قصة واقعية هو الأكمل، والقرآن لا يأتي إلا بالكمال، كما قال سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: ٣]، وما كان لأحسن القصص أن تكون كذباً.

٤ ـ (إن الله تعالى ـ وهو القادر الحق ـ أعظم من أن يلجأ في كتابه المنزل ـ الذي أنزله لهداية الخلق جميعاً ـ لاستخدام الباطل والأكاذيب ليجتذب بها العرب من معاصري نزوله إلى الإيمان، وهو يعلم أن هذا الكتاب سيؤمن به غيرهم في أزمنة وأمكنة أخرى، فما هي نسبة العرب الذين عاصروا نزول القرآن ـ وأتى بما عندهم من أساطير وأوهام كما زعموا ـ إلى من أسلم ويسلم في كل عصر ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وهل يصح مثل هذا القول إلا بناء على عقيدة ترى أن الإسلام (دين محلي)، نزل إلى شبه الجزيرة في القرن السابع الميلادي، واجتذبهم إلى الإيمان بموافقته لما كان عندهم من أوهام وخيالات وأباطيل تخالف التاريخ الحق؟

وهل يعقل أن الله تعالى لم يعلم حال من سيؤمن بالقرآن من غير هؤلاء، ممن تتكشف لهم حقيقة هذه (الأوهام) ـ كما زعم أصحاب النظرية؟!

ـ وألا يقودنا القول بذلك إلى سؤال بالغ الأهمية هو: كيف يلجأ



الخالق ـ جل وعلا عما يقولون ـ إلى موافقة خيالات وأوهام العرب الجاهلين وقت نزوله، وهو القادر ـ بطريق القطع ـ على أن يصوغ كتابه المنزل من الحقائق المتفقة مع الواقع والتاريخ، التي تحدث أثرها من الموعظة والعبرة في نفس الوقت؟

وألا يشبه هذا الزعم الذي تتضمنه هذه النظرية أن يكون حيلة بشرية، يلجأ إليها البشر الضعاف المحدودو القدرةِ والعلم في سبيل اجتذاب الناس إلى دعواتهم؟ أما أن يكون هذا أسلوباً إلهياً في تنزيل آخر الكتب المنزلة، فهذا ما لا يمكن أن تتصوره العقول من كل وجه)[1].

٥ ـ دأب العلماء على أخذ الكثير من الأحكام الفقهية من القصص القرآنية مثل صحة أنكحة الكفار المأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ [القصص: ٩]، وجواز كون المهر عملاً مأخوذ من قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ...﴾ [القصص: ٢٧]، وغيرها، بل أخذوا منها أحكاماً عقدية في أصول اعتقاد المسلمين، فإبطال القصص القرآنية يبطل الكثير من الأحكام؛ لأنه إذا كان القصة مكذوبة فلا يجوز أخذ الأحكام منها، وهذا لم يقل به أحد.

٦ ـ يلزم من هذا القول أن الله تعالى لَبَّس على الناس بذكر هذه القصص المكذوبة في كتابه، الذي يزعم أنه محفوظ من الخطأ والريب والكذب، ويلزم منه أن القرآن صد الكثير من الناس عن الإسلام بسبب عدم مطابقة قصصه للواقع، بل هذا ما ادعاه خلف، حيث زعم أن التمسك بمقياس الصدق التاريخي في القصص القرآني خطر أي خطر

---

(١) «مدخل إلى علم التفسير»، د. بلتاجي (ص١٨٨).

على النبي ﷺ وعلى القرآن، بل هو جدير بأن يدفع الناس إلى الكفر بالقرآن كما كفروا من قبل بالتوراة[1].

٧ ـ قال الشيخ شلتوت رحمه الله: (وهذه الآراء ـ فضلاً عما لها من نتائج سيئة ـ تذهب بقدسية القرآن من النفوس، وتزيل عنه روعة الحق، وتزلزل قضاياه في كل ما تناوله من عقائد وتشريع وأخبار ماضية وأحوال مستقبلة)[2].

٨ ـ (يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢] فإذا كان المضمون التاريخي في القصص القرآني ـ كما يزعم خلف الله وأصحابه ـ باطلاً في الحقيقة ونفس الأمر، مطابقاً لما كان في نفوس المشركين أو غيرهم، ألا يكون هذا معارضاً معارضة صريحة لمضمون هذه الآية، التي تنفي إمكان أن يقتحم الباطل إليه من بين يديه ولا من خلفه؟

فإذا أضفنا إلى هذا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان: ٤ ـ ٦]، فهل يبقى هناك أي وجه لما ذكره خلف الله، من محاولة العبث بالعقول؟

ما يذكره خلف الله من أن نفي الافتراء هنا يتعلق بمصدر القرآن

---

(١) «الفن القصصي» (ص٤٢).
(٢) «تفسير القرآن الكريم»، محمود شلتوت (ص٢٧٣)، دار الشروق، الطبعة السادسة، ١٣٩٤هـ.

كله، لا بجزئياته! فهل يصح في منطق العقول حقًّا أن ما ينطبق على الكل المجموع لا يندرج على جزئيات هذا الكل؟!.

ومن العجب أن يثبت خلف الله في كلامه السابق أن في القرآن أساطير، والآية السابقة تحكي قول الذين كفروا في ذلك، ثم تعقب عليه بأن الذي أنزل هذا القرآن إنما هو الذي يعلم السر في السماوات والأرض، وفي هذا أبلغ بيان في نفي زعم الأسطورة عنه؛ لأن الذي يعلم حقائق الأمور في كل شيء، لا يجوز عليه أن يحكم في كتابه المنزل الأساطير والأباطيل على أنها هي الحق الذي لا يأتيه الباطل، إنما يقع في هذا ناقصو العلم والمعرفة من البشر، الذين لا علم لهم بحقائق وأسرار الكون.

٩ ـ وهذا المعنى الأخير مصداق قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، يعني ـ والله تعالى أعلم ـ: لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً مع حقائق الأمور التاريخية والكونية، ولوجدوا فيه اختلافاً كثيراً بعضه مع بعض، ولوجدوا فيه اختلافاً كثيراً مع الفطرة البشرية، لكنه لما كان من عند الله فقد تجرد عن ذلك كله، فليس فيه أي اختلاف مع شيء من ذلك، لكن خلف الله وأصحابه يزعمون أن في قصصه اختلافاً مع الحقائق التاريخية والكونية، فهل يستقيم مع هذا القول أن يكون فيما صدروا عنه من عند الله؟!.

١٠ ـ وما قولهم في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ [السجدة: ١ ـ ٣]، فرد على دعوى الافتراء بإثبات أنه هو الحق من الله، فهل يتمشى مع منطق العقل أو أساليب البيان أن يكون حقاً قد احتوى باطلاً؟ وهل يصدق عليه وصف الحق حينئذٍ؟!.

١١ ـ وما قولهم في وصف القرآن ـ بما فيه من قصص ـ بأنه الحق كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩] وقوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ [البقرة: ٢٥٢]، وقوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٣]، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢]، وقوله: ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام: ٥٧]، وقوله: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥]، وقوله: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الكهف: ١٣]، وقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣]، وقوله: ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾ [القصص: ٣]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾ [فاطر: ٣١]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر: ٤١]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزمر: ٢]، وقوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية: ٦]، وقوله: ﴿... وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ٢].

فقد أثبتت هذه الآيات كلها ـ وأمثالها في القرآن كثير ـ أن القرآن كله حق نزل من عند الله، وآياته كلها حق؛ وقصصه كلها حق؛ لأن الله تعالى لا يقص إلا الحق، وهو يقص علينا نبأ أهل الكهف بالحق، ونبأ موسى وفرعون بالحق، وكل ما قصه وأوحى به فهو الحق؛ لأن الله تعالى لا يقول إلا الحق وهو يهدي السبيل، ووحيه كله حق، وكتابه كله حق، لا يصل إليه الباطل والافتراء والكذب بأي وجه من الوجوه، كما

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٣٧]، و﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥] وليس الظن أو الوهم أو الافتراء من الحق.

فأين في هذا كله ما يتيح لخلف الله وأصحابه الزعم بأن نفي الافتراء في هذه الآيات لا يلحق المواد الأدبية القصصية، ولا بما في هذه القصص من صور للأحداث والأشخاص؟ وهل إذا لَحِقَ الافتراء هذه الأمور ـ كما يزعمون ـ يصح إطلاق وصف الحق في الآيات السابقة؟ وهل استخلاص عبرة ينافي أن يكون القصص المستخلص منه حقاً؟

لقد أجابت عن هذا الزعم الباطل آخر آية في سورة يوسف، وهي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١]. فالعبرة المستخلصة من القصص القرآني، إنما تستخلص من قصص حق لا افتراء فيه ولا أسطورة.

١٢ ـ وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣٢].

فإذا كان كل ما في القرآن قد وصف بأنه هو الحق، فهل يستقيم بعد هذا أن يتضمن شيئاً ينسب إلى باطل أو ضلال، بمخالفته لحقيقة التاريخ أو الحقائق الكونية؟)[1].

١٣ ـ إن عدم مطابقة ما في القرآن من وقائع تاريخية مع أحداث التاريخ، إما منشؤه عدم وجود هذه القصص في التاريخ أصلاً، وإما

---

(١) هذه الأدلة الخمسة ذكرها الدكتور بلتاجي في كتابه «مدخل إلى علم التفسير» (ص١٩٤ ـ ١٩٧).



منشؤه أن يكون في التاريخ شيء يعارضه. فإن كان الأول؛ فإن عدم عثورنا عليه في التاريخ ليس دليلاً على عدم وقوعه حقيقة، فعدم العلم ليس علماً بالعدم. وأما إن كان الثاني فلا بد أن تكون هذه الحادثة حصل لها من النقل والتواتر والتثبت مثل ما حصل للقرآن حتى تعارضه، وهذا لا وجود له. وإلا فإننا نقدم ما في القرآن؛ لأنه أصح بشهادة الجميع.

١٤ ـ هذه الدعوى تفتح الباب للطاعنين على مصراعيه، فإذا ثبت أن القرآن فيه أشياء مكذوبة ومفتراة، إذن كيف يتبع ويلزم به ويتحاكم إليه!.

وأما الردود التفصيلية على الشبه التي ذكرها. فهي كالتالي:

ـ الطعن الأول:

قوله تعالى عن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾ [آل عمران: ٤٦] حيث روى الرازي عن اليهود والنصارى أنهم ينكرون أن عيسى تكلم في زمن الطفولة، ويحتجون بأن هذا لو حدث لكان من الوقائع العجيبة التي تنقل بالتواتر(١).

ـ الطعن الثاني:

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾﴾ [غافر: ٣٦]، يشير خلف الله إلى ما رواه الرازي من قول اليهود: أطبق الباحثون عن تواريخ بني إسرائيل وفرعون، أن هامان ما كان موجوداً البتة في زمان موسى وفرعون، وإنما جاء بعدهما بزمن مديد(٢).

---

(١) «الفن القصصي» لخلف الله، (ص٢٥).

(٢) السابق، (ص٢٧)، وانظر: «حقائق الإسلام» (ص٤٠٧).

ـ الجواب:

١ ـ أن هذه الآيات تليت على اليهود في زمن النبي ﷺ، وكان فيهم العلماء والأحبار فلم ينكر أحد منهم هذا الأمر.

٢ ـ كيف يُحاكم القرآن المحفوظ بحفظ الله له بكتب أهل الكتاب، التي ملئت تحريفاً وزيفاً، بل طال التحريف عندهم كتبهم المقدسة، هذا لا يقبله عقل، ومثل هذا كمثل عالم كبير السن والقدر والاطلاع، تكلم في قضية، فقال له الناس: نحن نخالفك بهذا؛ لأن عندنا كتاباً محرفاً لا ندري من ألفه ملئ بالأخطاء يخالف ما تقول؟!!

فإن كان هذا لا يجوز في حق البشر فكيف بخالق البشر!!.

(لو أن خلف الله يحاكم آيات القرآن الكريم إلى شيء يقيني لكان له وجه فيما يذكره، لكنه يحاكمها إلى التواريخ القديمة وما عند اليهود والنصارى عنها... فما قوله فيما في هذه التواريخ القديمة من خرافات وأساطير وأوهام آمنت بها البشرية أجيالاً طويلة، ثم تبين ضلالها وكذبها؟)[1].

٣ ـ دعوى أن هذا مطبق عليه عندهم منقوضة بما حصل من اليهود والنصارى في زمن النبي ﷺ من الإقرار عليه وعدم إنكاره، مع حرصهم الشديد على مخالفته في ما هو أقل من ذلك.

٤ ـ (إن الرازي لم يترك هذه الشبهة دون رد، وبالتالي لم يكن من الذين يقولون بها على سبيل الإيمان أو الاقتناع، فقد قال: أجاب المتكلمون عن هذه الشبهة، وقالوا: إن كلام عيسى عليه السلام في المهد، إنما كان للدلالة على براءة حال مريم عليها السلام من الفاحشة، وكان

---

(١) «مدخل إلى علم التفسير» (ص٢١٦).

الحاضرون جمعاً قليلين، فالسامعون لذلك الكلام كان جمعاً قليلاً، ولا يبعد في مثله التواطؤ على الإخفاء.

وقال: والجواب أن تواريخ موسى وفرعون قد طال العهد بها، واضطربت الأحوال والأدوار، فلم يبق على كلام أهل التاريخ اعتماد في هذا الباب، فكان الأخذ بقول الله تعالى أولى)[١].

٥ ـ (إن عدم تسجيل التاريخ البشري لواقعة تكلم عيسى في المهد لا يعتبر دليلاً قاطعاً لعدم حدوث ذلك، حتى يدعي أحد تكذيب القرآن في الإخبار به، ويصح ادعاؤه.

أما فيما يتصل بالتواريخ البشرية، فمما لا شك فيه أنها أهملت تسجيل كثير من الأحداث الفردية ـ مهما تكن أهميتها في ذاتها ـ حيث لم يتوفر لها من الشهادة الصادقة، وتوفر سبل الإذاعة، والنقل، والبقاء على مر العصور ما يكفل لها ذلك، إذ يكفي أن تنقطع حلقة في هذه السلسلة لتصبح الواقعة في حكم المجهول من الأجيال التالية.

وعلى العكس من ذلك، فإن بعض الأوهام الكاذبة في ذاتها، قد يتوفر لها من ظروف إيمان بعض الناس بصحتها ـ بناء على بعض الشواهد والظواهر الخادعة ـ وتسجيلهم لها، ثم رعايتها بظروف تضمن إذاعتها وانتقالها عبر الأجيال، ما يجعلها تدخل التاريخ من أوسع أبوابه، وهي في أصلها أسطورة كاذبة لا نصيب لها من الحق.

وقد تلعب يد التحريف والتجهيل والتعمية ببعض جوانب واقعة صحيحة في أصلها، فإذا بها قد جمعت في نهاية الأمر بين الحق والباطل في قصة واحدة، هذا معروف مسجل عن أوهام التواريخ

---

(١) «مدخل إلى علم التفسير» (ص٢١٣) و(ص٢١٧).

وأخطائها، فهي تهمل، وتنسى، وتحرف، وتخدع، وتتوهم، وكل هذا يتضمنه ما يسمى بـ «التاريخ البشري»، وخاصة في عصور ما قبل التدوين المنظم، ذي الأساليب والإمكانات المنضبطة شيئاً ما.

وإذا كان هذا ثابتاً لا شك فيه، فهل يقبل منطق البحث العلمي النزيه، أن يتخذ إغفال التواريخ القديمة لحادثة فردية، مثل كلام طفل في المهد، دليلاً قاطعاً على كذب الوحي في إخباره بها؟)[1].

٦ ـ إن مريم لم تكن مخطوبة ولا متزوجة، وقد أحصنت فرجها طيلة حياتها وسلكت في سلك الرهبنة، ثم إنها ابنة كاهن من نسل هارون عليه السلام وابنة الكاهن إذا زنت فإنها تحرق بالنار؛ لما جاء في سفر الأخبار: (وإذا تدنست ابنة كاهن بالزنا؛ فقد دنست أباها، بالنار تحرق) [٢١: ٩]. ومريم قد أتت بولد وهي غير متزوجة، وهذا دليل الاتهام فلماذا لم تحرق؟ إن عدم حرقها يدل على أنها قد كان معها دليل براءتها، ولم يكن معها إلا عيسى عليه السلام وهو في المهد مما يدل على أنه تكلم وبرأها.

وقد جاء في إنجيل برنابا ـ المرفوض عند النصارى ـ أنه تكلم في المهد؛ ومن ذلك [٧: ١٠]: (وبينما كانوا نياماً، حذرهم الطفل من الذهاب على هيرودس)[2].

٧ ـ إن فرعون موسى ـ من بين فراعنة مصر ـ ليس معروفاً للمؤرخين بصورة قطعية متفق عليها، فإذا كان الأمر كذلك، فإن تحديد وزرائه ومعاونيه بالاستقصاء والحصر، أمر لا يمكن أن يدعيه على سبيل القطع مؤرخ يحترم عقله وعقول الناس[3].

---

(١) «مدخل إلى علم التفسير» (ص٢١٤).

(٢) «حقائق الإسلام» (ص٥٢٢).

(٣) السابق (ص٢١٧).

٨ ـ (هامان كان لقباً وليس اسماً، فهو لقب لكل نائب عن الملك، كما أن فرعون لقب لملك مصر وليس اسماً له، وعلى ذلك يكون معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ [القصص: ٨]؛ هو أن رئيس مصر الملقب بفرعون، ونائبه الملقب بهامان ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨] ومثل ذلك مثل لقب الملك الذي يطلق على بعض رؤساء البلاد، ولا يتوجه على إطلاقه خطأ من أخطاء التاريخ)[1]، وكإطلاق لفظ كسرى على ملك الفرس، وقيصر على ملك الروم، والنجاشي على ملك الحبشة.

ـ الطعن الثالث:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم: ٢٨]، وقد علم أن بين مريم وهارون أكثر من خمسة عشر قرناً[2].

ـ الجواب[3]:

١ ـ أن هارون كان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل، ينسب إليه كل من عرف بالإصلاح، والمراد: أنكِ كنتِ في الزهد والتقوى كهارون، فكيف صرت هكذا.

٢ ـ أن مريم من نسل هارون، فنسبت إليه كما يقال: يا أخا همدان، يا أخا العرب، يعني يا من نسله منهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ...﴾ [الأحقاف: ٢١].

---

(١) «حقائق الإسلام»، (ص٤٦١).

(٢) «الفن القصصي»، (ص٢٨).

(٣) انظر: «مدخل إلى علم التفسير» (ص٢٢٩) ودفاع عن القرآن ضد منتقديه، د. عبد الرحمن بدوي (ص١٦٩)، الدار العالمية للكتب والنشر.

ومن هذا الباب حديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوساً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْبَرَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَخَا الْأَنْصَارِ** كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟»، فَقَالَ: صَالِحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟»، فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ، مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ وَلا خِفَافٌ[1] وَلا قَلانِسُ[2] وَلا قُمُصٌ، نَمْشِي فِي تِلْكَ السِّبَاخِ حَتَّى جِئْنَاهُ، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْلِهِ حَتَّى دَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ»[3]، وهذا الجواب وجيه وقوي.

٣ ـ أن هارون كان رجلاً مُعْلِناً بالفسق، فشبهت به.

٤ ـ هارون المقصود به هنا ليس هو هارون أخي موسى، بل هو أخ لمريم حقيقة فنسبت إليه، فقد عرض هذا الإشكال على النبي ﷺ وأجاب عنه بهذا الجواب، فقد أخرج الإمام مسلم عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا. فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ»[4].

وهذا نص قاطع صحيح صريح في هذه القضية فلا محيد عنه[5]،

---

(١) الخفاف: جمع خف وهو ما يلبس على الرجل من الجلد. انظر: «روضة الطالبين»، للنووي (١/١٢٦)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

(٢) القلانس: جمع قلنسوة، وهي من ملابس الرأس. لسان العرب (٦/١٨١).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب في عيادة المريض، رقم (٩٢٥).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب من الأسماء، رقم (٢١٣٥).

(٥) قال الدكتور عبد الرحمن بدوي بعد أن ذكر هذا الجواب: هذا الافتراض وإن=

قال الطوفي رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا سؤال قد كفانا جوابه صاحب الشريعة ﷺ)[1].

ـ **الطعن الرابع:**

يقول: بانَ للعقل الإسلامي أن ودًّا وسُواعاً ويغوثَ ويعوقَ ونسراً كانت الأوثان التي تعبد في الجزيرة العربية زمن البعثة المحمدية، وعجز العقل الإسلامي عن أن يفهم الصلة بين هذه الأوثان وبين نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى تجيء في قصته، فالدنيا خربت في زمن نوح بالطوفان، فكيف بقيت تلك الأصنام؟[2].

ـ **الجواب:**

نسأل: مَن قال إن الدنيا خربت؟ إنما هلك كل الناس إلا من كان في السفينة، وأما بقاء الأصنام وغيرها من الجمادات فهو غير مستبعد.

= كان غير مستحيل في ذاته، إلا أنه يفتقر إلى أي مستند آخر لإثباته. انظر: دفاع عن القرآن ضد منتقديه، (ص١٧٠)، وذكر أن هذا الاحتمال لا دليل عليه وإنما أوجدته احتياجات القضية، (دفاع عن القرآن ضد منتقديه، (ص١٧١)، وقال: هذه المشكلة لم تثر في حياة النبي ﷺ. دفاع عن القرآن ضد منتقديه، (ص١٨٠).

وكنت أظنه في البداية لم يطلع على هذا الحديث، ولكنه قال في الخاتمة (ص١٨٩): وما ذكره مسلم والترمذي في موضوع الحوار الذي دار بين المغيرة الذي أرسله النبي إلى نجران وأهل تلك البلاد، هو في رأينا مختلف لتأييد أن هذا الاعتراض أجاب عنه النبي بنفسه.

وهذا الكلام لا شك في بطلانه؛ فإنه لم يضعف هذا الحديث أحد من أهل العلم، بل هو في أصح الكتب بعد كتاب الله وصحيح البخاري، وما المانع أن يعرض هذا الإشكال على النبي ﷺ، لا سيما أن أهل نجران نصارى ويعرفون تاريخ عيسى ومريم.

(١) «الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية»، للطوفي (١/٣٠٢)، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

(٢) «الفن القصصي» (ص٦٥).

قال القرطبي: (عن ابن عباس رضي الله عنه: - إن نوحاً عليه السلام كان يحرس جسد آدم عليه السلام على جبل بالهند، فيمنع الكافرين أن يطوفوا بقبره، فقال لهم الشيطان: إن هؤلاء يفخرون عليكم، ويزعمون أنهم بنو آدم دونكم، وإنما هو جسد، وأنا أصور لكم مثله تطوفون به. فصور لهم هذه الأصنام الخمسة، وحملهم على عبادتها، فلما كان أيام الطوفان دفنها الطين والتراب والماء، فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب)[1].

- الطعن الخامس:

سياق آيات قصة لوط في سورة الحِجْر، يخالف سياق نفس القصة في سورة هود وغيرها من السور:

ففي الحجر: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الحجر: ٦١ - ٧١].

وأما في هود: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا

(١) «تفسير القرطبي» (١٨/ ١٩٩).

﴿رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ [هود: ٧٧ ـ ٨١]، ففي الحجر أخبروه أنهم رسل الله قبل أن يأتي قومه، وفي هود أخبروه بعد ذلك؟.

ـ الجواب:

لا شك أن سياق سورة هود هو سياق قصة لوط، كما يدل عليه غيره من الآيات، ويدل عليه أيضاً قوله في الحجر: ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الحجر: ٦٨ ـ ٧١]، فلو كان يعلم أنهم ملائكة لما قال هذا الكلام لقومه.

وليس في الحجر ما يدل على خلاف هذا، وكون الآيات قدمت كلام الملائكة مع أنه متأخر حدوثاً، فهذا لا يضر لحكمة معينة، والواو لا تقتضي الترتيب.

قال ابن كثير: (قوله: ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾﴾ [الحجر: ٦٨، ٦٩]. وهذا إنما قاله لهم قبل أن يعلم بأنهم رسل الله، كما قال في سورة هود، وأما ههنا فتقدم ذكر أنهم رسل الله، وعطف ذكر مجيء قومه ومحاجته لهم، ولكن الواو لا تقتضي الترتيب ولا سيما إذا دل دليل على خلافه)[1].

ـ الطعن السادس:

وذكر خلفُ الله أن في القرآن أساطير للأولين؛ ومثل لها بالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وقصة أهل الكهف؛ لأن ما فيها

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٥٥).

من أخبار الغيب لا يتفق مع مقاييس العقل[1].

- **الجواب**:

١ ـ **تحكيم القرآن إلى العقل خطر** جداً؛ لأن العقل أحياناً كثيرة يخطئ، فكيف يُحاكم الكتاب المعصوم إلى ما هو كثير الخطأ؟ ثم عقول ناس تتفاوت؛ فهناك العبقري، وهناك الأخرق، وبينهما مراتب كثيرة، فأي عقل من هذه المراتب نحاكم لها القرآن، ثم إذا وجدنا عقولاً بمنزلة مقبولة لنقد القرآن، فما هو الحل عندما تختلف هذه العقول؟ لا شك إن هذا باب لو فتح لا يغلق.

٢ ـ قصة أهل الكهف يثبتها أهل الكتاب أيضاً، بل إنما نزلت هذه الآيات بناء على استفسارهم عنها ـ كما تقدم ـ، والعادة أنهم لا يطعنون في كتبهم المقدسة ـ على خلاف بعض بني جلدتنا ـ، فالطعن في قصة تتابعت الكتب السماوية على إثباتها جرأة خطيرة.

٣ ـ هذه دعوى من غير دليل، وكل دعوى بلا دليل باطلة، لا سيما إذا كان القرآن يقرر خلاف هذه الدعوى.

- **الطعن السابع**:

الطعن في قصة سليمان ﷺ مع بلقيس والهدهد:

قال الإمام الرازي: (إن الملاحدة طعنت في هذه القصة من وجوه:

أحدها: أن هذه الآيات اشتملت على أن النملة والهدهد تكلما بكلام لا يصدر ذلك الكلام إلا من العقلاء، وذلك يجر إلى السفسطة،

---

(١) «الفن القصصي» (ص١٨٠ ـ ١٨١).

فإنا لو جوزنا ذلك لما أمنا في النملة التي نشاهدها في زماننا هذا أن تكون أعلم بالهندسة من إقليدس وبالنحو من سيبويه، وكذلك القول في القملة والصئبان، ويجوز أن يكون فيهم الأنبياء والتكاليف والمعجزات.

ومعلوم أن من جوز ذلك كان إلى الجنون أقرب.

وثانيها: أن سليمان عليه السلام كان بالشام، فكيف طار الهدهد في تلك اللحظة اللطيفة من الشام إلى اليمن، ثم رجع إليه.

وثالثها: كيف خفي على سليمان عليه السلام حال مثل تلك المملكة العظيمة مع ما يقال إن الجن والإنس كانوا في طاعة سليمان، وأنه عليه السلام كان ملك الدنيا بالكلية، وكان تحت راية بلقيس اثنا عشر ألف ملك. تحت راية كلٍّ منهم مائة ألف حال طيران الهدهد إلى مسيرة ثلاثة أيام؟.

ورابعها: من أين حصل للهدهد معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلى الشيطان وتزيينه؟)[1].

- **الجواب**:

قال الرازي في الجواب على ذلك:

(والجواب على الأول: أن ذلك الاحتمال قائم في أول العقل، وإنما يدفع ذلك بالإجماع.

وعن البواقي: إن الإيمان بافتقار العالم إلى المختار يزيل هذه الشكوك)[2].

(هذا ما رد به الرازي على هذه الطعون، وهو رد مجمل قاصر

---

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٤/ ١٩٠ ـ ١٩١).

(٢) «مفاتيح الغيب» (٢٤/ ٩١).

يكاد يسلم ـ بعد هذه الطعون المفصلة ـ بالعجز عن الرد المفصل القوي، مما يذكرنا بما قيل عن الرازي أنه ـ مع علمه وفضله ـ كان يذكر الطعون مفصلة ولا يورد معها ـ أحياناً ـ ما يكافئها من الجواب، مما فتح مجالاً أمام متَّبعي الشبهات للاستدلال على طعونهم بما أورده الرازي ولم يفلح ـ مع كبير علمه ـ في الرد المقنع عليه.

والحقيقة أن هذه الطعون ـ التي عرض لها خلف الله في سياق نظريته السابقة ـ لا تقوم في مجموعها، أو تفصيلاتها مستند للطعن في شيء من القرآن الكريم.

وسيكون ردنا عليها نقضاً لكل من يستدل بها وذلك على النحو التالي:

(أ) فيما يتصل بكلام الهدهد والنملة: فقد أصبح من المقطوع به الآن عند العلماء الذين يدرسون سلوك أنواع الطير، والحيوان، والحشرات، أن لكل منها لغة تقوم مقام اللغة المعهودة عند البشر في التعبير ونقل الأحاسيس والمعارف، على نحوٍ ما ما تزال تفاصيله مجهولة من البشر، لكن المقطوع به من شواهد كثيرة جداً أن لكل منها نوعاً من اللغة يتم به الاتصال بين أفراده، وقد سجل بعض العلماء تسجيلات صوتية لأنواع من الطيور في حالة الفزع نقلت إليهم ـ في غاية من الوضوح ـ هذه المشاعر والمعاني[1].

فلم يعد يشك الآن في أن كل نوع من الأحياء له لغة خاصة بأفراده، وهذا أمر واضح لكل من يراقب سلوك الطيور والحشرات، بل إن بعض العلماء يذهبون إلى أن أنواع النبات هي الأخرى تملك لغة واتصالاً فيما بينها، على نحو ما، مما لا يتسع المجال لتقرير القول فيه.

---

(١) وقد استخدم هذا تجريبياً في زجر الطير لاقط الحب عن أماكن هذه الحبوب بإذاعة تسجيلات التحذير، والفزع.

فما العجب بعد هذا من أن تتكلم النملة! ويتكلم الهدهد، بكلام يفهمه سليمان عليه السلام! لأنه ـ كما ورد في القرآن الكريم ـ عُلِّم منطق الطير وأوتي من كل شيء [النمل: ١٦][1]؟

أما أنهم تكلموا بكلام يدل على شيء من العقل؟ إن من يراقب سلوك الطير والحشرات فسوف يدرك بغاية من الوضوح أن سلوكهم يجري على نظم من الوعي والتدبير والعمل من أجل غايات تهديهم إليها غرائزهم وفطرهم، وعلى المعاند في هذا أن يقرأ شيئاً عن سلوك الحشرات والطيور في كتب العلم التجريبي، وسوف يذهله ما يقرأ، وعليه أن يراقب العمل والنظام في (مملكة النحل) أو في (عالم النمل وقراه التي ينشئها)، وليس ذلك كله إلا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] وقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨]، وهو الذي تدل عليه بحق كافة مشاهدات العلماء المحققين. والمتشكك في ذلك إنما هو المستحق لسخرية الساخرين!.

فما العجب إذن في أن تتكلم نملة ويتكلم هدهد؟ وما العجب في أن يفهم عنهما من عرف لغة كل منهما؟!.

ولا يجر ذلك ـ كما زعم الملاحدة الطاعنون ـ إلى شيء من السفسطة التي ذكروها، فلم يقل القرآن الكريم بشيء من ذلك، إنما قال بما تدل عليه ملاحظة هذه الأنواع، وهو أن لها منطقاً، أما علم الهندسة، والنحو، والتكاليف، والمعجزات؛ فإنما هو من قول الملاحدة الذي يرد عليهم؛ لأننا لا نحمل القرآن الكريم إلا ما نطق به، لا ما قام في أوهام الملاحدة.

---

(١) والعلماء الآن يحاولون التعرف على منطق بعض الطير.

(ب) فيما يتصل بطيران الهدهد من الشام إلى اليمن، ثم الرجوع إلى الشام، فالذي ورد في القرآن الكريم عنه قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [النمل: ٢٢]، وليس في القرآن الكريم تحديد أن الهدهد مكث «لحظة» كما يقول هؤلاء، ولا يفهم من «غير بعيد» في سياقها إلا مدة تكفي للطيران، وقد قرئت على فصحاء العرب من المشركين في عصر الرسالة ـ وهم أعلم باللغة، وكانوا يعرفون اليمن والشام ـ فما أثاروا ـ فيما علمنا ـ هذا الاعتراض، فعلم منه أن التعبير القرآني يخلو عن دواعي اعتراض هؤلاء الملاحدة.

(ج) أما كيف خفي على سليمان حال مملكة سبأ: فإن القرآن الكريم لم يصفه بأنه كان يعرف الغيب، وقد كان هذا غيباً بالنسبة إليه، وليس فيما وصف القرآن الكريم به سليمان عليه السلام إلا تسخير الرياح والشياطين، وتعليم منطق الطير، وإيتاء الملك الذي لا ينبغي لأحد بعده، لكن ليس فيه شيء من وصفه بعلم غير ما علمه الله له، فما العجب في أن تكون في الأرض أشياء وممالك كان سليمان ـ مع عظمة ما أعطاه الله له ـ يجهلها؟

إن القرآن الكريم لا يذكر شيئاً عن أن سليمان عليه السلام كان ملك الدنيا كلها بأكملها ـ كما يزعم هؤلاء الطاعنون ـ ولعل مستندهم في هذا إنما هو بعض المبالغات الإسرائيلية التي لم يرد لها ذكر في الوحي القرآني.

أما إذا كان واحد منهم قد فهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النمل: ١٧]، فهو لا يعرف شيئاً عن أساليب البيان العربية؛ لأن (من) هنا للتبعيض، وليس المعنى أن كل الإنس ـ دون استثناء ـ كانوا تحت ملكه، بدليل عدم دخول مملكة سبأ في ملكه.

ولعل الذي جر الطاعنين إلى طعنهم ما ذكروه هم، من أنه كان تحت راية ملكة سبأ اثنا عشر ألف ملك تحت راية كل منهم مائة ألف! (يعني مليار ومائتا مليون رجل).

وليس في نصوص القرآن الكريم شيء من هذا مطلقاً، والعدد الذي ذكروه يجاوز بكثير جداً ما يمكن أن يكون موجوداً عندئذٍ من عدد السكان، وهو يذكرنا بما نقده ابن خلدون من مبالغات المؤرخين القدماء، وما حذر منه (فيكو) من غرور الأمم حين تكتب تاريخها - فكيف تحمل هذه المبالغات على نصوص القرآن الكريم، التي لم يتعرض لها إطلاقاً؟.

فلا عجب إذن أن يجهل سليمان عليه السلام أمر ملكة سبأ مع كل ما أعطاه الله له؛ لأنه لم يعطه علم كل ما في الأرض، ولم تكن هناك اتصالات منتظمة بين الممالك بحيث تعرف كل منها الأخرى، وتتصل بها على النحو الذي نعهده في عصرنا والذي حدث بعد ذلك بحكم التطور العمراني، ولم تكن الجن التي سُخِّرت لسليمان عليه السلام أيضاً تعرف الغيب كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: ١٤].

(د) أما من أين حصل للهدهد معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلى الشيطان وتزيينه؟ فإنما كان الهدهد من جند سليمان عليه السلام والآيات تتكلم عن أمر (غيبي) لا يقاس على معرفة البشر الآن بأحوال الطير، وما المانع من أن تكون فطرة كافة المخلوقات عارفة بوجوب السجود لله تعالى وحده، وقد جاء في القرآن الكريم شاهداً بذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٩﴾ [النحل: ٤٨ ـ ٤٩]، وقوله: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمن: ٦]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٤١﴾ [النور: ٤١]، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤]... فما العجب بعد هذا كله أن يكون الهدهد من جند سليمان ﷺ عارفاً لوجوب السجود لله تعالى وحده، منكراً السجود لغيره؟.

إن القضية ـ فيما نرى ـ قضية إخبار عن الغيب لا تصل معرفة البشر التجريبية أو العقلية إلى شيء يستند إليه إنكار هذا الإخبار الذي يجاوز حدود هذه المعرفة، فالمؤمنون بالغيب وبصدق الوحي القرآني يؤمنون به، والمكذبون ينكرون بكل ما لا يقع منهم تحت حس مباشر أو تجربة مادية، لكنهم في مثل هذه القضايا الغيبية لا مستند لهم في إنكارهم إلا محض الشك والتكذيب، وقياس الغائب على الشاهد، وتحكيم عقولهم القاصرة فيما هو من علم الغيب،... ولسنا نملك لهؤلاء وسيلة تحملهم على الإيمان بالغيب، وعدم قياس الأمور فيه على علم الشهادة البشرية. ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: ٤١].

وبهذا يتبين لنا أنه ليس فيما ورد من قصة سليمان في سورة النمل ما يطعن في صحة شيء مما ورد في القرآن الكريم)[١].

وقد ذكر خلف الله طعوناً أخرى لكنها لا تدخل في موضوع (دعوى معارضة القرآن للحقائق التاريخية)، لذلك لم أذكرها، وإن كان من رد على خلف الله ذكرها؛ لأني لا أرد على كتاب خلف الله، بل أرد على من زعم هذه الدعوى، وأغلب إشكالاته من باب تعارض

---

(١) «مدخل إلى علم التفسير» (ص٢٣٦).



الآيات بعضها مع بعض، وقد أجبنا على أكثرها في المطلب السابق.

المطلب الثالث

دعوى تعارض القرآن مع الحقائق الكونية أو حقائق العلم التجريبي

من المطاعن على القرآن دعوى أنه يتعارض مع الحقائق الكونية، أو حقائق العلم التجريبي الحديث، وعليه فإن القرآن ليس من كلام الله تعالى؛ لأن الله ﷻ يعلم كل شيء، وقد ذكر الطاعنون لهذا أمثلة سيأتي ذكرها.

بادئ ذي بدء لا بد من وضع بعض القواعد لهذه المسألة:

١ ـ لا بد أن تكون هذه المعلومات التجريبية وصلت مرحلة الحقيقة العلمية المستقرة المتفق عليها[1]، فلا يجوز أن نجادل القرآن بنظريات تفسيرية لبعض ظواهر الكون، أو أن القضية العلمية عبارة عن تجارب لم تصل إلى حد الحقيقة الثابتة القطعية، مثل نظرية أن أصل الإنسان قرد ثم مر بمراحل حتى وصل إلى هذا المستوى[2]، التي تتعارض مع كون ابتداء خلق الناس كان من آدم الذي خلقه الله تعالى مرة واحدة من غير تدرج.

٢ ـ لا بد أن يكون هذا التناقض من كل وجه بحيث لا يحتمل

---

(١) انظر: «التفسير والمفسرون»، للذهبي (٢/ ٤٧٠)، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٣م، والمدخل إلى علم التفسير، أ.د. بلتاجي (ص٢٠٨)، و(ص٢٦).

(٢) انظر: «مدخل إلى علم التفسير»، أ. د. محمد بلتاجي حسن (ص٢٠٣)، حيث نقلها عن ميلر بروز (رئيس قسم لغات الشرق الأدنى).

حمل اللفظ على معنى آخر، فإن دلالة القرآن الظنية المعنى مما يمكن حملها على عدة معان[1]، ومن هذه المعاني معان لا تخالف العلم، مثل دعوى أن الأرض تدور حول الشمس، المناقض لقوله الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن . . .﴾ [الكهف: ١٧]، فنسب فعل الدوران للشمس، وهذا غير صحيح؛ فإن اللفظ ليس قاطعاً في هذا المعنى، بل إنه ابتدأ بقول: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾ أي أن هذا الأمر بالنسبة لرؤية الإنسان، وسياق الآية كما هو ظاهر ليس مقصوداً في إثبات دوران الأرض حول الشمس أو العكس، فلا ينبغي تحميل النص ما لا يحتمل.

فإذا كانت المسألة في حقيقة علمية ثابتة، وهي تعارض نصاً قرآنياً من كل وجه، فهنا تحصل المناقضة[2].

وكعادتنا نبدأ أولاً بالردود الإجمالية ثم التفصيلية:

١ ـ أن العلم والقرآن لا يمكن ـ عقلاً ـ أن يتعارضا؛ وذلك لأن مصدرهما واحد وغايتهما واحدة، فمصدرهما هو الله ﷻ، فالله هو الذي خلق هذا الكون وما فيه من معارف وعلوم، وهو الذي شرع هذا الدين وما فيه من أخبار وأحكام، وما كان من الله فإنه لا يتناقض، (فالقرآن والكون ـ وهما مصدر الحقائق الدينية والعلمية ـ كلاهما من عند الله وصنعه، أنزل القرآن بالحق كما خلق الكون بالحق، فلا ينبغي للإنسان طلب الحق إلا فيهما، ومن ثم لا يتصور تصادم الحق مع نفسه)[3].

---

(١) «التفسير والمفسرون» (٢/ ٤٨٠)، و«المدخل إلى علم التفسير»، د. بلتاجي (ص٢٦).

(٢) وهناك شرط ثالث وهو صحة الدليل المعارض للحقيقة، ولم أذكره لأن القرآن قطعي الثبوت، وإنما يذكر هذا فيما ادعى تعارضه بين السنة والعلم الحديث.

(٣) «اتجاهات التجديد في تفسير القرآن»، الدكتور شريف، (ص٦٣٩).

ويتفقان أيضاً في الغاية والهدف، وهو إسعاد البشرية وتذليل صعوبات الحياة، فاللذان اتفقا في المصدر والغاية لا يمكن أن يتعارضا فيما بين ذلك، فالعلم الصحيح لا يعارض القرآن، بل هما أخوان متعاونان[1].

٢ ـ إن المنصفين من أهل الملل الأخرى شهدوا بأن القرآن لا يتعارض مع العلم أبداً.

يقول إبراهيم خليل: (يرتبط هذا النبي ﷺ بإعجاز أبد الدهر بما يخبرنا به المسيح عليه السلام في قوله عنه: (ويخبركم بأمور آتية). وهذا الإعجاز هو القرآن الكريم، معجزة الرسول الباقية ما بقي الزمان.

فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث في كل مناحيه؛ من طب وفلك وجغرافيا وجيولوجيا وقانون واجتماع وتاريخ، ففي أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف...)[2].

وقال: (أعتقد يقيناً أني لو كنت إنساناً وجودياً، لا يؤمن برسالة من الرسالات السماوية، وجاءني نفر من الناس، وحدثني بما سبق به القرآن العلم الحديث في كل مناحيه؛ لآمنت برب العزة والجبروت، خالق السماوات والأرض ولن أشرك به أحداً)[3].

وقالت بوتر: (عندما أكملت قراءة القرآن الكريم، غمرني شعور بأن هذا هو الحق، الذي يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها، وإنه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية، نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدينية، أما القرآن فيتحدث عنها في نسق

---

(١) انظر: «اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر»، (ص٦٢٨).
(٢) «محمد في التوراة والإنجيل والقرآن» (ص٤٧، ٤٨).
(٣) المرجع السابق (ص٤٨).

رائع وأسلوب قاطع لا يدع مجالاً للشك بأن هذه هي الحقيقة، وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة)[١].

وقالت بوتر أيضاً: (كيف استطاع محمد ﷺ، الرجل الأمي الذي نشأ في بيئة جاهلية، أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم، والتي لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها؟ لا بد إذن أن يكون هذا الكلام هو كلام الله ﷻ)[٢].

وقال حتي: (إن أسلوب القرآن مختلف عن غيره، ثم إنه لا يقبل المقارنة بأسلوب آخر، ولا يمكن أن يقلد، وهذا في أساسه هو إعجاز القرآن.. فمن جميع المعجزات كان القرآن المعجزة الكبرى)[٣].

ولقد ألف الدكتور مراد هوفمان ـ سفير ألمانيا السابق بالرباط ـ كتاب (الإسلام كبديل)[٤]، وفيه شهادات كثيرة على إعجاز القرآن وصدقه وصدق النبي ﷺ وكمال التشريع.

ومن الذين تخصصوا في هذا المجال، وكان من أشد الناس عداوة للقرآن والرسول ﷺ الدكتور موريس بوكاي.

(وكان كلما جاءه مريض مسلم يحتاج إلى العلاج الجراحي، فإنه إذا أتم علاجه يقول له: ماذا تقول في القرآن، هل هو من الله أنزله على محمد أم من كلام محمد نسبه إلى الله افتراء عليه؟ فإذا أجاب المريض بأنه من الله، وأن محمداً ﷺ صادق، قال: أنا أعتقد أنه ليس من الله وأن محمداً ليس بصادق، ثم يذكر بعض الشبه.

---

(١) «قالوا عن الإسلام» (ص٥٥).
(٢) نفسه: (ص٥٥).
(٣) السابق (ص٥٨).
(٤) من منشورات مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١.

وبقي على ذلك زماناً حتى جاءه الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية الراحل.

يقول بوكاي: فعالجته جراحياً حتى شفي، فألقيت عليه نفس السؤال، فقال لي: هل قرأت القرآن؟ فقلت: نعم مراراً وتأملته. فقال لي: بلغته أم بترجمة؟ فقلت: بالترجمة. فقال: إذن أنت تقلد المترجم، والمقلد لا علم له؛ إذ لم يطلع على الحقيقة، لكنه أخبر بشيء فصدقته، والمترجم ليس معصوماً من الخطأ والتحريف عمداً، فعاهِدْني أن تتعلم اللغة العربية وتقرأ القرآن بها وأنا أرجو أن يتبدل اعتقادك الخاطئ هذا. قال: فتعجبت من جوابه، ووضعت يدي في يده وعاهدته على ألا أتكلم في القرآن حتى أتعلم العربية، وذهبت من يومي إلى الجامعة الكبرى بباريس، وتعلمت اللغة العربية في سنتين، وأنا آخذ يومياً درساً حتى يوم عطلتي، ثم قرأت القرآن بإمعان، ووجدته الكتاب الوحيد الذي يضطر المثقف بالعلوم العصرية أن يؤمن بأنه من الله، لا يزيد حرفاً ولا ينقص، وأما التوراة والأناجيل الأربعة ففيها كذب كثير لا يستطيع عالم عصري أن يصدقها)[1].

وكانت ثمرة هذه الدراسة العميقة للقرآن تأليف كتابه المشهور «التوراة والإنجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث».

ومما قاله بوكاي في هذا الكتاب: (لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أي فكر مسبق، وبموضوعية تامة بحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث، وكنت أعرف ـ قبل هذه

---

(١) مقال في مجلة السمو العدد الثاني (نوفمبر/ ت٢/ ٢٠٠١)، للدكتور وليد الطبطبائي بعنوان «الملك فيصل يدعو الجراح العالمي موريس بوكاي للإسلام»، في الصفحة الأخيرة، وذكر في المقدمة أن هذه القصة موجودة في كتاب «نوادر التاريخ» لصالح محمد الزمام.

الدراسة وعن طريق الترجمات ـ أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية، لكن معرفتي كانت وجيزة، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث، وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل، أما بالنسبة للعهد القديم، فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أي سفر التكوين فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً في عصرنا، وأما بالنسبة للأناجيل، فإننا نجد نص إنجيل متى يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض)[1].

ـ ثانياً: الرد التفصيلي:

١ ـ لعل من أقدم الطعون في دعوى تعارض القرآن مع العلم التجريبي، ما ادعاه بعضهم من معارضة قوله تعالى عن العسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ﴾ [النحل: ٦٩].

قال القرطبي: (اعترض بعض زنادقة الأطباء على هذا الحديث، فقال: قد أجمعت الأطباء على أن العسل يُسهِل فكيف يوصف لمن به الإسهال؟

فالجواب: أن ذلك القول حق في نفسه لمن حصل له التصديق بنبيه عليه السلام[2]، فيستعمله على الوجه الذي عينه وفي المحل الذي أمره

---

(١) «قالوا عن الإسلام» (ص٥٦).

(٢) يعني في حديث أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ، فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلاً» ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «اسْقِهِ=

بعقد نية وحسن طوية، فإنه يرى منفعته ويدرك بركته، كما قد اتفق لصاحب هذا العسل وغيره كما تقدم.

وأما ما حكي من الإجماع، فدليل على جهله بالنقل؛ حيث لم يقيد وأطلق.

قال الإمام أبو عبد الله المازري: ينبغي أن يعلم أن الإسهال يعرض من ضروب كثيرة، منها الإسهال الحادث عن التخم والهيضات؛ والأطباء مجمعون في مثل هذا على أن علاجه بأن يترك للطبيعة وفعلها، وإن احتاجت إلى معين على الإسهال أعينت ما دامت القوة باقية، فأما حبسها فضرر.

فإذا وضح هذا قلنا: فيمكن أن يكون ذلك الرجل أصابه الإسهال عن امتلاء وهيضة، فأمره النبي ﷺ بشرب العسل، فزاده إلى أن فنيت المادة فوقف الإسهال، فوافقه شرب العسل.

فإذا خرج هذا عن صناعة الطب أذِن ذلك بجهل المعترض بتلك الصناعة.

قال: ولسنا نستظهر على قول نبينا بأن يصدقه الأطباء، بل لو كذبوه لكذبناهم ولكفرناهم وصدقناه ﷺ؛ فإن أوجدونا بالمشاهدة صحة ما قالوه، فنفتقر حينئذٍ إلى تأويل كلام رسول الله ﷺ وتخريجه على ما يصح، إذ قامت الدلالة على أنه لا يكذب)[1].

= عَسَلًا»، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا»، ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، فَقَالَ: «صَدَقَ اللهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ اسْقِهِ عَسَلًا»، فَسَقَاهُ فَبَرَأَ. متفق عليه: البخاري: كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، رقم (٥٦٨٤)، ومسلم: كتاب السلام، باب: التداوي بسقي العسل، رقم (٢٢١٧).

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ٩١).

وقد أجاب ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ على ابن النغريلة اليهودي: بأن كلمة (فيه شفاء) نكرة فلا تلزم العموم[1]، وقد تقدم معنا كلام الإمام الداني[2] أن (ال) في كلمة (للناس) ليست للعموم بل للجنس.

وهذه هي الطعون العلمية التي ذكرها المجلس الملي النصراني ورد الدكتور شلبي عليها: ـ

٢ ـ الأرض ثابتة لا تتحرك:

(جاء في سورة لقمان: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠].

وقال (رجال المجلس الملي): إن العلم يثبت أن الأرض تدور حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة، فكيف يقول القرآن إنها راسية وثابتة؟[3].

الجواب: (معنى تميد تضطرب وتتزلزل، ولا يراد بالمَيَدان مجرد حركة متزنة، والمصدر الثلاثي (فعلان) يأتي لإفادة هذا المعنى، مثل ميدان وغليان وثوران وجولان.. وهكذا، والآية تذكر أن الله ثبت الأرض حتى يستطيع البشر أن يستقروا عليها في نومهم، ويزرعوا ويرعوا ماشيتهم، ولو كانت مضطربة ما استطاع الناس أن يطمئنوا عليها وأن يعملوا هذه الأعمال.

نحن ننام في الطائرة وفي القطار وفي السفينة، فإذا اضطرب واحد منها استيقظنا وشعرنا بالتعب، وقد نطلب من السائق أن يعمل شيئاً يسكنها لتثبت، ولا يعني تثبيته أنه يقف ولا يتحرك، بل أن ينقطع اضطرابه.

---

(١) «الرد على ابن النغريلة اليهودي» (ص٦٢).
(٢) انظر: (ص١١٠) من هذه الرسالة.
(٣) «رد مفتريات على الإسلام» (ص١٣٠).



وجاء في كتاب الله قوله سبحانه: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، و﴿كُلٌّ﴾ كلمة تشمل الشمس وتوابعها من القمر والأرض والكواكب الأخرى، فالقرآن إذن يقرر حركة كل هذه الكواكب)[1].

٣ ـ الكواكب في حجم الحجارة:

(جاء في القرآن: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وجاء أيضاً: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر: ١٦ ـ ١٨].

وقال رجال المجلس: إن القرآن جعل النجوم والكواكب في حجم الحجارة، ترمي بها الملائكة الشياطين، والعلم الحديث يثبت أن كل كوكب عالم ضخم.

الجواب:

الذي في الآية أن هناك أجساماً نارية تصيب الشياطين، ولم يذكر أن الشيطان يسقط عليه نجم أو أن الملائكة ترميه به، والعلم الحديث، ورواد الفضاء يتحدثون عن النيازك التي ترى في الفضاء الواسع مذنبات مضيئة، ومنها الناري الذي ينطفئ ويتفتت في سيره، وبعضها يصل إلى الأرض، وهي تشبه المقذوفات البركانية، والذين درسوا جغرافية فلكية يعرفون هذا، فهذه المقذوفات قطع تنفصل من الكواكب وتتحرك في الفضاء، خصوصاً إذا كان النجم أو الكوكب قريباً من الأرض، والله تعالى يصيب بها من يشاء ويحفظ بها من يشاء، وقد تكون قطعاً باردة ولكنها مضيئة كالقمر.

---

(١) «رد مفتريات على الإسلام» (ص١٣٠).

أما سمع نوابغ العصر أصحاب تيموثاوس أن الذين نزلوا على سطح القمر رأوا هناك جهات ساكنة نارها، وأخرى ملتهبة؟ وأنهم رأوا الأرض مشعة كما نرى نحن القمر؟ وأن الفضاء مليء بقطع نارية سابحة، ومنها ما يصل إلى الأرض؟)[1].

٤ ـ الفضاء سطح أملس قابل للسقوط وكذلك الأرض:

(ذلك لأنه جاء في القرآن: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

وجاء: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩﴾ [نوح: ١٩]، وجاء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]، وجاء هذا ومثله في آيات أخرى.

وخطؤه في نظر رجال المجلس أن الأرض كوكب واحد وليس سبعة، وكذلك السماء!.

والجواب:

الآية الأولى جاءت في ختام سورة الطلاق، وهي تلفت الأنظار إلى قدرة الله تعالى البالغة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

آية عجيبة رهيبة تبين ضآلة الإنسان في هذا الكون العظيم، ويقف غير واحد من الكتاب مذهولاً أمام التعبير، وأمام مدلوله، وأمام هذا الإعجاز القرآني.

---

(١) «رد مفتريات على الإسلام» (ص١٣٢).

ما هذه السماوات؟ وما هذه الأرضين؟ كل ينظر من زاوية خاصة، وكل يجد في الآية ما يبهره.

قد تكون السماء التي توصل علمنا إليها بكل ما فيها من كواكب ونجوم وأفلاك إحدى سماوات سبع، والكرة الأرضية التي نعيش عليها هي أيضاً كذلك! إن علم الفلك الحديث يؤيد هذا، ويذكر أن المجموعة الشمسية التي يتعلق بها عالمنا هذا ليست إلا واحدة من مجموعات أخرى لا يعلمها إلا الله الذي خلقها.

فهذا إعجاز قرآني؛ إذ لم يكن محمد يدرس فلكاً ولا يعرف شيئاً عن هذه المستكشفات الحديثة.

وفي اللغة العربية يذكر العدد لإرادة التكثير، ويعبرون عنه بأنه عدد لا مفهوم له، وهذا كما تقول لصديقك: زرتك ألف مرة ولم تزرني. فأنت لا تريد ألفاً بعدده، وإنما تريد زرتك مرات كثيرة، فإذا حملنا العدد في الآية هذا المحمل، فالمعنى أن الله خلق سماوات كثيرة وأرضين كثيرة، وهذا حق وواضح.

وقد يكون المراد بالسبع الأرضين أنواعاً مختلفة من تربة الأرض، ويسمى كل نوع أرضاً، وهذا وهذا كما تقول: أصبح فلان ثرياً يملك أراضي كثيرة، والأرض أنواع بحسب تربتها وما بكل تربة من عناصر تكونت منها، بعضها رملي وبعضها جيري، وببعضها معادن حديدية وبالأخرى عناصر نحاسية وهكذا، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

وقد يراد من أنواع الأرض ما تصلح لإنباته، فأرض بها غابات وأرض بها زهور، وثالثة قاحلة لا تنبت شيئاً.

وآية سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢]،



ليست الوحيدة التي تذكر هذا في القرآن، بل هناك آيات أيضاً أخرى تذكر هذا، ومعنى ﴿فِرَاشًا﴾ [البقرة: ٢٢]: أي مبسوطة تحت أقدامنا، منبسطة كالفراش، ننام عليها ونمشي ونزرع، ونستقر، أيضاً أنعامنا ومساكننا، ولو جعلها الله ﷻ كثيرة التعاريج شديدة التحدب، ما استطعنا أن نستريح عليه، ولا أن نجري كل هذه الأعمال، فالآية تذكر نعمة من نعم الله علينا، وليس في هذا ما يفيد أن الأرض قابلة للسقوط!.

وأما الآية التي في سورة الأنبياء، فقد جاءت ضمن آيات غاية في الروعة والإعجاز العلمي الفلكي، ولها يعجب الكثيرون كيف قرر القرآن هذه الحقائق منذ ذلك الزمن السحيق. فاقرأ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠ ـ ٣٣].

كانت السماوات العديدة والأرض جزءاً واحداً، ففتقها الخالق وفصل بعضها عن بعض؛ تبارك الله، وصدق نبيه الكريم! ما كان ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى!!.

في العصر الوسيط عصر الإظلام العقلي، والركود العلمي يقرر القرآن الكريم بحق أحدث النظريات العلمية، التي لم يهتد إليها العلم الحديث إلا من زمن قريب!.

هذه الكواكب كلها بما فيها الأرض كانت قطعاً نارية، انفصلت من الشمس أثناء دورانها الأبدي الجبار، فتناثرت في الفضاء الذي لا يعلم مداه إلا الله، واستغرقت ملايين الأعوام وبلايينها حتى بردت

قشرتها الخارجية، وشق الله بها الأنهار والبحار، وأنزل عليها ماء الأمطار، فدبت بها بعد ملايين السنين أيضاً صور الحياة المختلفة من النباتات الدنيئة والطحالب، ثم الحيوانات المختلفة، منها ما انقرض ومنها ما بقي، هكذا جعل الله من الماء كل شيء حي، كل شيء من النباتات والطيور والديدان والحشرات والأفاعي والوحوش والأناسي، كلها من الماء وتقوم حياتها عليه.

هذا إبداع الله وخلقه، قدر سبحانه وهدى، ولم يأت شيء من أعماله بطريق المصادفة.

أما التوراة فتقول: (في البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الأرض ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه).

هكذا بدأ وأنشأ الله السماوات والأرض جميعاً دفعة واحدة، ولم يُذكر شيء عن الماء.

تعبير ساذج وتفكير وثني، لا يفهم إلا الشيء المتجسد؛ أين كان الله، إن كانت روحه ترف وتحوم حول الماء؟ أكان بلا روح، أم هو الذي تجسد فصار هذا الحيز الضئيل كالحمامة؟ خلق الكون كله وهو جزء صغير منه.

(وقال الله: ليكن نور. فكان نور، ورأى الله النور أنه حسن)!

لم يكن يعرف أنه سيكون حسناً، ولكن لما ظهر له أعجبه. عمل من طريق الصدفة البحتة، وتجربة نجحت وجاءت بشيء جميل.

أهذه هي البلاغة؟! لا فصاحة تعبيرية ولا حقيقة علمية.

ونقرأ بقية هذه البداية فنجد: أن الله فصل بين النور والظلمة، وسمى النور نهاراً والظلمة ليلاً، وقال: لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد، ولتظهر اليابسة. ودعا اليابسة أرضاً.

وهكذا يمضي سفر التكوين مضطرباً في الكلمات القليلة التي بدأ بها.

في البداية خلق السماوات والأرض كانت الأرض خربة، وبعد ذلك خلق وسط الماء شيئاً جامداً أسماه أرضاً، وسمى بعضاً منه سماء.

وهل يؤيد هذا علم أو يتسع له عقل؟ خلق السماوات والأرض، ثم خلق شيئاً سماه أرضاً وسماء!.

كانت الفكرة القديمة أن العالم كله ماء، وأن الأرض طافية فوق الماء كحبة العنب، وهو تفكير نشأ عن نظر محدود. وسفر التكوين وبقية الكتاب المقدس، أو الذي يسمى الكتاب المقدس من وضع بشري متأخر.

ومع اضطراب التعبير، وسقامة الأسلوب، ومخالفة المعنى لحقائق العلم يعجب تيموثاوس التقي الذكي به ويعيب القرآن.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠]، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء: ٣٢].

والسماء هي كل شيء نراه فوقنا، وفهم تيموثاوس أن السماء لا تكون إلا بمعنى الفضاء، وهو جهل فاضح، لقد كان العرب يقولون لمحمد ﷺ أسقط السماء علينا كسفاً؛ أي: قطعاً، فهل كانوا يعنون الفضاء؟.

ونحن ننظر إلى الأعلى ليلاً ونهاراً فنرى الكواكب السابحة، لا نستطيع نحن ولا تستطيع الجن والإنس أن تغير من نظامها شيئاً، أو تعدل فيه أدنى تعديل؟ كما أننا لا نستطيع حتى الوصول إليه، لقد كان من أعاجيب العلم أن وصل الناس إلى أرض القمر، والقمر تابع

للأرض وكوكب ضئيل! فأين الجهد البشري من هذه الكواكب البعيدة الجبارة؟ وأين هي؟ وما مدى العلم بها؟.

صدق الله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥][1].

٥ ـ قرر القرآن أن جبل (قاف) يحيط بالأرض كلها:

وذلك في أول سورة (ق) في قوله تعالى: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ [قٓ: ١]. وهذا خطأ؛ لأن العلم يبين أن أعلى قمة هي (إفرست)[2].

الجواب:

وهذه خرافة مصدرها كتاب اليهود! الذي يتحدث عن جبل قاف الخرافي.

(أما القرآن فلم يذكر جبالاً ولا قمماً، والحرف (ق) أحد الحروف الكثيرة التي بدئت بها سور من القرآن مثل: ص، ن، حم، الر... وهكذا.

ولكن الصيغة المادية البحتة التي تركتها التوراة المزيفة في ذهن القوم، وجهت ذهنهم هذا الاتجاه المادي البحت، وإذا كانت هذه خرافة منشؤها كتاب يهودي، فكيف يؤاخذ بها القرآن؟! إن كتب اليهود هي كتب المسيحيين. فليوجه القوم اللوم إلى أنفسهم، أما أن يكونوا هكذا جاهلين، ثم يحملون جهلهم على القرآن، فهذا ما لا يقبله غير عقولهم)[3].

---

(١) «رد مفتريات على الإسلام» (ص١٣٢ ـ ١٣٦).

(٢) السابق (ص١٤٢).

(٣) السابق (ص١٤٢).

* **وهذه طعون علمية أخرى من كلام المستشرقين**، فيما ذكره الأستاذ ميلر بروز (رئيس قسم لغات الشرق الأدنى وآدابه، وأستاذ الفقه الديني الإنجيلي في جامعة ييل) في بحث له بعنوان: (مقترحات في موضوع العلاقة بين الدين والعلم في الإسلام)[1].

وقد أجاب عليها الدكتور بلتاجي على النحو التالي:

٦ ـ **قال ميلر**: (من الذائع المشهور أن النتائج التي وصل إليها العلم الحديث عن أصول العلم، تخالف كل المخالفة ما هو مقرر في الكتاب المقدس وفي القرآن؛ من أن الله خلق العالم في ستة أيام.

صحيح أن القرآن يقرر أن يوماً عند الله كألف سنة مما يعد الإنسان ولكن هذا لا يحل المعضلة؛ فإن فترة الزمان المتطاولة التي مر بها الكون في وجوده، لا يمكن أن تضغط في ستة آلاف أو ستة ملايين سنة)[2].

الجواب:

(أ ـ الآيات التي أشار إليها ميلر بروز تقرر أن الله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش. لكنها لا تعرض لعمر الكون المخلوق منذ خلقه الله تعالى حتى يومنا هذا.

لكن ميلر بروز في كلامه السابق يخلط بين الأمرين، مشيراً إلى (معضلة) لا وجود لها، حيث يتكلم عن (فترة الزمان المتطاولة التي مر بها الكون في وجوده، والتي لا يمكن أن تضغط في ستة آلاف أو ستة ملايين سنة)، فمال للآيات القرآنية التي يشير إليها وعمر الكون؟!.

---

(١) انظر: «المدخل إلى علم التفسير»، لأستاذنا الدكتور بلتاجي (ص٢٠٣).

(٢) «المدخل إلى علم التفسير»: (ص٢٠٣).

إنها تقرر فحسب الزمن الذي خلق الله تعالى فيه الكون، دون أن تعرض لما بعد الخلق من الزمن الذي مر على الكون المخلوق حتى يومنا هذا.

فالتناقض الذي يتكلم عنه هذا المستشرق إنما جاء نتيجة لخلطه بين الأمرين، وتحميل الآيات القرآنية غير ما تحمله من معنى. وذلك أمر غاية في الوضوح لكل من يراجع نصوص الآيات المشار إليها ثم يراجع كلام المستشرق عنها)[1].

ب ـ إن ميلر بروز ـ أو غيره ـ لا يستطيع أن يعرض بشيء من التكذيب لما قررته هذه الآيات، من أن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش؛ لأن فعل الخلق وزمانه سبقا الوجود البشري، فلا يستطيع أحد إطلاقاً أن يزعم أنه شهد ـ بأي وسيلة ـ أو رصد كيفية خلق السماوات والأرض وزمانه، وعلم البشر المادي ـ بكافة فروعه ـ نشأ بعد أن تم الخلق، وليس هناك أمامه سبيل ما لمعرفة تفصيلات خلق السماوات والأرض وما بينهما ـ من حيث الزمان ـ إلا ما أخبر به الوحي الصادق عن الله تعالى في هذه الآيات، وفيما يتصل بها من أحاديث نبوية صحت روايتها عن النبي ﷺ.

ولا يملك الإنسان ـ في علمه البشري وسيلة أخرى يسترجع بها كيفية الخلق أو زمانه ليقيس عليها ما ورد في الوحي.

ومن هنا لا يستطيع العلم البشري بحال أن يصل في هذه القضية إلى شيء يستند عليه في تكذيب ما ورد في الوحي؛ لأن الوحي يحكي هنا عن أمر (غيبي) لم يشهد البشر ولا يصل إليه علمهم المادي بحال، كما قال تعالى: ﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف: ٥١].

---

(١) السابق (ص٢٠٦).

فكل زعم بمحاولة التشكيك في أن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام، زعم باطل بدءاً، يستوي في بطلانه مع دعوى الكفار القدماء، بأن الملائكة ـ الذين لم يشهدوا خلقهم أو يحيطوا بهم علماً ـ إناث، وقد رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩].

أما ما يشير إليه ميلر بروز من (النتائج التي وصل إليها العلم الحديث عن أصول العالم) فليس في هذه النتائج ـ وهي محض فروض في ذاتها ـ ما يعرض لشيء عن مقدار الزمن الذي خلق الله فيه السماوات والأرض، وإن كان فيها تقديرات فرضية لعمر الكون المادي، وتلك قضية أخرى كما سبق أن قررنا)[١].

٧ ـ قال ميلر: (الإنسان نفسه لم يخلقه الله دفعة واحدة منفصلاً عن خلق الحيوان، ولكنه جاء نتيجة لتطور طويل من الأشكال الدنيا للحياة، فكيف إذن نتغلب على هذا الإشكال)[٢].

(ج) أما ما يشير إليه ميلر بروز من نظرية النشوء والارتقاء لداروين في قوله: (إن الإنسان نفسه لم يخلقه الله في دفعة واحدة منفصلاً عن خلق الحيوان، ولكنه جاء لتطوير طويل من الأشكال الدنيا للحياة)؛ فإنما يشير في نظرية لم تكن في وقت من الأوقات حقيقة علمية قطعية يمكن أن تقاس عليها النصوص الدينية، فهي لم تزد في وقت ما ـ منذ قيل بها ـ عن أن تكون مجرد فرض لم يقم عليه أبداً دليل قاطع، أو قريب من القطع واليقين، ومنذ أعلنها داروين وجد لها معارضون من رجال العلم التجريبي؛ لأنه لم يقم أبداً دليل محسوس على صحتها،

---

(١) «المدخل إلى علم التفسير»، (ص٢٠٧).

(٢) السابق، (ص٢٠٣).

وإنما هي فرض عقلي فسر به داروين بعض الظواهر والمشاهدات، لكن لم يرصد أحد من المؤمنين بها إطلاقاً تطوراً مادياً يقطع بصحتها، بل على العكس من ذلك فقد طالعتنا وكالات الأنباء في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٤م (شوال ١٣٩٤هـ) أن أعضاء بعثة الآثار الفرنسية البريطانية، التي تقوم بسلسلة من الحفائر في إثيوبيا قد اكتشفوا بقايا هيكل عظمي لإنسان، يرجع تاريخياً إلى حوالي أربعة ملايين سنة، وقال أعضاء البعثة إن هذا الكشف سيغير تماماً النظريات السابقة المعروفة عن أصل الإنسان[١].

ومما لا شك فيه أن أول ما يغيره هذا الكشف نظرية داروين، فهل يستقيم بعد هذا أن يطعن إنسان في صدق الوحي القرآني في الخلق، مستنداً إلى استنتاج فرضي لعالم طبيعي، لم يثبته هو أو غيره بصورة قاطعة، بل وجدت اكتشافات تطعن في صحته؟

ومن هنا لا تصلح هذه النظرية ـ على أي نحو ـ لتكون مقياساً تقاس عليه نصوص القرآن الكريم في الخلق.

ومنهجنا في كافة النظريات البعيدة عن وصف اليقين، هو أننا ننزه القرآن ابتداءً عن أن يقال في تأويله شيء يتصل بمحض الفروض والاستنتاجات القابلة للتغيير، بل الإلغاء أصلاً.

وبهذا يتبين أن كلام ميلر بروز وأمثاله عن (خلق الإنسان في تطور طويل من الأشكال الدنيا) ـ كقضية مسلَّمٌ قطعاً بصحتها ـ شنشنة كاذبة نعرفها من هؤلاء، وهي تقوم على جعل (الظنون والتصورات) حقائق قاطعة مسلماً بصحتها، وينبغي ألا يخدع هذا المنهج القائم على التعمية والتجهيل بحقائق الأمور أحداً من الباحثين الذين يحترمون عقولهم)[٢].

---

(١) جريدة الأخبار القاهرية في ٢٨/ ١٠/ ١٩٧٤م (ص١).

(٢) «المدخل إلى علم التفسير» (ص٢٠٩).

٨ ـ **في قوله تعالى**: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًاۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ [الكهف: ٨٦].

يقول خلف الله: (بان للعقل الإسلامي أن مسألة غروب الشمس في عين حمئة، لا يستقيم وما يعرف من حقائق هذا الكون)[١].

ـ **الجواب**:

قد قدمنا أن لا يصح الأخذ بالألفاظ المحتملة وادعاء أنها تعارض العلم، (فالتعبير القرآني المحكم المعجز يقول: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ﴾ ولم يقل إنها تغرب؛ حتى يكون هذا تعبيراً عن الحقيقة الكونية المطلقة)[٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي: رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله، يراها أنها تغرب فيه، وهي لا تفارق الفلك الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه)[٣].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال القفال: قال بعض العلماء: ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغرباً ومشرقاً، ووصل إلى جرمها ومسها؛ لأنها تدور مع السماء حول الأرض، من غير أن تلتصق بالأرض، وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض، بل هي أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفة، بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدها في رأي العين تغرب في عين حمئة، كما أنا نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض؛ ولهذا قال:

(١) «الفن القصصي» (ص٣٤).

(٢) «مدخل إلى علم التفسير» (ص٢٣٣).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٣/١٠٣).

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠] ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم، بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم)[1].

فادعاء أن هذه الآية تعارض العلم لا شك أنه ادعاء باطل[2].

٩ ـ في القرآن: أن ﴿ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]، وأن الله يمسكها لئلا تقع، فكيف يقول عن الفضاء غير المتناهي: إنه سقف قابل للسقوط[3]؟.

الجواب: (كل لغة فيها الحقيقة والمجاز، والتعبير على المجاز، فإن السماء شبه سقف البيت، والمانع للسقف من السقوط على الحقيقة هو الأعمدة، وعلى المجاز هو الله تعالى، لأن كل شيء بقدرته، ولذلك نظير في التوراة والإنجيل: «الكسل يهبط السقف»، وفي ترجمة أخرى: «من جراء الكسل ينهار السقف، وبتراخي اليدين يسقط البيت» [جامعة ١٨ : ١٠]، يريد أن يقول: إن الكسل يؤدي إلى الفقر، والفقر يؤدي إلى خراب البيوت، وعبر عن الخراب بانهيار السقف، والسقف لا ينهار بالكسل، وإنما بهذه الأعمدة التي تحمله. وفي سفر الرؤية [٦ : ١٣]: «فسقط من السماء كوكب»، ويقول عيسى عليه السلام: [متى ١٠ : ٢٩]: «إن العصفور لا يقع على الأرض إلا بإرادة الله: إما يباع عصفوران بفلس واحد، ومع ذلك لا يقع واحد منهما إلى الأرض خفية عن أبيكم»، وفي الرسالة إلى العبرانيين [١٠ : ٣١]: «حقاً ما أرهب الوقوع في يدي الله الحي»)[4].

---

(١) «جامع أحكام القرآن» للقرطبي (١١/ ٥٠).

(٢) وانظر: «حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين» (ص٢٩٦).

(٣) «حقائق المشككين»: (ص٤٤٩).

(٤) «حقائق المشككين» (ص٤٥٠).

قلت: ولكن قبل هذا نحن نعارض قضية أن الفضاء غير متناهٍ، بل هو متناهٍ؛ حيث إن هذا الكون مغلف بالسماوات، كما قال: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ...﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، فالطي لا يكون إلا لما له جرم.

وفي حديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ. قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ؛ قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ. قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِّنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ. فَقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام ...**»[1].

ف (إلى) للغاية، وكون جبريل استفتح دل أن لها جرماً وأبواباً.

وزعمهم أن الفضاء غير متناه دعوى بغير مستند، وكل دعوى تسقط بالمطالبة بالدليل، وعدم علمهم ليس علماً بالعدم.

فإذا ثبت أن السماء سقف ـ كما تقدم ـ؛ فكل سقف يحتاج إلى أعمدة، وكلما كبر السقف كثرت الأعمدة، ولكن السماء على كبرها وعرضها ليس فيها عمود واحد، فمن يمسك هذا السقف؟ إنه الله ـ تعالى وتقدس ـ.

١٠ ـ في القرآن أن الله زين السماء الدنيا بمصابيح، فكيف يقول

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم (١٦٢).

عن ملايين الكواكب التي تسبح في هذا الفضاء غير المتناهي أنها مصابيح؟[1].

الجواب:

(دل المؤلف بقوله هذا على إنكار الواقع المشاهد في الحياة الدنيا، ودل أيضاً بقوله هذا على جهله بالتوراة والإنجيل؛ ففي سفر الرؤية [رؤ ٨: ١٠]: (كوكب عظيم متقد كالمصباح)، (وأمام العرش سبعة مصابيح) [رؤ ٤: ٥]، وجاء المصباح على المجاز في قول صاحب الأمثال [أم ٦: ٢٣]: (الوصية مصباح والشريعة نور)[2].

١١ ـ جاء في القرآن: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]. فكيف يقول ـ عن أرضنا وهي واحدة من ملايين الكواكب ـ أنه يوجد سبعة مثلها؟[3].

الجواب:

قال الشيخ علي جمعة: (قول الطاعن أن الأرض سبعة، أخذه من بعض المفسرين، وهو يعلم أن المفسرين مجتهدون؛ يصيبون ويخطئون.

والرد عليه: : أن نص الآية هو: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]. فأتى بـ (من) التي تفيد التبعيض؛ لينفي العدد في الأرض، وليثبت المثلية في قدرته، فيكون المعنى: أنا خلقت سبع سموات بقدرتي، وخلقت من الأرض مثل ما خلقت أنا السماء بالقدرة، ولهذا المعنى علل بقوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

---

(١) «حقائق المشككين» (ص٤٤٩).

(٢) «حقائق المشككين» (ص٤٥١).

(٣) انظر: «حقائق الإسلام» (ص٤٤٩).

قَدِيرٌ﴾، وبيان التبعيض في الأرض: هو أن السماء محكمة، وأن الأرض غير محكمة، وهي غير محكمة لحدوث الزلازل فيها، وللنقص من أطرافها، وقد عبر عن التبعيض في موضع آخر، فقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ [الأنبياء: ٤٤] والنقص من أطرافها يدل على أن الباقي من الأرض ممسوك بقدرة الله، كما يمسك السماء كلها)[١].

ولكن رأي الشيخ علي جمعة بعيد وفيه تكلف، والآية تدل على معنى السبع دلالة ظاهرة، وقد ثبت في الأحاديث الصحاح ذكر الأرضين السبع؛ فسَعِيد بْن زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ ظَلَمَ مِنْ الأَرْضِ شَيْئاً طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»[٢]. وهذا الحديث مروي أيضاً عن أبي هريرة[٣] وعائشة[٤]، وابن عمر رضي الله عنهم أجمعين.

وهذه الأراضي عبارة عن طبقات الأرض، وهي سبعة، كل طبقة تختلف عن الأخرى بعناصرها وتركيبها وموادها.

قال ابن حجر في شرح حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه: (وَفِيهِ: أَنَّ الأَرَضِينَ السَّبْع مُتَرَاكِمَة لَمْ يُفْتَقْ بَعْضها مِنْ بَعْضٍ لأَنَّهَا لَوْ فُتِقَتْ لاكْتُفِي

---

(١) «حقائق الإسلام»، بحث للدكتور علي جمعة، (ص٤٤٩).

(٢) متفق عليه. البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض، رقم (٢٤٥٢)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، رقم (١٦١٠).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، رقم (١٦١١).

(٤) متفق عليه. البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض، رقم (٢٤٥٣، ومسلم: كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، رقم (١٦١٢).

فِي حَقِّ هَذَا الْغَاصِب بِتَطْوِيقِ الَّتِي غَصَبَها؛ لانْفِصَالَهَا عَمَّا تَحْتَها. أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ الدَّاوُدِيّ. وَفِيهِ: أَنَّ الأَرَضِينَ السَّبْع طِبَاق كَالسَّمَواتِ، وَهُوَ ظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] خِلافاً لِمَنْ قَالَ إِنَّ الْمُرَادَ بِقَوْله سَبْعِ أَرَضِينَ سَبْعَة أَقَالِيمَ لأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يُطَوَّقْ الْغَاصِبِ شِبْراً مِنْ إِقْلِيمِ آخَرَ. قَالَهُ ابْنُ التِّينِ)[١].

ويؤيد هذا المعنى حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَال النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَخَذَ مِنْ الأَرْضِ شَيْئاً بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِين»[٢].

حيث يدل ظاهره مع ظاهر حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه على أن هذه الأرضين المقصود بها سبع طبقات متلاصقة في أرضنا هذه.

وأصرح منهما حديث صهيب رضي الله عنه: أن النبي ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها: «اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب **الأرضين السبع** وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها»[٣].

وهو الذي دل عليه العلم الحديث، فقد التقيت بأحد أساتذة كلية العلوم في جامعة القاهرة في قسم الجيولجيا، فسألته: كم تنقسم الأرض

---

(١) فتح الباري: (٥/ ١٢٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض، رقم (٢٤٥٤).

(٣) أخرجه ابن حبان (٦/ ٤٢٥)، والحاكم (١/ ٦١٤)، وابن خزيمة (٤/ ١٥٠)، وحسنه الألباني والأعظمي في تحقيق صحيح ابن خزيمة رقم (٢٥٦٥)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٠م.

إلى طبقة؟ فقال لي: تتكون الأرض من سبع طبقات. فقلت: هل لديك مرجع في ذلك؟ فأخرج لي كتاباً باللغة الإنجليزية، وبدأ يقرأ ويترجم ويريني الصور التوضيحية في إثبات هذه القضية[1].

وهكذا؛ لو نظرت إلى معظم طعونهم في القرآن بدعوى معارضته للعلوم الحديثة، فإنها لا تكاد تخرج عن الضابطين الأوليين في هذا المبحث:

إما أنها نظريات لم تصل حد الحقيقة المسلمة.

أو تحميل لفظ القرآن ما لا يحتمل.

وبهذا يتضح أن كل الطعون التي أثيرت في موضوع (معارضة القرآن لحقائق العلم التجريبي) في حقيقتها باطلة، لا سيما إذا طبقناها على القاعدتين السابقتين في التفسير العلمي للقرآن.

ويجب على المسلم دائماً أن لا يتسرع إذا رأى قضية علمية تخالف القرآن بالطعن في كتاب الله، فقد تتغير هذه النظرية، فكم رأينا كثيراً من المسلمات العلمية نقضت في عصور بعدها.

فينبغي التورع دئماً وتفويض الأمر لله سبحانه فيما لم يقدر الإنسان فيه على الجمع بين التعارض الظاهري.

وبهذا نكون قد وصلنا إلى نهاية المطاف في هذه الطعون، وبه يتم آخر مباحث هذه الرسالة.

والله سبحانه أعلى وأعلم وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) وهو كتاب (Physical Geology Exploring the Earth)، وترجمة العنوان: (الجيولوجيا الطبيعية، استكشاف الأرض)، لجيمس مونرو ورد ويكاندر، (ص١٥ ـ ١٦)، كندا، مكتبة بروكس. كول، الطبعة الرابعة، ٢٠٠١.



الخاتمة

لقد ظهر لي بعض النتائج والتوصيات بعد هذه الدراسة، وهي كالتالي:

١ ـ أحسب أني أتيت بشيء جديد في هذه الرسالة، لا سيما في بعض المباحث، كالردود الإجمالية على كل طعن، وبعض الردود التفصيلية، وغير ذلك.

٢ ـ أغلب الطعونات تَكَفَّل القرآن بالرد عليها إجمالاً.

٣ ـ الكثير من الطعون أجاب عنها النبي ﷺ تفصيلاً.

٤ ـ الطاعنون يرددون الطعونات ويتناقلونها، ويتواصون بها، ويأخذها الرجل عن الآخر، ثم يعيد صياغتها مرة أخرى، معرضين عن أجوبة العلماء عليها، وضاربين بعُرض الحائط تفنيد العلماء لها، وهذه علامة أهل الأهواء، وصدق الله إذ يقول: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ...﴾ [فصلت: ٤٣].

٥ ـ يلاحظ أن هناك تقسيم للأدوار في الطعون، فيبدأ الأول بطعن، ثم الثاني بطعن آخر في زمان يليه، وهكذا، وكل واحد منهم يبارك للآخر ويدافع عنه.

٦ ـ شؤم البدع والفرق الضالة على الإسلام، حيث فتحوا الباب للطاعنين، فتجدهم يستدلون بكلام الرافضة في إثبات تحريف القرآن، ويستدلون بكلام الصوفية بأن القرآن ليس واجب الاتباع؛ لأن له معاني أخرى غير المعاني الظاهرة، يسمونها العلم الباطن، ويستدلون بكلام المعتزلة في تقديم العقل على النقل.

٧ ـ الطاعنون العلمانيون، لم يكن طعنهم في القرآن مباشراً، وأما المستشرقون فقد كانوا يطعنون طعناً مباشراً في القرآن؛ لأنهم يعلمون خطورته في إذكاء روح التحدي في الأمة، وأما تلاميذهم من العلمانيين فقد كانوا أكثر ذكاء في الطعن، فهم يعلمون مكانة القرآن في نفوس المسلمين، ومدى إتقانه وإحكامه، فالطعن فيه مزلة مدحضة مسقطة للسمعة من أول الأمر، لذلك فقد كانت طعونهم تحوم حول الحمى.

٨ ـ لقد اتضح أن أكثر المستشرقين ليس فيهم من الاعتدال شيء ولا من الإنصاف، بل هم يغرون المسلمين بكثير من الكلام الجميل عن الإسلام؛ وذلك ليوصفوا بالاعتدال والإنصاف، فإذا فُتحتْ لهم الأبواب، وأصغت لهم الآذان، وذاب الحجاب، جاءت الطعون من كل حدب وصوب، كما هو الحال في جولدتسيهر وبلاشير وغيرهم[1].

٩ ـ من أسخف الطعون الاستشراقية الطعون اللغوية، فهؤلاء المستشرقون الذين ظهروا بعد نزول القرآن بأكثر من ألف سنة، يريدون أن يخبرونا أن القرآن فيه أخطاء لغوية أو نحوية، مع أنه عرض على فصحاء العرب وعلماء اللغة والنحاة واللغويين، ولم ينقم عليه أحد شيئاً في لغته، فإذا بهؤلاء بعد هذه الأزمنة المتطاولة، والإجماع القطعي يخرجون لنا بهذه البائقة، التي أضحكت عليهم المجانين، فلا ينبغي التشاغل بالرد عليهم في هذا الباب، ولا إضاعة الأوقات على قوم يريدون أن يعلمونا لغتنا وهم لا يفقهون منها شيئاً، وأغلب طعونهم هي عبارة عن ألفاظ مشتركة، أو ألفاظ عامة، أو غير ذلك من أنواع طرائق الكلام، وإنه ليصح لنا أن نتمثل بقول الشاعر:

---

(١) وقد قرر هذه القضية الدكتور محمد إبراهيم شريف تقريراً شافياً في كتابه (اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر)، (ص٧٣٠).

إِذَا وَصَفَ الطَّائِيَ بِالبُخْلِ مَادِرٌ[1] وعَيَّر قَسًّا[2] بالفَهَاهَةِ باقِلُ[3]
وقال السُّهَى[4] للشَّمْسِ أَنْتِ خَفِيَّةٌ وقال الدُّجَى للصُّبْحِ لَوْنُكَ حَائِلُ
فَيا مَوْتُ زُرْ إِنَّ الحياةَ ذَمِيمَةٌ ويا نَفْسُ جِدِّي إِنَّ دَهْرَكِ هَازِلُ[5]

١٠ ـ لا يألو أعداء الله جهداً في الطعن في هذا الدين، واستخدام كل الطرق لتنفير الناس منه، ولو كان في غايةٍ من الخسة

---

(١) مادر: هو رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة، اسمه مخارق، بلغ من بخله أن سقى إبله، فبقي في أسفل الحوض ماء قليل، فسلح فيه ومدر الحوض به. فسمي مادراً، وصار مضرب المثل عند العرب، فيقال: أبخل من مادر، انظر: «مجمع الأمثال»، للنيسابوري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت (١/ ١١١).

(٢) هو قس بن ساعدة بن حذافة بن زهير بن إياد بن نزار الإيادي، كان من حكماء العرب وأعقل من سمع به منهم، وهو أول من كتب: من فلان إلى فلان، وأول من أقر بالبعث من غير علم، وأول من قال: أما بعد، وأول من قال: البينة على من ادعى واليمين على من أنكر. وقد عمر مائة وثمانين سنة، قال الأعشى: وأبلغ من قس. انظر: «مجمع الأمثال»، للنيسابوري (١/ ١١١).

(٣) باقل: هو رجل من إياد قال أبو عبيدة: باقل رجل من ربيعة بلغ من عيه أنه اشتري ظبياً بأحد عشر درهماً فمر بقوم، فقالوا له: بكم اشتريت الظبي؟ فمد يديه، ودلع لسانه ـ يريد أحد عشر ـ فشرد الظبي، وكان تحت إبطه. وهو مضرب المثل في العي، فيقال: أعيا من باقل، انظر: «مجمع الأمثال» (١/ ١١١).

(٤) السُّهى: هو كوكب صغير خفي في نجوم بنات نعش. انظر: «المستقصى في كلام العرب»، للزمخشري (١/ ١٤٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

(٥) ومعنى الأبيات: أنه إذا اختلت معايير الحكم على الأشياء؛ كأن عيَّر مادرٌ ـ وهو مضرب المثل في البخل ـ حاتماً الطائي ـ وهو مضرب المثل في الكرم ـ بالبخل، وعيَّر باقلُ ـ وهو مضرب المثل في العي ـ قس بن ساعدة الإيادي ـ وهو مضرب المثل في الفصاحة ـ بالفهاهة، ورمى السُّهى الخفي الشمس بالخفاء، فإن الموت يصبح أحب إلى النفس من الحياة، فقد صارت ذميمة بغيضة، ويجب على النفس آنذاك أن تقابل هذا الهزل بالجد والعزم.

والدناءة، كما فعل لبيد بن الأعصم عندما سحر النبي ﷺ، ولا زالت هذه سنتهم إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

١١ ـ من المفارقات العجيبة أن يكون هؤلاء المتطفلون على ديننا، الطاعنون في كتاب ربنا، مرجعاً لكثير من الكُتّاب الإسلاميين، وكأن الأمة الإسلامية عقمت أن تأتي بأمثال هؤلاء.

١٢ ـ يجب التنبه والحذر من الأشخاص الذين يثني عليهم الطاعنون، فإنهم لا يفعلون ذلك إلا لمعرفتهم بقرب طريقتهم من طريقتهم، وليروجوا أسماءهم على البسطاء فيستمعوا لهم ويأخذوا عنهم.

١٣ ـ لو جُمعت كل طعون المعاصرين على القرآن، لأنتج هذا أعظم أنواع الكفر بالدين، فلو أخذنا بقول إنه مأخوذ من اليهود والنصارى، وإنه زيد فيه ونقص، وإنه يجوز نقده، وإنه لا يجب العمل به، وإنه متناقض، وإن كل القصص التي فيه عبارة عن أساطير مكذوبة، لأدى هذا إلى نقض الدين كله من أصله؛ لأن الدين قائم على القرآن، والقرآن عبارة عن أخبار وأحكام، كما قال سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١١٥﴾ [الأنعام: ١١٥] أي صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام[1]، فإذا كانت الأخبار مكذوبة والأحكام غير لازمة، فما فائدة نزول القرآن إذن؟!

١٤ ـ من الطعون الجديدة في هذا العصر تعارض القرآن مع العلوم التجريبية الحديثة، فلم يُتعرض لها إلا في هذا الزمن، بعد الاكتشافات العصرية الجديدة.

١٥ ـ التوصية بكتابة مؤلَّف في طبقات المفسرين من القرن العاشر ـ حيث وقف الداوودي ـ إلى عصرنا الحاضر؛ لأنه لم يؤلف في هذا

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٦٧).



المجال أحد، مع شدة الحاجة لمعرفة ما كتب في هذه العصور المتطاولة، ومعرفة تراجم مؤلفيها.

١٦ ـ التوصية بتحقيق كتاب الرازي في التفسير «مفاتيح الغيب»، والرد على جميع ما يورده من الطعون؛ لأنه يورد الطعون بقوة ويجيب عليها ـ في الغالب ـ بضعف[١]، أو كما قيل: يورد الطعن بنقد ويجيب بنسيئة، ثم يطبع كتاب «مفاتيح الغيب» طبعة جديدة مع وضع جميع هذه الردود في الحاشية عند كل طعن، كما هو الحال في تفسير الزمخشري (الكشاف) حيث طبع مع رد ابن المنير الإسكندراني.

١٧ ـ يقول الرافعي: خذ من زاعمي التحرر: الكذب في فلسفة المنفعة، والتسفل في شعاعة الغريزة، والوقاحة في زعم الحرية، والخطأ في علة الرأي، والإلحاد في حجة العلم[٢].

١٨ ـ وأخيراً نقول لمن حاول الطعن في كتاب الله، أو في رسول الله ﷺ، أو في شيء من دين الله: اعلم أنك بفعلك هذا قد جنيت على نفسك، وأوديت بها إلى مهاوي الردى، واعلم أن «هذا الدين متين»[٣] «وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلا غَلَبَهُ»[٤]، فأشفق على نفسك.

يا ناطِحَ الجَبَلِ الأَشَمِّ بِرأْسِهِ ... أشفق عَلَى الرأس لَا تُشْفِقْ عَلَى الجَبَلِ

وإنما مثل هؤلاء الطاعنين كوَعْلٍ غرَّه قَرْنَاه، فرأى ذاتَ يوم صَخْرةً ضخمةً راسيةً شامخةً، فأراد أن يريها قوةَ قرنيه فنطحها بكل ما عنده من

---

(١) انظر: «المدخل إلى علم التفسير، أ. د. بلتاجي (ص٢٢٢).

(٢) «إعجاز القرآن» لمحمد صادق الرافعي (ص١٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند عن أنس (٢٧٣١٨) وحسنه الألباني في السلسلة الضعيفة (٥/ ٥٠١) رقم (٢٤٨٠).

(٤) أخرجه البخاري عن أبي هريرة: كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم (٣٩).

قوة، فتحطم قرناه وتفتتا، وأما الصخرة فما أحست من ذلك بشيء، قال الشاعر:

كناطِحٍ صَخْرةً يوماً ليُوهنِها   فلَمْ يضرْها وأَوْهى رَأْسه الوَعلُ

فالإسلام كالبحر الخضم، لا يضره من ألقى فيه بحجارة محاولاً إيذاءه:

وَمَا يَضُرُّ البَحْرَ أمْسَى راسياً   إذا رَمَى إلِيه صَبِيٌّ بحَجَرْ

وهكذا الدين دائماً يخرج منتصراً، جعلنا الله ـ تعالى ـ من أنصاره، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

اللهم اجعلنا نخشاك كأننا نراك، اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم أن نلقاك. ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.



الفهارس العامة

* فهرس الآيات القرآنية.
* فهرس الأحاديث النبوية.
* فهرس الآثار.
* فهرس الأشعار.
* فهرس الأعلام.
* قائمة المراجع.
* فهرس الموضوعات.



١ ـ فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾	٢٦	٧٨
﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾	٢٦	٢٨٢
﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩﴾	٢٩	٣٢٨
﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾	٣٤	٣٤٣
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾	٦٢	٣٢٠، ٣٢١
﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧﴾	٩٧	٣١٦، ٣١٧
﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾	١٠٥	٣٠٣
﴿۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾	١٠٦	٢٨٦
﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾	١١١	١٧٥، ٢٦٣
﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣﴾	١١٣	٣٢٥

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة الإسراء

سورة الفرقان

سورة العنكبوت

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾	٣٤، ٣٥	٢٤٥
﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾	٤٦	١١٠
﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾	٤٨	١٠٦، ١٦٧ ٢٠٦
﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾	٤٨، ٤٩	١٢٧، ٢٢٣
سورة الروم		
﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ ...﴾	١ ـ ٦	١٢٧، ١٣٧
﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾	٨	٢٥٢
﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾	٥٠	٢٥١
سورة لقمان		
﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾	١٠	٣٧٨
سورة السجدة		
﴿الٓمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾	١ ـ ٣	٣٥٢

الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾	٤٦	٢٥٢
سورة فاطر		
﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾	٢٧	٣٨١
﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾	٣١	٣٥٣
سورة يس		
﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	٤٠	٣٧٩
﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾	٦٩	١٣٤
﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾	٧٧	٣١٨
سورة الصافات		
﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾	١١	٩٠
﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾	٢٤	٩١
﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾	٢٧	٤٥، ٤٦
﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾	٤٥ ـ ٤٧	٣٢٧
﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾	١٣٦ ـ ١٣٨	٢٤٥
سورة ص		
﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾	٦٩	٢٠٩
﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾	٧١، ٧٢	٣١٨

سورة فصلت

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾﴾	١ ـ ٣	١٥٥
﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾	٩	٤٥
﴿خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾	٩	٤٦
﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾	٩ ـ ١٢	٤٥، ٣٠٨
﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ﴾	٢٤، ٢٥	٢١٠
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾	٢٦	٧٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾﴾	٤١، ٤٢	٢١٠، ٣٥١
﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾	٤٢	١٠٥، ١١٥
﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾﴾	٤٣	٣٩٧
﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾﴾	٥٢	١٠٧، ١٧٢

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة المطففين		
﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾	٦	١٨٥
﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦﴾	٢٥، ٢٦	٣٢٦
سورة الطارق		
﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾	٥	٢٥١
﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾	١٣، ١٤	١٠٦
سورة الفجر		
﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾	١٣، ١٤	٢١٨
﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾	٢٢	٨٤
سورة البلد		
﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾	١	٥٥، ١٧٥
﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾	١، ٢	٢٩١
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾	٤	٥٢
سورة الضحى		
﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾	١ ـ ٣	٢١٤
﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾	٧	٣٣٢، ٣٣٣ ٣٣٦
﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾	١٠	١١٠
سورة التين		
﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾	١، ٣	٢٩١
﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾	٨	٢٤٣
سورة العلق		
﴿ٱقْرَأْ﴾	١	١٨٥



٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية

٣ ـ فهرس الآثار

٤ ـ فهرس الأشعار


Tafsir Center for Qur'anic Studies

٥ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم


مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center for Qur'anic Studies

٦ ـ قائمة مراجع

- **المرجع الأول: القرآن الكريم.**

(أ)

- آداب البحث والمناظرة، للأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، د. عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- آيات الله في الكون، د.عبد الله شحاته، مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- الإبداعات الطبية لرسول الإنسانية، د. مختار سالم، طبعته مؤسسة المعارف في بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- الأبطال لكارليل، عن كتاب الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، د. محمد ماضي، مكتبة دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبين، يوسف إبراهيم الشيخ عيد، دار المعالي، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- اتجاهات التفسير في العصر الراهن، د. عبد المجيد عبد السلام المحتسب، دار البيارق، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
- اتجاهات التفسير في القرن الرابع، أ. د. فهد الرومي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن حبنكة، دمشق، دار القلم، الطبعة الخامسة، ١٩٨٦م.
- الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة، محمد عبد الرحمن عوض، دار البشير، القاهرة.

- أسباب النزول بين الفكر الإسلامي والفكر العلماني، د. محمد سالم محمد، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- الاستشراق والتبشير؛ قراءة تاريخية موجزة، د. محمد السيد الجليند، دار النهضة بجامعة القاهرة.
- الاستشراق والمستشرقون، د.مصطفى السباعي، دار السلام، القاهرة.
- الإسقاط في مناهج المستشرقين، الدكتور شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- الإسلام دعوة عالمية، ومقالات أخرى لعباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.
- الإسلام كبديل، مراد هوفمان، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.
- (إسلاميات)، لعباس محمود العقاد، مصر، دار الشعب.
- الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية عشرة، ١٩٩٧م.
- الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- أصول الجدل والمناظرة، د.حمد العثمان، مكتبة ابن القيم، الكويت، ٢٠٠١م.
- أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية، عرض ونقد. د. ناصر بن عبد الله القفاري، القاهرة، دار الحرمين للطباعة، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.
- أضواء البيان، الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٨٨م.
- أضواء على متشابهات القرآن، لخليل ياسين، من منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.
- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، الدكتور محمد أحمد يوسف قاسم، دار المطبوعات الدولية، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، لسيد الجميلي، دار مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، حمادة الدبلاني، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب، بيروت، ١٩٩٠م.
- إعجاز النبات في القرآن الكريم، د. نظمي خليل أبو العطا، مكتبة النور، مصر الجديدة.

- إعراب مشكل القرآن، لثعلب، تحقيق عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
- الأعلام، للزركلي.
- الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم، د. سليمان عمر قوش، دار الحرمين، الدوحة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- الإكليل في المتشابه والتأويل، لابن تيمية، طبع في القاهرة، ١٣٩٤هـ.
- الله أهل الثناء والمجد د. ناصر الزهراني، مؤسسة الجريسي، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- الإمام الشافعي وتأسيس الأيدلوجية الوسطية، نصر أبو زيد، نشرة شركة (سينا للنشر) ١٩٩١م.
- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، الطوفي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادي، استنبول، الطبعة الأولى، ١٩٤٥م.
- أيلتقي النقيضان، محمد مال الله، دار النفير، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- (الله)، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

(ب)

- باهر القرآن في معاني مشكل القرآن، لبيان الحق النيسابوري، تحقيق سعاد بابقي، من مطبوعات جامعة أم القرى ١٩٩٧م.
- البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب؛ ٩٩ دليلاً على وجود النبي المبشر به في التوراة والإنجيل، صلاح صالح الراشد، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- البشارة بني الإسلام في التوراة والإنجيل، د. أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.
- البرهان في أصول الفقه، الجويني، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- البرهان في متشابه القرآن، الكرماني، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

- بيضة الديك (نقد لغوي لكتاب الكتاب والقرآن)، يوسف الصيداوي، المطبعة التعاونية، دمشق.

(ت)

- تاريخ ابن معين، تحقيق د. أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.
- التاريخ الكبير، البخاري، طباعة دار الفكر، مراجعة السيد هاشم الندوي.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، بيروت، دار الكتب العلمية.
- تاريخ الدولة العربية، يوليوس فلهاوزن، ترجمه عن الألمانية. د. محمد أبو ريدة، الألف كتاب، القاهرة، ١٩٥٨م.
- تاريخ القرآن، نولدكه، دار طيبة، الرياض، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- التاريخ الكبير، البخاري، مراجعة السيد هاشم الندوي، طباعة دار الفكر.
- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية.
- تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار الهمذاني، حققه د. عبد الكريم عثمان، دار العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، أبو محمد عبد الله الميورقي الترجمان، دار البشائر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- التدوين في أخبار قزوين، القزويني، تحقيق عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
- تذكرة الحفاظ، ابن طاهر، تحقيق حمدي السلفي، دار الصميعي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- التطريف في التصحيف، السيوطي، تحقيق علي حسين البواب، دار الفائز، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- تفسير آيات أشكلت، ابن تيمية، تحقيق عبد العزيز خليفة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تفسير البيضاوي، تحقيق عبد القادر عرفات حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

- تفسير الجلالين، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩١م.
- تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، دار الشروق، الطبعة السادسة، ١٣٩٤هـ.
- تفسير القرطبي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- تفسير المشكل من غريب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. علي حسين البواب، طبع سنة ١٤٠٦هـ في الرياض، نشر مكتبة المعارف.
- تفسير النسفي، في أربعة أجزاء من غير ذكر دار النشر.
- التفسير والمفسرون، للذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٣م.
- التفسير ومناهجه، لدى مدرسة محمد عبده. د محمود بسيوني فودة، مطبعة الأمانة، القاهرة.
- تقريب الأصول إلى علم الأصول، ابن جزي الكلبي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- تنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضي عبد الجبار، طبع في بيروت، دار النهضة، تحقيق عدنان زرزور.
- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م.
- تهذيب التهذيب، ابن حجر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،عبد الرحمن السعدي، دار المدني، جدة، ١٤٠٨هـ.

(ث)

- ثمرات الأوراق، لابن حجة الحموي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
- الثقات، ابن حبان، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م.

(ج)

- جامع الأصول، لابن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق محمود وأحمد ابنا محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
- الجامع معمر بن راشد، تحقيق: حبيب الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

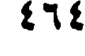
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- الجراد في القرآن الكريم والعلم الحديث، د. كارم السيد غنيم، ود. عبد العظيم محمد الجمال، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- الجرح والتعديل، ابن ابي حاتم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٥٢م.
- الجمان في تشبيهات القرآن، ابن ناقيا البغدادي، تحقيق مصطفى الجويني، دار منشأ المعارف، الإسكندرية.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. علي بن ناصر، وآخرين، الرياض، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(ح)

- حاضر العالم الإسلامي، لستودارد، ترجمة عجاج نويهض، دار الفكر، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٣م.
- الحاوي للفتاوي، جلال الدين السيوطي، مكتبة السلام العالمية، القاهرة.
- حتى الملائكة تسأل؛ رحلة إلى الإسلام في أمريكا، جفري لانغ، ترجمة منذر العبسي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- حضارة العرب، غوستاف لوبون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.
- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، للعقاد، المكتبة العصرية، بيروت.
- حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، إشراف وتقديم د.محمود زقوق، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ٢٠٠٢م.
- حياة محمد، لإميل درمنغم، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الثانية، إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩١١م.

(خ)

- الخصائص الكبرى، للإمام السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
- الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون، أنور الجندي، دار الاعتصام، سلسلة دائرة الضوء.



(د)

- دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل، د. إبراهيم عوض، مكتبة البلد الأمين، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- الداعي إلى الإسلام، كمال الدين الأنباري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، ١٣٩١هـ.
- الدر المنثور، للسيوطي، دار الفكر، البيروت، ١٤١٤هـ.
- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- دستور الأخلاق في القرآن، لدراز، تحقيق عبد الصبور شاهين، بيروت، مطبعة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- دفاع عن القرآن ضد منتقديه، د. عبد الرحمن بدوي، الدار العالمية للكتب والنشر، القاهرة.
- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، لمحمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.
- دلائل النبوة، الأصبهاني، تحقيق محمد محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- دين الإسلام، للايتنر، ترجمة عبد الوهاب سليم، المكتبة السلفية دمشق، ١٤٢٣هـ.
- ديوان عبد الله بن رواحة، جمع ودراسة وتحقيق: د. حسن محمد باجودة، القاهرة، مكتبة التراث، ١٩٧٢م.

(ر)

- الرحيق المختوم في سيرة المعصوم، المباركفوري، دار الحديث، القاهرة.
- رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم، الدكتور محمد جمعة عبد الله، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
- الرد الجميل على المشككين في الإسلام، عبد المجيد صبح، دار المنارة للنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

- الرد على الزنادقة والجهمية في الرد على من زعم أن القرآن متناقض، الإمام أحمد، طبعته المطبعة السلفية في القاهرة سنة ١٣٩٣، تحقيق: محمد حسن راشد.
- الرد على النصراني في مطاعنه على القرآن، محمد عبد المنعم، دار الشاطبي، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- أشراط الساعة، يوسف الوابل، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الثامنة، ١٩٩٧م.
- الرد القرآني على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن للسفير الروسي م. رحمانوف، لعبد الله كنون، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
- رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات، لمحمد الأسعردي الدمشقي شمس الدين ابن بلبان (٧٤٩هـ).
- رد مفتريات على الإسلام، لشلبي، عن رسالة المجلس الملي القبطي، الأرثوذكس بالإسكندرية، دائرة المعارف البريطانية.
- الرسالة المستطرفة للكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- رسائل في العقيدة، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- روح المعاني، للألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام، الإمام السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٩٣م.
- الروض الريان في أسئلة القرآن، لشرف الدين بن ريان، تحقيق عبد الحليم السلفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- روضة الطالبين، النووي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
- رؤية إسلامية للاستشراق، لأحمد غراب، من سلسلة إصدارات المنتدى الإسلامي.

(س)

- السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها والرد عليها، عماد الشربيني، دار اليقين، المنصورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها والرد عليها د. عماد السيد الشربيني، دار اليقين، المنصورة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.
- سنن أبي داود، المكتبة العصرية، بيروت.
- سنن الترمذي، دار الفكر، ١٩٨٣م، تحقيق الشيخ أحمد شاكر.

- سنن النسائي، دار البشائر، بيروت، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة.
- سنن ابن ماجه، دار إحياء التراث العربي، مصر، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
- سنن الدارمي، تحقيق زمرلي، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ.

(ش)

- شبهات حول القرآن وتفنيدها، د غازي عناية، طبعته دار ومكتبة هلال للطباعة والنشر لبيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن عماد الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شعب الإيمان، البيهقي، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- شفاء العليل، لابن القيم، تحقيق محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
- الشيعة الاثنا عشرية وتحريف القرآن، محمد عبد الرحمن السيف، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، لم يذكر عليه اسم الدار التي طبعته ولا مكان الطبع.
- الشيعة والقرآن، لإحسان إلهي ظهير، مكتبة إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان.

(ص)

- صحيح ابن خزيمة، تحقيق الأعظمي والألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٠م.
- صحيح البخاري، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، ١٩٨٧م.
- صحيح مسلم، ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، ١٩٧٢م.
- الصحيح المسند من دلائل النبوة، مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
- الصحيح من معجزات النبي ﷺ، لخير الدين وانلي، إصدار دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- الصراع من أجل الإيمان، د. جفري لانغ، ترجمة، د. منذر العبسي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

- صلاح الأمة في علو الهمة لسيد حسين عفاني، نقلاً عن التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية للدكتور أحمد شلبي.

(ط)

- طبقات المفسرين للأدنوري، تحقيق سليمان الخزي، طبع مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- طبقات المفسرين للداوودي،دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر.
- طبقات المفسرين للسيوطي، طبع مكتبة وهبة، القاهرة، تحقيق علي محمد عمر، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

(ع)

- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- العلمانية، نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، مصر، مكتبة الطيب، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.
- علوم الحديث، للحافظ أبي عمرو بن الصلاح، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥م، وفي حاشيتها كتاب التقييد والإيضاح لما أغلق وأطلق من مقدمة ابن الصلاح للحافظ العراقي.
- عودة الحجاب محمد إسماعيل المقدم، الرياض، دار طيبة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.
- عون المعبود في شرح سنن أبي داود، للعظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

(غ)

- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

(ف)

- فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٦م.
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، أبو يحيى الأنصاري، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

- فتح القدير، الشوكاني، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني، ابن البنا الساعاتي.
- فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب (رب الأرباب) للنوري الطبرسي، وقد طبع عدة طبعات.
- فضيحة المبشرين في احتجاجهم بالقرآن المبين، عبد الله كنون الحسني، مطبعة رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٨٢م.
- فكر جارودي بين المادية والإسلام (نقد كتابات روجيه جارودي في ضوء الكتاب والسنة)، عادل التل، دار البينة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.
- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، للشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق، القاهرة، دار الحرمين، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.
- الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد خلف الله، مطبوعات ابن سينا، القاهرة، ١٩٩٩م.
- الفهرست، لابن النديم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، - إصدار المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) في الأردن.
- فهم القرآن ومعانيه، الحارث المحاسبي، تحقيق حسين القوتلي، دار الكندي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.
- فوائد في مشكل القرآن، لسلطان العلماء العز بن عبد السلام، طبع عام ١٣٨٧م، ١٤٠٢هـ، تحقيق د. سيد رضوان الندوي، نشرته دار الشرق في جدة.

(ق)

- قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، لجلال العالم.
- قالوا عن الإسلام، د.عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.
- القرآن وإعجازه التشريعي، محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة.
- القرآن والسنة والعلوم الحديثة، محمد أحمد مدني، مطابع خالد للأوفست، الرياض.
- قصة أبو زيد وانحسار العلمانية في جامعة القاهرة، د. عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام، القاهرة.

- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية (نقد مطاعن، ورد شبهات) د. فضل حسن عباس، دار البشر، الأردن، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.
- القرآن الكريم في مواجهة الماديين الملحدين، للدكتور أحمد الشاعر، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
- القرآن والمبشرون، محمد دروزة، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.
- القرآن والمستشرقون، د. التهامي نقرة، ضمن كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، طبعة مكتبة التربية العربي لدول الخليج.
- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، د. محمد بن عمر بازمول، طبعته دار هجر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، من منشورات مكتبة الدار بالمدينة المنورة.
- القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان، لأحمد عمران، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، خادم حسين إلهي بخش، الطائف، مكتبة الصديق، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.
- القرطين، لابن مطرف الكناني، طبع بمطبعة دار المعرفة في بيروت.
- القول المفيد في قضية أبي زيد، لنصر حامد أبو زيد، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

(ك)

- الكافي، ابن قدامة المقدسي، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- الكافية في الجدل، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٩م.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
- الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، محمد شحرور، نشر في دمشق عام ١٩٩٠م، وطبعته عدة مكاتب.
- كشف الأسرار، لعبد العزيز البخاري الحنفي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت.
- كشف الحجاب شرح هداية المرتاب (منظومة)، للسخاوي، طبع في حلب، من غير تاريخ، ولا اسم دار.



- كشف المعاني في المتشابه المثاني لبدر الدين بن جماعة، تحقيق مرزوق إبراهيم، دار الشريف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(ل)

- لله ثم للتاريخ، لحسين الموسوي، وقد طبع عدة طبعات من غير ذكر للدار التي طبعته.
- لسان العرب، ابن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، د. فضل حسن عباس، طبعته دار النور للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.
- اللغة الشاعرة مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية لعباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.
- اللمع في أصول الفقه، الشيرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

(م)

- ماذا تقول التوراة والإنجيل عن محمد ﷺ، أحمد ديدات، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- ماذا يريدون من المرأة، عبد السلام بسيوني، طبع إدراة الشؤون الإسلامية في قطر.
- الماركسية والقرآن، المحامي محمد صباح المعراوي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- مباحث في إعجاز القرآن مصطفى مسلم.
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة عشرة، ١٩٩٠م.
- المتشابهات في كتاب الله العزيز، للخطيب الإسكافي، بيروت، دار الآفاق الجديد، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.
- متشابه القرآن للسيوطي، مطبوع في القاهرة، ولا تاريخ له.
- متشابه القرآن لعبد الجبار الهمذاني، طبع في القاهرة: دار التراث ١٩٦٩م. تحقيق عدنان زرزور.
- متشابه القرآن، لعدنان زرزور، طبع في دمشق، دار المعارف، ١٩٧٠م.
- مجمع الزوائد، الهيثمي، دار الريان، القاهرة، ١٤٠٧هـ.
- مجمع الأمثال، النيسابوري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

- محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- محاكمة فكر طه حسين، لأنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة.
- محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل أحمد، إصدار مكتبة الوعي العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م.
- مختار الصحاح، الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٥م.
- مختصر السيرة، ابن هشام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- مدخل إلى علم التفسير، . د محمد بلتاجي، نشر مكتبة الشباب بالمنيرة، ١٩٩٨م.
- مدخل إلى القرآن الكريم د. محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ١٩٩٣م.
- المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- مستدرك الحاكم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.
- المستشرقون والإسلام، د.محمد قطب، مكتبة وهبة، القاهرة.
- المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، د. محمد صالح البنداق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م.
- المستشرقون والدراسات القرآنية، للدكتور محمد حسين الصغيرة، المؤسسة الجامعية، للدراسات الإسلامية والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
- المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن، محمد باقر الحكيم، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- المستشرقون والقرآن د. إسماعيل سالم عبد العال، رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وهو من إصداراتها الدورية تحت سلسلة دعوة الحق، السنة التاسعة، العدد ١٠٤ لعام ١٤١٠هـ.
- المستقصى من كلام العرب، الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.
- مسند أحمد، أحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩١م.
- مشكلات القرآن، لمحمد أنور شاه الكشميري، المجلس العلمي في جوهانسبرج، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م.





- مشكل إعراب القرآن، للقيسي، طبع دار المأمون للتراث، دمشق.
- مصدر القرآن: دراسة لشبهات المستشرقين المبشرين حول الوحي المحمدي، د.إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٧م.
- المصنف، لابن أبي شيبة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- معالم التنزيل،البغوي،تحقيق محمد النمر،دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.
- معالم تاريخ الإنسانية، لويلز.
- معجزات في الطب للنبي العربي محمد ﷺ، محمد سعيد السيوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، بيروت، دار الفكر.
- معجم مصنفات القرآن الكريم، د. علي شواخ إسحاق، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس.
- المعجم الكبير، الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ١٩٧٣م.
- المعجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- المعجم المفصل في علوم البلاغة، د.أحمد عكاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، القاهرة.
- معرفة تأويل المتشابه، د.عبد الله أبو السعود، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- مفردات القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق الداودي، دار القلم، دمشق.
- مفهوم النص ـ دراسة في علوم القرآن، لنصر حامد أبو زيد، من إصدارات الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠م، ضمن إصدارات ما تسميه الهيئة (دراسة أدبية).
- مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة.

- الملحدون الجدد لجمال عبد الرحيم، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- الملل والنحل، للشهرستاني، بيروت، دار المعرفة، الطبعة السابعة، ١٩٩٨م.
- المناظرة في القرآن عبد الله المقدسي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، تحقيق الجديع.
- مناهل العرفان، الزرقاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- المنتظم، لابن الجوزي، طبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ.
- منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة والقدرية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، الدكتور فهد الرومي، مكتب الرشيد، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٢هـ.
- المهتدون إلى الإسلام من قساوسة النصارى وأحبار اليهود حتى القرن التاسع الهجري، د.خالد السيوطي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- الموجز في الأديان والمذاهب والمعاصرة للعقل والقفاري، الطبعة ١٤١٣هـ، دار الصميعي، الرياض.
- موسوعة المستشرقين،عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، بإشراف الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مراجعة د. مانع بن حماد الجهني، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.
- الموطأ، للإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، ١٩٨٥م.

(ن)

- النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، دار طيبة للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد معبد، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- نزول القرآن على سبعة أحرف،مناع القطان، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- نظم المتناثر في الحديث المتواتر، الكتاني.
- نقد الخطاب الديني، القاهرة، مطبعة مدبولي، الطبعة الثالثة.
- نقض كتب نصر أبو زيد ودحض شبهاته، د.رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

- نقض مطاعن في القرآن الكريم، محمد أحمد عرفة، وطبع في مطبعة المنار بمصر، ووقف على تصحيحه وعلق على بعض حواشيه السيد محمد رشيد رضا، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ.

(هـ)

- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م، تحقيق مصطفى شلبي.
- هجمة علمانية جديدة ومحاكمة النص القرآني، د. كامل سعفان.

(و)

- وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين، للألباني، دار العلم، بنها.
- الوحي الجديد، نقلاً عن كتاب مناقشات، وورود لمحمد فريد وجدي.
- الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، د.محمود ماضي، مكتبة دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- وُضحُ البرهان في مشكلات القرآن، النيسابوري، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

(ي)

- اليوم الآخر في القرآن، عبد المحسن بن زبن المطيري، دار البشائر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

المجلات والدوريات:

- صحيفة الأخبار المصرية، ٢٨/ ١٠/ ١٩٧٤م.
- صحيفة البلاد السعودية.
- صحيفة الحدث الكويتية، العدد ٦٩.
- صحيفة القبس الكويتية، العدد ١٥٤٠، ٣٠/ ٨/ ١٩٧٦م.
- صحيفة الوطن الكويتية، العدد ٩٩٤٧، ٢٩/ ٣/ ٢٠٠٣م.
- صحيفة البيان الإماراتية، العدد ٩١، ٧/ ١٠/ ٢٠٠١م.
- مجلة البيان السعودية، العدد ١٥٩، فبراير/ شباط، ٢٠٠١م.
- مجلة السمو الكويتية، العدد ٢، نوفمبر/ تشرين الثاني، ٢٠٠١م.

- مجلة لواء الإسلام، بحث لعبد الباري إبراهيم أبو عبلة عن الجواب على طعون المستشرقين اللغوية، العدد ٣، للسنة الحادية والثلاثين، تاريخ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٧٦م.
- مجلة مجمع الفقه الإسلامي، الدورة السابعة، العدد ٧، الجزء الرابع، لعام ١٩٩٢م.
- مجلة المنار، المجلد ٣٠، الجزء الرابع، ص: ٢٦٦، الجزء الخامس: ٣٦٢.
- تهافت الاستشراق العربي (بحث نقدي في فكر وإنتاج محمد أركون)، لمحمد بريش، رئيس مجلة الهدى المغربية، وهي عبارة عن مقالات له في المجلة في الأعداد ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩.
- من أساليب الغزو الفكري الطعن في القرآن الكريم، د. نبيل غنايم، بحث في مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد السابع الجزء الرابع سنة ١٩٩٢م.

المراجع الإنجليزية:

- (Physical Geology Exploring the Earth) (الجيولوجيا الطبيعية، استكشاف الأرض)، لجيمس مونرو ورد ويكاندر، كندا، مكتبة بروكس. كول، الطبعة الرابعة، ٢٠٠١م.

٧ ـ فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة